كُلّ الحُلول
عند آل الرَّسُول

كُلّ الحُلول
عند آل الرَّسُول

الدكتُور محمّد التيجاني السّماوي

دار المجتبىٰ
بيروت ـ لبنان

محمد التيجاني السماوي

الطبعة الثانية
١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م



للطباعة والنشر والتوزيع
حارة حريك - بيروت - لبنان - فاكس: ٢٥٧/٤٦/٧٥٨٤٨٠
تلفون : ٨٣٧٤٩١-٨٣٧٩٢٧

بسم الله الرحمن الرحيم

آلاف التحيات والصلوات على رسول الله وعلى آله الطاهرين وصحبه التابعين له باحسان الى قيام يوم الدين.

﴿**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**﴾ «البقرة/ ١٨٥».

يخبرنا الله عز وجل بانه يريد بنا اليسر وكلامه حق وما يُغيّر لديه القول، وبسبب عدم الوعي للامور نأخذ كثيراً من الاحكام والتقاليد والسنن من غير اهلها، فنصل الى نتيجةٍ وهي ان هذا الدين صعب مستصعب.

وإذا اردنا ان نصل الى شيء ما علينا ان نزيل الموانع، خاصة اذا كانت تظهر لنا على شكل دلائل، فلا تزيدنا إلا بُعداً عن المطلوب. ونحن نجد ان كثيراً من التقاليد الموروثة وحالات اتّباع الآباء على غير هدى منتشرة، فلا بد لذلك من وقفة تأمل للاستدراك.

ولنأخذ مثلاً مؤلف هذا الكتاب كيف ثار على التقليد الأعمى وطلب وجه الحق وسعى اليه حتى وفّقه الله تعالى فبعد ان وصل الى

الحق، نقل الينا ما رآه وما سمعه وما آمن به، وهو يشير في كتابه هذا إلى أن كثيراً من المشاكل التي تعذب الانسان وتقف أمامه، لم تكن تحصل لو أنه استطاع من قبل ان يتعرف على اهل بيت النبوة صلوات الله عليهم اجمعين، ليجد أن الاسلام فعلاً دين واقعي يساعد الانسان على الوصول إلى كماله، ولا يمنعه من التنعم بنعم الله عز وجل من تكنولوجيا وغيرها، لا سيما ان الله سخَّر كل شيء للانسان ﴿**ألم تروا أن الله سخَّر لكم ما في السموات وما في الارض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علمٍ ولا هدىً ولا كتابٍ منير**﴾ «لقمان/ ٢٠».

فالجدال الذي يُرتجى منه أن يقيم الحجة يجب ان يكون مبنياً على واقع حقيقي وهو بعيد عن هوى النفس الذي يوصلنا إلى عبادته.

فالمسألة تحتاج إلى تجرّد وترفّع عن العادات السيئة والتقاليد الغير واقعية لنحقق منصباً إليهاً عالياً وهو خلافة الله على الارض.

وكما سبق لنا أن قمنا بتحقيق كتاب اتقو الله وكتاب إعرف الحق نضع بين يديك أخي القارىء هذا الكتاب «**كل الحلول عند آل الرسول**» صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن قمنا باثبات بعض المصادر وتوضيح بعض الامور كي لا يُفهم الامر على خلاف الواقع، ونشير الى أننا بدأنا بطباعة كل مؤلفات الدكتور التيجاني وهي:

١ ـ **ثم اهتديت.**

٢ ـ **مع الصادقين.**

٣ ـ **فاسألوا اهل الذكر.**

٤ ـ **الشيعة هم اهل السنّة.**

٥ ـ إتقوا الله.

٦ ـ إعرف الحق.

٧ ـ كل الحلول عند آل الرسول.

فنكون بذلك وحّدنا كتب الدكتور التيجاني والتي تشمل آخر مؤلفاته «الحلول عند آل الرسول» بشكل مجموعة مجلدة ضمن علبة خاصة بهذه المجموعة.

مع الاشارة الى وجود كل هذه العناوين بشكل منفرد ايضاً.

راجين ان ينال هذا العمل اعجابكم وأن يعطي ثماره.

الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين وأفضل الصّلاة وأزكى التسليم على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا ومولانا أبي القاسم محمد بن عبدالله خاتم النبيّين والمرسلين وعلى آله الطيبين الطّاهرين أعلام الهدى ومصابيح الدُّجى أئمّة الأمّة ومنقذي الملّة.

أمّا بعدُ، فقد منّ الله عليَّ ببركة محمَّد وآله أن هداني إلى معرفة الحقّ الذي ليس بعده إلاّ الضّلال وأذاقني حلاوة الثّمار التي أينعتْ من خلال الكتب الستة ـ ثم اهتديت، مع الصادقين، فاسألوا أهل الذكر، الشيعة هم أهل السنة، اتقوا الله، إعرف الحق ـ للتعريف بذلك الحق المطموس فإذا بالعديد من المؤمنين الصادقين والباحثين يستبصُرون لموالاة العترة الطّاهرة ويصبحون من شيعة أهل البيت عليهم السَّلام.

وهؤلاء لاَ يقدّر عددهم إلاّ الله سبحانه وتعالى و«**ما يعلم جنود ربّك إلاّ هو**» غير أن الرّسائل الكثيرة التي ترد عليّ في باريس وفي تونس من كل بقاع الدنيا تبعث على التفاؤل والأمل بأنّ فرج الله قريب وأنّ

وعده حق فأتمثل الآية الكريمة التي تقول ﴿**أم حسبتم أن تدخلوا الجنّة ولمّا يأتِكم مثل الذين خلوا من قبلكم مسّتهم البأساء والضّراءُ وزلزلوا حتى يقول الرّسولُ والذين آمنوا معه متى نصرُ اللَّهِ ألا إنّ نصرَ اللَّهِ قريب**﴾«البقرة/ ٢١٤».

ومن خلال قراءة تلك الرسائل أشعر بأن الخير لاَ ولن ينقطع أبداً والحقُّ يعلو ولا يُعلى عليه قال تعالى: ﴿**بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق**﴾ . «الأنبياء/١٨».

وما دام الله سبحانه وتعالى هو الذي يقذف بالحقّ على الباطل، فلا ولن أتردد أبداً في إظهار ما أؤمن بأنّه الحقّ حتّى يحكم الله بيني وبين أولئك المتعصّبين الذين لا يعجبهم من الحق إلا ما ألفوه ولو كان باطلاً. ولاَ ينكرون من «الباطل» إلاّ ما جهلوه ولو كان حقّاً، ومع ذلك فإني أدعو الله لهم بالهداية والتوفيق فإنّه هو الذي يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم.

وبما أنّني أتفاعل مع عديد القرّاء والباحثين سواء من خلال الرّسائل المتبادلة أو من خلال اللّقاء المباشر أثناء المحاضرات التي أُلقيها في عديد المناسبات، اكتشفتُ أنَ البعض وإن كان يرى الحقّ ما كتبتُ إلاّ أنّه يقول: نحن في غنىً عن إثارة هذه المشاكل التي قد تكون ضد وحدة المسلمين في وقت تكالب فيه الشرق والغرب على إبادة المسلمين والقضاء عليهم.

ورأيت في قولهم هذا منطقاً مقبولاً ورأياً معقولاً، لأنهم يسعون بكل جهودهم لتضييق دائرة الخلاف وتوحيد الصفّوف فامتثلت لمطلبهم مُذعناً وقبلتُ نَصائحهم شاكراً وَتمثلتُ قول أمير المؤمنين عليه السلام:

وليَكنْ أَحَبُّ الأمُورِ إليكَ أوسطُها في الحقِّ، وأَعمُّهَا في العدل، وأَجْمعُهَا لرضَى الرَعيّةِ، فإنّ سُخْطَ العَامَّةِ يُجْحِفُ بِرضَى الخَاصَّةِ، وإنَّ سُخْطَ الخاصّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى العامَّةِ. . . (رسالة الإمام للأشتر النخعي لمَّا ولاّه على مصر).

لكلّ هذا فأنا أَضَعُ بين يديّ القرّاء الكرام كتاب «كلّ الحُلول عند آل الرّسول» الذي حاولتُ فيه جهدي تجنّبَ القضايَا الحسّاسة التي تثير حفيظة البعض وتستفزهم، وبالتّالي تحجبُهم عن الحقّ فلا يصلون إليه فينتفي الغرض من هدايتهم.

وإن كنتُ أعتقِدُ بأنّ الأسلوب الإستفزازي الذي يحرّكُ النّفوسَ الأبيّة والذي اعتمدتُه في الكتب السَّابقةِ قد أتى بنتائج مثمرة ومذهلة، إلاّ أنّه لاَ مانِع من توخّي الأسلوب اللّين المسالم الذي قد يُقنِعُ الكثيرَ من النّاس فتكون ثمارهُ ألذُّ وأشْهَى.

وأكون بذلك قد اتّبعْتُ الأسلوبين معاً اقتداءً بالقرآن الكريم الذي استعمل أسلوب الترغيب والترهيب ليُدخلَ الطّامعينَ إلى الجنّةِ وينقذَ الخائفين من النّارِ.

وما دمنا لاَ نطمعُ بمنزلة أمير المؤمنين وإمام المتّقين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي ما عبَدَ اللَّهَ طمعاً في جنتهِ ولاَ خوفاً من ناره والذي لو كُشف له الغطاء ما ازداد يقيناً فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يتغمّدنا برحمته ويلحقنا بالصّالحين.

محمد التيجاني السماوي

تمهيد

لقد عملنا بكلّ جهودنا في الكتب السّابقة على إقناع المسلمين بضرورة الرجوع إلى الثقلين «القرآن الكريم والعترة الطّاهرة» والتمسك بهما معاً لضمان الهداية والنجاة من الضلالة.

وذلك حسب ما ورد عن لسان رسول الله صلّى الله عليه وآله وتناقله الرّواة الثقاة في صحاحهم ومسانيدهم من الفريقين الشيعة والسنّة على حدّ سواء.

وقد وافينا البحث ولم نألُ جُهداً في توضيح هذه الحقيقة بشتّى الأساليب التي اقتضاها البحث وجرّنا إليها طوعاً وكرهاً حتّى اعتقد البعض بأنّنا نعمل على انتقاص الصحابة والنيل من كرامتهم والخدش من عدالتهم.

ويشهد الله سبحانه وتعالى بأننا ما أردنا إلاّ تنزيه الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلم الذي يمثل بشخصه كل الإسلام وكذلك تنزيه أهل بيته الذين هم عِدلُ القرآن، من عرفهم عرف القرآن ومن جَهِلهم جَهِل

القرآن، هذا ما صرّح به نبيّ الإسلام.

وسنكشفُ في هذا الكتاب بحول الله تعالى بأنَّ المسلم المعاصر الذي يعيش حضارة القرن العشرين ويواجه التحديات المختلفة لا يمكنه أن يلتزم بالشريعة الإسلامية على الوجه الصّحيح إلاّ إذا تمسّك بالعترة الطاهرة.

والحقيقة التي لاَ مفرَّ منها هي: أنّ القرآن الكريم والسنّة النَبوية المطهّرة تعرّضا إلى التّأويل والتّحريف، تأويل القرآن إلى معاني متعددة ومتشعّبة تبعده عن مقاصد الشريعة، وتحريف السنّة: بالوضع فيها ما ليس منها.

فكل التّفاسير التي نملكها اليوم لاَ تخلُو من بعض الإسرائيليات وبعض الإجتهادات من المفسرين الذين قالوا بنسخ بعض الآيات كما أنّ كتب الحديث خضعت للوضع والدسّ والتّشويه فلم يسلم منها كتاب.

لذلك كان لزاماً على المسلمين الرجوع لأئمة الهدى من العترة الطّاهرة فهم وحدهم القوّامون على تفسير كلام الله وبيانه وتنقية الأحاديث النبوية من كلّ الشّوائب ومن الدسّ والتحريف.

وإذا كان غاية ما يدعو إليه المسلمون اليوم هو الرجوع إلى السّلف الصالح لاستيفاء المصدرين التشريعيين منهم وحدهم لأنهم كانوا أفضل الخلق كما هي عقيدة الأكثرية، فلا بدّ أن نقول لهؤلاء: ما هي حجّتكم في ذلك، ولنا أن نطالبهم بالدّليل المقنع والبرهان القاطع الذي يقطع على المؤمن وجهته فيسلّم عن قناعة وهو مطمئن القلب لأن حسن الظن لا يكفي بل وحتّى الاستقامة وحسن السّلوك لا يفيدان قطعاً سلامة الفهم والعصمة من الخطأ.

وقد أشار إلى هذه الحقيقة بابُ مدينة العلم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عندما قال:

«إنّ في أيدي النّاس حقّاً وباطلاً، وصدقاً وكذباً، وناسخاً ومنسوخاً، وعامّاً وخاصّاً، ومحكماً ومتشابهاً، وحفظاً ووهماً[١]، ولقد كُذِبَ على رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ على عهده حتى قام خطيباً فقالَ: «من كذبَ عليَّ متعمداً فليتبوّأ مقعده من النار».

وإنما أتاك بالحديثِ أربعة رجال ليس لهم خامسٌ:

ـ رجل منافقٌ مظهرٌ للإيمان، متصنعٌ بالإسلام، لا يتأثّمُ ولاَ يتحرّجُ، يكذبُ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متعمّداً، فلو علم النّاسُ أنّه منافقٌ كاذبٌ لم يقبلوا منه ولم يصدّقوا قوله، ولكنهم قالوا: «صاحبُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رآه وسمع منه ولقِفَ عنه»، فيأخذون بقوله، وقد أخبرك الله عن المنافقين بما أخبرك، ووصفهم بما وصفهم به لك، ثم بقُوا بعده عليه وآله السّلام فتقرّبوا إلى أئمّة الضلالة والدّعاة إلى النار بالزّور والبهتان، فولّوهم الأعمال وجعلوهم حكَّاماً على رقاب النّاس، فأكلوا بهم الدنيا، وإنّما النّاس مع الملوك والدّنيا إلاّ من عصم الله، فهذا أحد الأربعة.

ـ ورجُلٌ سمع من رسول الله شيئاً لم يحفظه على وجهه، فوَهمَ فيه ولم يتعمّد كذباً، فهو في يديه ويَرويه ويعمل به ويقول: «أنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلو علم المسلمون أنّه وَهمَ فيه لم

---

(١) قاله عليه السلام، لما سأله سائل عن أحاديث البدع وعما في أيدي الناس من اختلاف الخبر.

يقبلوه منه، ولو علم هو أنّه كذلك لرفضَهُ.

ـ ورجُلٌ ثالثٌ سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً يأمرُ به ثم نهى عنه وهو لاَ يعلم، أو سمعه ينهى عن شيءٍ ثم أمرَ به وهو لاَ يعلمُ فحفظ المنسوخ ولم يحفظِ النّاسِخَ، فلو يعلمُ أنّه منسوخٌ لرفضه، ولو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنه منسوخٌ لرفضوه.

ـ وآخرُ رابعٌ لم يكذب على الله ولاَ على رسوله، مبغِضٌ للكذب خوفاً من الله وتعظيماً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يهِمْ بل حفظ ما سمع على وجهه، فجاء به على ما سمعه لم يزد فيه ولم ينقصْ منه فحفظ النّاسخَ فعمل به، وحفظ المنسوخ فجنّب عنه، وعرف الخاصَّ والعامَّ، والمحكم والمتشابه فوضع كلَّ شيء مَوْضِعَهُ.

وقد كان يكون من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الكلام له وجْهانِ: فكلام خاصّ، وكلامٌ عامٌّ، فيسمعه من لاَ يعرفُ ما عنى اللَّهُ سبحانه به ولا ما عَنَى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيحمله السّامعُ ويوجّههُ على غير معرفةٍ بمعناهُ وما قُصدَ به وما خرج من أجله.

وليسَ كلّ أصحابِ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كان يسألهُ ويستفهمه حتّى أنَ كانوا ليحبّونَ أن يجيءَ الأعرابيّ والطَّارىءُ فيسألهُ ـ عليه السلام ـ حتّى يسمعوا، وكان لاَ يمرُّ بي من ذلك شيء إلاّ سألته عنه وحفظته. فهذه وجوهُ مَا عليه النّاسُ في اختلافهم وعللهم في رواياتهم» «نهج البلاغة الخطبة عدد ٢٠٨».

ومن كلام أمير المؤمنين سيّد البلغاء عليه السّلام يتبيَّن لنا مدى الخطورة التي تحيط بنا للوصول إلى مدارك الشريعة وفهم مقاصدها.

وإذا كان هذا تحليله عليه السّلام في عصره إذ لم يمضِ على وفاة

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ خمس وعشرون عاماً، ومع وجوده عليه السلام وأكثر الصحابة على قيد الحياة وأنّهم بإمكانهم تصحيح الأحاديث وتنقيتها، فما بالكم بحالة المسلمين بعد مرور أربعة عشر قرناً واختلاف الأمّة وتفرّقها إلى طوائف ومذاهب متعدّدة؟.

لكلّ ذلك لا بدّ للباحث أن يحتاط أشدّ الاحتياط قبل أن يحكُمَ لفريق فيصحّحه، أو يحكُمَ عليه فيرفضه.

ونحن إذ قدّمنا في كتبنا السّابقة ومن خلال الأبحاث العلمية والتاريخية بأنّ الشيعة الإماميّة الإثني عشرية هي الفرقة النّاجية التي تمثل الخَط الإسلامي الصحيح، فليس ذلك الحكم هو وليد الظروف والملابسات التي عشتُها وتفاعلتُ معها فحسب، وإنّما هي حقيقة أثبتَها النّقل من خلال القرآن والسنّة كما أثبتها التّاريخُ الذي سَلم من التّزييف والتّحريف، واهتدى إليها العقلُ بما وهبه الله سبحانه من قدرة التّمييز وإثبات الدّليل، فقال عزّ من قائل: **﴿فبشّر عبادِ * الذين يستمعون القولَ فيتّبعون أحسنه أؤلئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب﴾** «الزمر/١٨»، وقال في حق الذي عطّلوا عقولهم فاستحقوا العذاب: **﴿وقالوا لو كنّا نسمع أو نعقِلُ ما كنّا في أصحاب السّعير. ﴾** «الملك/ ١٠».

ورغم كل ذلك، رغم كلّ الأدلّة الواضحة والحجج القاطعة التي تقدّمتُ بها في كتبي السابقة، غير أنّ البعض سامحهم الله لاَ يقرؤون بعقولهم وقلوبهم، بل يقرؤون بعواطفهم كما يقرؤون ما يرضي مشاعرهم وأهواءهم، وقد تعلّموا معاداة كلَّ ما يخَالف معتقداتهم وتوهين كلّ ما يعاكس رغباتهم.

وبما أنّنا من المؤمنين الذين يحبّونَ الخير لكلّ المسلمين ويعملون على إرشادهم إلى الهداية التي نعتقد بأنّها سفينة النجّاة، فلا نيأس منهم وسنبقى إلى مدى الحياة ندعوهم إلى الخير والسّعادة التي ليس بعدها إلاّ جنّة النّعيم.

قال أمير المؤمنين عليه السّلام:·

«رحمَ اللّهُ امرىء رأى حقّاً فأعانَ عليه، أو رأى جوراً فردَّهُ، وكان عوناً بالحقّ على صاحبه».

وقال عليه السلام:

«إنّي أكره لكم أن تكونوا سبّابين، ولكنّكم لو وصفتُم أعمالهم وذكرتم حالهم كان أصَوبُ في القولِ، وأبلغ في العُذرِ، وقلتم مكان سبّكم إيّاهم: «اللهمّ أحقن دماءنَا ودماءهم، وأصلح ذاتَ بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم، حتّى يعرفَ الحقَّ من جهلَهُ، ويرعوي عن الغيّ والعدوانِ من لَهِجَ به». «من كلام له عليه السلام خطبة ٢٠٤ ـ نهج البلاغة».

وقد انتهجتُ في الكتب الستة السّابقة هذا النهج الذي نصح به الإمامُ علي شيعتَه فلم أكن من السبّابين ولكنّي وصفتُ أعمالهم وذكرتُ أحوالهم حتّى يَعرف الحقَّ من جهله ولكن ما حيلتي مع الذين لا يرضون حتّى بذكر أحوال الصّحابة ووصف أعمالهم، وما حيلتي إن كان الحق لا يظهرُ إلا بذلك.

وها أنا في كتابي السابع أحاول جهدي أن لاَ أتعرّض لأحوال الصحابة ولاَ إلى وصف أعمالهم، وإنّما استدلّ بأحقيّة أهل البيت

وشيعتهم بأسلوب جديد قد يرضِي عامّة النّاس وإن كنتُ أعتقد بأنّ رضى النّاس غاية لاَ تدرك فإني أسأله سبحانه وتعالى أن يوفقني لما يحبّه ويرضاه وأن يُوفّق المسلمين جميعاً لكل خير ويهديهم وإيّانا إلى الحق ولا يتوفّانا إلاّ على الإستقامة وحسن الختام.

الفقير إلى رحمة ربه محمد التيجاني السّماوي

هذا هو الإسلام الحقيقي

وهو العنوان الذي اخترته للمحاضرة التي ألقيتها في مسجد إخواني من أهل السنّة والجماعة بمدينة «سان فرنسيسكو» بولاية كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية منذ سنتين، وكان يومها جمع كبير من الرجال والنّساء من مختلف الجنسيات من الأفارقة والأتراك والأفغان والمصريين حضروا تلك المحاضرة وخرج أكثرهم مُقتنعين بعد المناقشة الحرّة الهادفة.

اعترض عليَّ أحد المصريين الجامعيين والذي كان تخرّج بشهادة الدكتوراه حديثاً ومن خلال المناقشة قال:

ـ كيف يكون ما عليه الشيعة هو الإسلام الحقيقي، والمعروف هو العكس، وأنّ أهل السنّة والجماعة هم الفرقة النّاجية التي تمسّكت بالقرآن والسنّة معاً، وغيرهم من الفرق في الضّلالة؟!

وبكل هدوء أجبتُه قائلاً ووجّهتُ كلامي للجميع:

ـ يا اخواني أقسمُ لكم صادقاً أنني لو وجدتُ فرقة من أهل السُنة

والجماعة أو من غيرها تتعبّد بمذهب يُنسبُ إلى أبي بكر، لقلتُ هنيئاً إن أبا بكر الصّديق صحابيّ جليل وهو من السّابقين الأولين إن لم يكن هو أوّلهم وهو صاحب رسول الله في الهجرة هو ثاني اثنين إذ هما في الغار، وهو الخليفة الأوّل من الخلفاء الرّاشدين، ولاقتنعتُ بذلك وكنتُ من تلك الفرقة.

ولو وجدتُ أنّ فرقة من أهل السنّة والجماعة تتعبّدُ في تقليدها لمذهب ينسبُ إلى عمر بن الخطاب، لقلتُ هنيئاً إنّ سيدنا عمر صحابيّ جليل وهو الفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل وهو الذي أعزّ الله به الإسلام وهو من السابقين الأولين إضافة أنه الخليفة الراشد الثاني إذاً لاقتنعتُ واتّبعتُ.

ولو وجدتُ أنّ فرقة من أهل السنّة والجماعة أو من غيرها تتّبعُ مذهباً ينسبُ إلى عثمان بن عفان فتقلده في الأصول والفروع، إذاً لقلتُ أيضاً هنيئاً إن سيدنا عثمان هو أيضاً من الرعيل الأوّل وهو ذو النورين الذي تستحي منه الملائكة وهو ثالث الخلفاء الراشدين وهو الذي جمع القرآن، إذاً لاقتنعتُ وكنتُ من التابعين.

ولكني لم أجد فرقة واحدة من أهل السنّة والجماعة ولا من غيرها تدّعي الانتساب لمذهب يرجع لأحدٍ من الخلفاء الثلاثة أو لأحدٍ من الصحابة.

وبالمقابل هناك فرقةٌ واحدة وجدتها تُقلّدُ في عباداتها مذهباً يُنسبُ إلى علي بن أبي طالب وهذه الفرقة هي الشيعة الإمامية.

أمّا غيرهم فيقلّدون أبا حنيفة، ومالك، والشافعي وأحمد بن حنبل، وهؤلاء مع جلالة قدرهم وغزارة علمهم وكثرة زهدهم

وورعهم، إلاّ أنهم ما صحبوا رسول الله يوماً واحداً ولا رأوه أبداً وقد عاشوا جميعاً بعد الفتنة الكبرى التي ألبستهم من مدلهمات ثيابها وتأثروا بآثارها[1].

---

(١) يوضح ابن خلدون في مقدمته ص ٤١١، سبب الاختلاف الذي وقع بين السلف والأئمة بعدهم. فيقول: «فالوقائع المتجددة لا توفي بها النصوص، وما كان منها غير ظاهر في النصوص فيجعل على منصوص لمشابهة بينهما. وهذه كلها مثارات للخلاف ضرورية الوقوع»!

ـ ومن المعلوم إن تفرّق الصحابة والتابعين في المدن والأمصار، وقد تولّوا فيها القضاء والافتاء، مما أدى الى اختلاف نظريتهم واجتهادهم، بحسب بيئة البلد، وشخصية الفقيه في مواجهة المسائل المختلفة!

ونتيجة ذلك نشأت مدرستان عندهم هما:

أولاً: مدرسة الرأي: المشهورة عند االعراقيين، وابرزهم أبو حنيفة (النعمان بن ثابت) في الكوفة، وتلامذته وانصاره، ولهذه المدرسة مميزات.

الف: استخدام التفريعات ونقضها حتى الخيالي والمجرد منه، فاكثروا من عبارة (أرايت لو كان كذا) أي يسألون وينقضون ثم يجعلون لها حكماً، ثم يقرعونها، ويقلبونها على سائر وجوهها الممكنة، حتى سماهم أهل الحديث (الأرأيتيون).

باء: قلة روايتهم واعتمادهم للحديث، وبشروط لا يسلم معها إلا القليل، حتى غالى القوم فرأى بعضهم عدم الأخذ بالحديث بتاتاً وحجتهم في ذلك شكهم المطلق في رواة الحديث وكثرة ما جرحه المحدثون!!!

ثانياً: مدرسة الحديث فقد كانت خصائصها:

الف: كراهيتهم الشديدة للسؤال عن الفروض، لان المصدر عندهم وهو الحديث محدود وهم يكرهون إعمال الرأي، كراهيتهم للسؤال عن حادثة الا اذا وقعت فعلاً، وعيبهم على العراقيين اثارة الفروض.

باء: الاعتداد بالحديث، حتى الضعيف منه، وتساهلهم في شروطه وتقديمهم ذلك على الرأي!! راجع أحمد أمين: فجر الاسلام ص ٢٤٣.

وكان النزاع والخصام بين المدرستين شديداً. الى درجة السباب والشتم والرمي بالزندقة والكفر بل ودسّ ووضع أحاديث كاذبة فقد روي عن الخليفتين ابي بكر وعمر في العمل بالرأي وذم الرأي، وكذلك عن ابن مسعود، وقد =

ونحن إذا جرّدنا الإمام علي بن أبي طالب من كلّ شيء ولم نعترف له بفضل ولا بفضيلة، فسيبقى دائماً ذلك الصحابيّ الجليل السّابق الأول لدين الله والذي عاش حياته كلّها بجانب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وأني أحلّفكم بالله جميعاً إذا تركتم التعصّب والعاطفة وحكّمتم عقولكم لترضوا بذلك ربّكم قبل كل شيء ثم تُرضوا ضمائركم بعد ذلك، فأيّهم أولى بالإتباع والإقتداءِ؟ فصاح أكثرهم: الإمام علي أولى بالإتباع. . . !

قلتُ: فإذا أضفتُ لكم أحاديث الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم التي أخرجها أهل السنّة والجماعة في صحاحهم ومسانيدهم كقوله صلّى الله عليه وآله وسلم:

- «أنا مدينة العلم وعلي بابها».
- «من كنتُ مولاه فهذا عليّ مولاه».
- «علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيث دار».
- «علي مني بمنزلة هارون من موسى».
- «علي يبيّن لأمّتي ما اختلفوا فيه من بعدي».
- «علي مع القرآن والقرآن مع علي لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».

= أجهد بعض العلماء انفسهم في التوفيق بين هذه الأقوال المتناقضة بسبب تلك المدراس المتنازعة، فلم يرعَ الحق والامانة ولم يخشَ أو يتقي الله تعالى!!!

وللمزيد راجع كتاب - إعرف الحق - ص ٩٦ - ٩٨ وكتاب إتقوا الله ص ٦٧ - ٧٢ لنفس المؤلف.

وإذا عرف المسلمون هذه الحقائق بعدما أقرّت عقُولهم باتباع الإمام علي لأجل الصُّحبة فقط، فلم يبقَ هناك شكٌّ في أن الإسلام الحقيقي هو ما عليه الشيّعة الإمامية الرّوافض الذين رفضوا إتّباع أي واحدٍ غير علي أمير المؤمنين عليه السلام.

* * *

وبعد الإجابة على الأسئلة التي طُرحتْ ومناقشتها بكلّ هدوء من خلال البحث العلمي والتاريخي أقبل جمع غفيرٌ من المستمعين مهنّئين ومقبّلين يحمدون الله سبحانه على الهداية ويلتمسون منّي إهداءهم كلّ مؤلفاتي وإرشادهم إلى بعض مؤلفات الشيّعة.

ومن بين هؤلاء إمام الجماعة الذي يدير شؤون المسجد والذي كان يبكي عندما كنت أتكلّم عن مأساة أهل البيت عليهم السلام وهو دكتور مصري محبٌ لأهل البيت كثيراً قال لي:

ـ هنيئاً لك يا أخي ما كنتُ أظن أنّك سوف تقنعنا بهذه السهولة وكنتُ متخوّفاً عليك من بعض المتعصبين الذين لاَ يُحبّونَك، ولكنّك بحمد الله وصدق اللّهجة ملكتَ قلوبهم... أي والله!!

أهل البيت هم الإمتداد الطّبيعي لرسالة جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

إذا قلنا أهل البيت فنعني بذلك الأئمة الإثنا عشر من العترة الطّاهرة الذين وافينا البحث حولهم في الكتب السّابقة، فقد اتفق الشيعة وأهل السنّة بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: الأئمة من بعدي إثنا عشر كلهم من قريش، وفي رواية البخاري: لا يزال هذا الأمرُ في قريش ما بقي منهم إثنان[1].

وإذا كنّا نعلم بالضرورة أن الله سبحانه اصطفى أَدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرّية بعضها من بعض، فإنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد علّمنا وأوضح لنا بأنّ الله سبحانه قد اصطفى من كلّ هؤلاء بني هاشم، فهم خلاصة الإصطفاء، فقد جاء في صحيح مسلم من كتاب الفضائل باب تفضيل نبيّنا صلى الله عليه وآله

---

(١) صحيح البخاري كتاب الأحكام باب الأمراء من قريش.
صحيح مسلم كتاب الإمارة باب النّاس تبع لقرَيش والخلافة في قريش.

وسلم على جميع الخلائق، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريشٍ بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم».

وملخّص هذا الحديث كما يفهمه كلّ عاقل بأنّ بني هاشم هم الذين خصّهم الله بالاصطفاء من كل البشرية ومن بني هاشم اصطفى محمّداً فكان صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من جميع الخلائق، وهذا يفيدنا بلا شك بأنّ بني هاشم يأتون في المرتبة الثانية بعد محمّد بلاَ فصْل، وقد اصطفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كلّ بني هاشم[1] عليّاً وذريته وجعلهم خلفاءه وأوصياءه بوحي ربّه وأوجب الصّلاة عليهم كما يُصلى عليه، ولكل وجدنا أغلب التفاسير تنوّه بذكر أسمائهم، وأنهم المقصودون بآية إذهاب الرّجس والتطهير، وكذلك آية المودَة وآية الولاية وآية الاصطفاء ووراثة الكتاب وآية أهل الذكر وكذلك الراسخون في العلم وسورة هل أتى[2].

---

(١) فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم، يقصد من أهل البيت رهطاً خاصاً، وتشهد بذلك الأحاديث والآيات في مختلف المناسبات، وإلا فهل قصد عليه السلام أناساً تجهل الأمة أعيانهم، ولا تهتدي إليهم بأشخاصهم، ومن أين للأمة الوصول الى مجهول الإسم والسمة، مجهول المكان والجهة لأن بني هاشم كثر وقد انتشروا في الأرض فلا يخلو منهم قطر ولا مصر.

فمن الذي أرادهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم غير التسعة، بعد علي المرتضىٰ والحسنين ينحصر فيهم القصد من أهل البيت انحصاراً وجدانياً وحكماً عقلياً!

وجعلهم الثقل الثاني مع الكتاب، لئلا يخلو عصره من قرين له منهم عالم به، ولئلا تخلو الأمة يوماً ما من هادٍ لا يضل من تمسك به. . .

(٢) ذكرنا بعض الآيات التي يعترف أهل السنّة بنزولها فيهم بكلّ اختصار وإلاّ فإنّ ابن عباس رضي الله عنه يقول بأن ثلث القرآن نزل فيهم للتنويه بفضلهم.

أمّا الأحاديث النّبوية المجمع على صحّتها والتي أشار النّبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى فضلهم وفضائلهم وأنّهم أئمة الهدى، فهي كثيرة جدّاً نكتفي بذكر حديثين منها.

* الحديث الأول أخرجه مسلم في صحيحه من كتاب الفضائل في باب فضائل علي بن أبي طالب أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«أمّا بعد أَلا أيّها النّاس، فإنّما أنا بشرٌ يوشك أن يأتي رسول ربّي فأجيب، وأنا تاركٌ فيكم ثقلين أوّلهما كتابُ اللَّهِ فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به وأهل بيتي أذكّركم الله في أهل بيتي أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي».

* الحديث الثاني أخرجه مسلم في نفس الكتاب عن سعد بن أبي وقّاص عن أبيه قالَ: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعليّ: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لاَ نبيّ بعدي»[1].

من أجل الاختصار نكتفي بهذين الحديثين لإثبات أنّ الإمام علي بن أبي طالب وهو سيّد العترة وهو الامتداد الطّبيعي للرّسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنا مدينة العلم وعليّ بابها وهذا وحده كافٍ للدلاّلة على أنّ الأمّة بأسرها لاَ يُمكن لها أن تدخلَ مدينة محمّد إلاّ إذا جاءتْ من باب علي عليهما أفضل الصّلوات وأزكى التسليم لأنّ الله سبحانه يأمركم أن تأتوا البيوتَ من أبوابها.

---

(١) كما أخرجه البخاري في صحيحه من كتاب المغازي باب غزوة تبوك.

ولا بدّ من الإشارة هنا إلى أنّ علم علي بن أبي طالب قد اكتسبه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد ربّاه وهو طفل صغير وبقي معه لا يفارقُه طيلة حياته وعلمّه علم ما كان وما يكون حتّى قال: «ما صبّ جبريلُ شيئاً في صدري إلاّ صببتُه في صدر علي».

وحتّى قال الإمام علي في ذلك: «لو ثنيّت لي الوسادة لأفتيتُ أهل التوراة بتوراتهم، وأهل الإنجيل بإنجيلهم وأهل القرآن بقرآنهم»، وكان يردّد: «سلوني قبل أن تفقدوني»، ويشهد الصّحابة كافّة والمسلمون بأجمعهم وعلى مرّ التّاريخ يشهدون بأنّه كان أعلم النّاس بأمور الدّين والدّنيا، وكان أتقى النّاس للّه تعالى وأزهدهم في الدنيا وأصبرهم على المكاره وأشجعهم في الحروب وأصفحهم عن مسيء.

ولتعميم الفائدة لا بدّ لنا أن نقرأ ما قاله الإمام علي عليه السّلام بخصوص الرّابطة بين رسول الله وأهل بيته.

قال عليه السّلام في أهل البيت:

«هم موضع سرّه ولجأُ أمره، وعيبةُ علمهِ، ومَوْئلُ حُكْمِهِ، وكهوفُ كتبِهِ، وجبالُ دينه، بهم أقامَ انحناءَ ظهره، وأذهبَ ارتعادَ فرائصه». «نهج البلاغة الخطبة عدد ٢».

«تاللّهِ لقد عُلّمتُ تبليغ الرسالاتِ، وإتمام العداتِ، وتمامِ الكلماتِ وعندنا أهل البيت أبواب الحكم وضياء الأمرِ...». «نهج البلاغة الخطبة ١١٩».

«... أين الذين زعموا أنّهم الرّاسخون في العلم دوننا، كذباً وبغياً علينا، أن رفعنا الله ووضعهم، وأعطانا وحرمهم، وأدخلنا

وأخرجهم؟!! بنا يُستعطى الهدى، ويُستجلى العمى.

إنّ الأئمة من قريش، غَرسوا في هذا البطنِ من هاشمٍ، لا تصلحُ على سواهم، ولاَ تصلح الولاّةُ من غيرهم». «نهج البلاغة الخطبة عدد ١٤٢».

«. . . ألاَ إنّ مثل آلِ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم كمثلِ نجوم السّماء، إذَا خوى نجمٌ طلعَ نجمٌ، فكأنكم قد تكاملتْ من اللَّهِ فيكم الصنائعُ، وأراكم ما كنتم تأملون». «نهج البلاغة الخطبة عدد ٩٩».

«. . . لا يقاس بآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم من هذه الأمّة أحدٌ، ولا يُسوّى بهم من جرتْ نعمتهم عليه أبداً. هم أساسُ الدّين، وعماد اليقين، إليهم يفيء الغالي، وبهم يلحقُ التالي ولهم خصائصُ حقّ الولاية، وفيهم الوصيّة والوراثة. . .». «نهج البلاغة الخطبة عدد ٢».

«. . . وإنّي لعلى الطريق الواضح ألقُطهُ لقْطاً. انظروا أهل بيت نبيّكم فالزموا سمتَهُم واتّبعوا أثرهم فلن يخرجوكم من هُدى، ولن يعيدوكم في ردىً، فإن لبدوا فالبدُوا، وإن نهضوا فانهضوا، ولا تسبقوهم فتضلّوا، ولا تتأخرّوا عنهم فتهلكوا. . .». «نهج البلاغة الخطبة عدد ٩٦».

«هم عيش العلم وموت الجهل، يخبركم حلمهم عن علمهم، وصمتهم عن حكم منطقهم، لاَ يخالفون الحقَّ، ولا يختلفون فيه، هم دعائم الإسلام، وولائج الإعتصام، بهم عاد الحقُّ إلى نصابه، وانزاح الباطلُ عن مقامه، وانقطع لسانه عن منبتِهِ، عقلوا الدّين عقل وعاية ورعاية، لاَ عقل سماع ورواية، فإنّ روّاة العلم كثير، ورعاتُه قليل». «نهج البلاغة الخطبة عدد ٢٣٦».

نعم هذه الفقرات المنقولة من نهج البلاغة على لسان الإمام علي بن أبي طالب عليه السّلام تُعطينا صورة حقيقية عن مدى الصّلة الوثيقة التي تربط النّبي بعترته وتجعلهم وحدهم هم الإمتداد لرسالته وهم وحدهم المبلّغين عنه ما صدع به لكل الإنسانية على مرّ الدّهور وعلى اختلاف مشاربهم ومآربهم.

والإمام أمير المؤمنين عليه السّلام لم يكتفِ بتوضيح مقام العترة الطّاهرة ومنزلتهم عند المسلمين بل أوضح بأنه سلام الله عليه هو قطب الرحى وسيد العترة وأبان عن دوره الخطير الذي أوكل إليه من الله ورسوله ليقوم به في الناس ولا يتركهم هملا فلنستمع إليه يقول:

«. . . فأين تذهبون؟ وأنّى تؤفكون؟ والأعلام قائمةٌ، والآياتُ واضحةٌ، والمنارُ منصوبة! فأين يُتاهُ بكم؟ بل كيف تعمهون؟ وبينكم عترةُ نبيّكم، وهم أزمّة الحقُ، وأعلام الدّين، وألسنةُ الصّدق! فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن، وردوهم ورودَ الهيم العِطاشِ.

أيّها الناسُ! خذوها عن خاتم النّبيّين صلى الله عليه وآله وسلم إنّه: «يموتُ من ماتَ منّا وليس بميّتٍ، ويبلى من بليَ منّا وليس ببالٍ» فلا تقولوا بما لاَ تعرفون، فإنّ أكثر الحقّ فيما تنكرون، واعذروا من لاَ حجّةَ لكم عليه ـ **وأنَا هو** ـ.

ألم أعمل فيكم بالثقل الأكبر، وأترك فيكم الثقل الأصغر؟ وركّزتُ فيكم راية الإيمان، ووقفتكم على حدود الحلال والحرام، وألبستكم العافية من عدلي، وفرشتكم المعروف من قولي وفعلي، وأريتكم كرائم الأخلاق من نفسي. فلا تستعملوا الرّأى فيما لاَ يُدرِكُ قعرَهُ البصرُ، ولاَ يتغلْغَلُ إليه الفكر». «نهج البلاغة الخطبة ٨٦».

وأنتَ أيّها القارىء الكريم إذا تأمّلتَ في قول الإمام علي عليه السلام تجده تفسيراً لحديث الثقلين الذي رواه أهل السنة والجماعة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله:

«تركتُ فيكم الثّقلين كتاب الله وعترتي، ما إن تمسّكتُم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً».

فقول الإمام علي: ألم أعمل فيكم بالثّقل الأكبر، وأترك فيكم الثّقل الأصغر دليل على أنّ الإمام عمل في النّاسِ بأحكام القرآن التي لا يعرفُها على حقيقتها غيره، وترك فيهم بعده الثقل الأصغر وهم الأئمة من ولده ليقوم كلّ واحدٍ منهم بنفس الدّور الذي قام به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أمُّته، فإذا تمعنّا في قول النّبي تركتُ فيكم الثّقلين وقول الإمام علي ألم أعمل فيكم بالثقل الأكبر فهمنا بأنّ دور العترة الطّاهرة هو تفسير وبيان كتاب الله للأمة كي لا يختلفوا بعد نبيّهم.

ويؤيّد هذا قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «في كلّ خلف من أمّتي عدول من أهل بيتي، ينفون عن هذا الدّين تحريف الضّالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ألا وإنّ أئمّتكم وفدكم إلى الله، فانظروا من توفدون»[1].

وكذلك قوله صلّى الله عليه وآله وسلم:

«النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمانٌ لأُمّتي

---

(١) الصواعق المحرقة لابن حجر الشافعي في صفحة ٩٠ وصفحة ١٤٨.

من الإختلاف فإذا خالفتها قبيلة من العرب، اختلفوا فصاروا حزب إبليس»[١].

وقوله أيضاً عليه أفضل الصّلاة وأزكى السلام وعلى آله:

«إنّما مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق»[٢].

ومن خلال هذا البحث الموجز يتبيّن لنا الرُّشدُ من الغيّ ويحقّ لنا أنْ نقول بأن الشيعة الإمامية هي الحق لأنها الفرقة الوحيدة التي تمسّكتْ بالثقلين وركبتْ سفينة النجّاة واعتصمتْ بحبل الله فلم تتقدّم على أهل البيت ولم تتخلّف عنهم إنما والتهُم واقتدت بهم فاهتدتْ بهديهم وسارت على نهجهم.

«. . . ذلك القرآنُ فاستنطقوه ولن ينطقَ ولكن أُخبركم عنه، ألاَ إنّ فيه علم ما يأتي، والحديث عن الماضي، ودواء دائكم، ونظم ما بينكم». «**نهج البلاغة الخطبة ١٥٦**».

«. . . وعليكم بكتاب الله، فإنّه الحبلُ المتينُ، والنورُ المبينُ، والشّفاء النّافعُ، والرّي النّاقعُ، والعصمةُ للمتمسّك، والنجاة للمتعلّق، لاَ يَعوجُّ فيُقامَ، ولاَ يزيغُ فيسْتعتبَ، ولاَ تُخلقُه كثرةُ الرَّدِّ وولوج السّمع، من قال به صَدقَ، ومن عَمِلَ به سَبقَ». «**نهج البلاغة الخطبة ١٥٤**».

«. . . وخلّف فيكم ما خلَّفتِ الأنبياء في أممها إذ لم يتركوهم

---

(١) مستدرك الحاكم صفحة ١٤٩ من الجزء الثالث.

(٢) مستدرك الحاكم صفحة ١٥١ من الجزء الثالث وابن حجر في صواعقه ص ١٨٤.

هَمَلاً بغير طريق واضح، ولا عَلَمٍ قائم، كتابُ ربّكم فيكم مبيّناً حلاله وحرامه، وفرائضه وفضائله، وناسخه ومنسوخه، ورخصه وعزائمه؛ وخاصّه وعامّه، وعبره وأمثاله، ومرسله ومحدوده، ومحكمه ومتشابهه، مفسّراً جمله، ومبيّناً غوامضه، بين مأخوذٍ ميثاقُ علمه، وموسّعٍ على العباد في جهله، وبين مثبّت في الكتاب فرضُه، ومعلوم في السنّة نسخُه، وواجبٍ في السنّة أخذه، ومرخّصٍ في الكتاب تركُهُ، وبين واجبٍ بوقته، وزائل في مستقبله، ومُبَايَنٌ في محارمه، مِنْ كبير أوعد عليه نيرانَه، أو صغيرٍ أرصد له غُفرانَه، وبين مقبولٍ في أدناه، موسّعٍ في أقصاه». «نهج البلاغة الخطبة ١».

الإلتزام بالدّين في الماضي والحاضر

من المعلوم بالضرّورة أنّ الدّين الإسلامي الذي أُرسل به النّبي محمّد صلى الله عليه وآله وسلم هو خاتمة الأديان من حيث التشريع، قال تعالى: **﴿ما كان محمّدٌ أبَا أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين. . .﴾** «الأحزاب/ ٤٠».

وبما أنّ محمّداً هو خاتم الأنبياء والمرسلين وكتابه هو آخر الكتب المنزّلة من عند الله، فلا نبيّ بعد محمّد ولا كتاب بعد القرآن الكريم، ودين الإسلام كما جاء به محمّد هو الدّين الأصل الذي انصهرت فيه كلّ الأديان السّماوية قال تعالى: **﴿هو الذي أرسل رسولَه بالهُدى ودين الحقّ ليظهره على الدّين كلّه وكفى بالله شهيداً﴾**. «الفتح/ ٢٨».

فبعد بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وجب على كلّ البشريّة أن يعدلوا عن الدّيانات السّالفة من يهودية أو نصرانية ويعتنقوا الإسلام ويعبدوا الله سبحانه بالشريعة المحمّدية لأن الله سبحانه وتعالى لن يرضى بسواها قال تعالى: **﴿ومن يبتغِ غير الإسلام ديناً فلن يقبلَ منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾**. «آل عمران/ ٨٥».

ونفهم من هذٰا أنّ اليهود والنّصارى مهما إدّعوا على صحّة تشريعاتهم وأنّهم يتّبعون سيدنا موسى وسيدنا عيسى إلاّ أنّ الواقع يقتضي اتّباع سيدنامحمد عندما بعثه الله، ولا يمكن للنصراني أن يقول سأبقى على ديني، كما لا يمكن لليهودي أن يقول بذلك أيضاً فمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بعث للنّاس كافّة ورحمةً للعالمين على اختلاف أديانهم ومذاهبهم وأجناسهم وهذا لا يعني طعْناً في الشرائع السّماوية السّابقة ولكنّ الله سبحانه خالق البشر هو الذي عَلِمَ بأنّ عباده حرّفوا تشريعاته وحللواوحرّموا حسب أهوائهم فضلّوا وأضلّوا من جاء بعدهم، فكانت بعثة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم رحمةً لهم جميعاً لكي يشتروا أنفسهم ويرجعوا إلى الحق فيفوزوا بالجنة، ولكنّ أكثر النّاس للحق كارهون لعبثْ بهم الأهواء والعصبيّات واجتالتهم الشّياطين فتمادوا في غيّهم.

قال تعالى في شأنهم:

﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين مُنفكّين حتّى تأتيهم البيّنة* رسولٌ من الله يتلوا صُحفاً مطهّرةً * فيها كتب قيِّمة * وما تفرّق الذين أوتوا الكتاب إلاّ من بعدما جاءتهم البيّنة...﴾.
«البيّنة/ ١ ـ ٤.»

ولاَ يكفي أيضاً أن يقول يهوديٌّ أو نصرانيٌّ: أنا أؤمن بالنّبي محمّد وسأبقى على ديني، كما سمعتُه شخصيّاً من بعض النّصارى العرب، فنقول لهؤلاء: انّ الله سبحانه لا يقبل منكم إلاّ إذا اتّبعتموه، قال الله في ذلك:

﴿الذين يَتّبعون الرّسول النّبيّ الأمّي الذي يجدونه مكتوباً عندهم

في التوراة والإنجيل، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحلّ لهم الطيّباتِ ويحرّم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم، فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتبعوا النّورَ الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾. الأعراف/ ١٥٧.

وهذه الدعوة من الله سبحانه وتعالى لم تقتصر على اليهود والنصارى والذين يمثّلون في مجموعهم أهل الكتاب - بل تعدّتهم وشملت كلّ الإنسانية بأسرها وبدون استثناء.

قال تعالى: **﴿قل يا أيها النّاس إنّي رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السماوات والأرض لا إله إلاّ هو يحيي ويميتُ فأَمنوا بالله ورسولهِ النّبيّ الأمّي الذي يؤمن بالله وكلماته واتّبعوه لعلكم تهتدون﴾**. **«الأعراف/ ١٥٨»**.

فالقرآن صريح في وجوب الإتباع لاَ مجرّد الاعتقاد بنبوته صلى الله عليه وآله وسلم، وهذه حكمة الله في إرسال الرُسل، فلم نسمع على مدى التّاريخ بأن رسولاً بعثه الله للنّاس ليقول لهم: إبقوا على ما أنتم عليه من الدين الذي ورثتموه من الرسول الذي جاء من قبلي»[1].

---

(١) لذلك تحوّل اليهود إلى عنصريين، لا يقبلون إلا من كان دمه يهودياً فيجمعون شتاتهم مدّعين أنهم (شعب الله المختار) وما دونهم ليسوا بالبشر! معتمدين على التوراة التي ضاعت وتلفت بعد السبي البابلي اثر استيلاء (نبوخذ نصّر) على بيت المقدس سنة (٥٨٦ ق. م) فقد بقي من سلم من القتل من اليهود في الأسر البابلي سنة (٤٥٧ ق. م) حين رجعوا إلى فلسطين بمعونة (كورش) ملك الفرس، وبعد رجوعهم جمع الشخص المدعو (عزرا) كتب العهد القديم وصححها وهي التوراة الموجودة اليوم!!.
ومن هنا تعلم أن بين ضياع التوراة، وجمعها ثانية أكثر من (قرن وربع قرن) قتل خلال ذلك حفظتها أو ماتوا في الأسر، حين كان محرماً عليهم القيام بأي=

نعم قالوا جميعاً بوجوب الإيمان والتصديق برُسل الله جميعاً حتى لا يخدش خادش في نبوّتهم أو يُغالي مغالٍ في كنههم فينزلهم بمنزلة الربوبيّة، قال تعالى:

﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربّه والمؤمنون كُلٌّ آمَنَ بالله وملائكته وكتبه ورسله لاَ نفرّقُ بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربّنا وإليك المصير﴾. «البقرة/ ٢٨٥».

فإذا عرفنا بأنّ الدّين الإسلامي هو آخر ما أتحف الله به عباده المؤمنين وأنّ تشريعاته وأحكامه صالحة لكلّ زمان وفي كلّ مكان لأنّه لاَ نبيّ بعد محمّد ولاَ كتاب بعد القرآن بدليل قوله تعالى: **﴿اليوم أكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلام ديناً﴾**. «المائدة/ ٣».

= نشاط ديني!

ولذلك جاءت التوراة فيها بصمات البشر بالأساطير والتناقض ومخالفة الحقائق وتزيين الوقائع وهكذا... إلخ.

ونفس الشيء حدث للمسيحية، فالأناجيل الأربعة، لم يُدوّن منها شيء على عهد المسيح (عليه السلام) وأقدمها انجيل (مرقص) كتب بعد أربعين سنة في روما!

لذلك كان شبيهاً بالتوراة من ناحية التحريف، فضلاً عن أنهم في عهد أوغسطين الذي مازج بين الوثنية وعبارات الإنجيل، وثنية يجتمع عليها وثنيو الهند والصين والمصريين القدماء، من عقيدة التثليث، ونسب القبائح للأنبياء (عليهم السلام) بل وحتى النبي عيسى (عليه السلام)!.

فضلاً عن انهم عطّلوا هدف الأديان لهداية البشر عندما ادّعوا أن المسيح فدى المجرمين والعصاة فلا داعي بعده إلى هداية وبعث رسل آخرين!

وللمزيد راجع الرحلة المدرسية، والهدى الى دين المصطفى للشيخ محمد جواد البلاغي (قده)!

ولكنّ بعض المسلمين إن لم نقل أكثرهم لاَ يلتزمون بأحكام الإسلام وتشريعاته مدّعين بأنّه صعب التّطبيق ولا يقدر عليه عامّة النّاس والبعض منهم وهم المثقفون يقولون بوجوب تطوير الأحكام حسب مقتضيات العصر فهم يرون ضرورة الاجتهاد في كلّ شيء ويدّعون أن الاجتهاد هي ميزة من مميّزات الإسلام ومفخرة من مفاخره.

وهؤلاء المثقفون قد يؤثّرون في عقول كثير من الشباب الطّالبي خصوصاً وأنّهم يتظاهرون بحبّهم للإسلام وحرصهم الشّديد على تطبيق أحكامه، ويرجعون سبب تخلّف المسلمين وانحطاطهم لأنهم لم يُطوروا دينهم الذي نشأ منذ خمسة عشر قرناً في زمن لم تكن فيه وسائل النقل والمواصلات سوى الدّواب من البغال والحمير.

أمّا اليوم ونحن نعيش عصر الصواريخ التي تفوق سرعة الصّوت وعصر التلفون والفاكس والكومبيوتر الذي يمكن من خلاله الإتصال بأي نقطة في العالم خلال بعض الثّواني فلا يمكن أن نبقى ننظر إلى القرآن بتلك النظرة السطحية فنحكم على السّارق بقطع يده وعلى المجرم بحزّ رأسه بالسيّف فوق النّطع، ولهم في ذلك فلسفات غريبة.

حتّى أنني كنتُ أتحدث مرّة مع أستاذ جامعي من هؤلاء المجددين أو رُوّاد التجديد والتطوير، فقُلتُ في معرض كلامي قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لاَ فتى إلاَّ علي ولا سيف إلّا ذو الفقار».

فضحك منّي كثيراً وقال لي: يا دكتور لاَ تُعِدْ مثل هذا الحديث فقد كان صالحاً في زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يوم كان

للسيّف دوراً في كسب المعارك وكان هو السلاح الوحيد الذي يتغنّى به الأبطال في أشعارهم، أمّا اليوم فنحن في عصر الرشّاشة التي تقذف سبعين طلقة في الثّانية، والطّائرات النفّاثة التي تدمّر مدينة بأسرها خلال دقائق، بل في عصر القنابل الذريّة والأسلحة النّووية التي تقضي على قارة بأكملها في لحظات، فهل أنت غافل عن كل هذا ولا زلتَ تتحدّث عن السيف وعن شجاعة الإمام علي بن أبي طالب؟

قلتُ: نعم إنّ هذا لاَ يُفنّدُ ذاك ولاَ يُناقضُ ولكل مقامٍ مقال، ألم تَرَ أن الله سبحانه وتعالى عندما تكلّم عن الأسلحة جمعٌ في كلمة واحدة كلّ وسائل الدّمار عندما قال بأوجز عبارة «**وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّةٍ ومن رباط الخيل**». «الأنفال/ ٦٠».

وبهذا جمع القرآن الكريم بين ما عليه النّاس في زمن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم من مفاهيم عسكريّة لكسب المعركة وبين ما عليه النّاس في هذا العصر أيضاً فتعبير القرآن بقوله:

﴿**وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة...**﴾. «الانفال/ ٦٠» يفهمها كل واحد بلغة عصره، ومصدر القوّة ومعناها عند الجميع واحدة وهذا نظير قوله سبحانه وتعالى:

﴿**وأنزلنا الحديدَ فيه بأسٌ شديد ومنافع للنّاس**﴾. «الحديد/ ٢٥».

فكل الأسلحة من البدائية كالسيّف والخنجر والمتطوّرة كالدّبابة والرشاشة والقنبلة، كلّها معنيّة بالبأس الشّديد، وكلّ وسائل الترفيه والرّاحة والمناعة من سيّارات وطائرات وبواخر وتلفزات وغيرها معنية بـ «**منافع للنّاس**» فسبحان من أنزل الحديد وألانه للنّاس وعلمّهم ما لم يكونوا يعلمون.

وهكذا يكون القرآن الكريم في متناول الجميع يفهمه كلّ جيل بلغة عصره، أمّا قولك: لا يمكن أن ننظر إلى القرآن بنظرة سطحية فنحكم على السارق بقطع يده وعلى المجرم بحزّ رأسه بالسيّف، فإذا كنتَ بهذا تسعى إلى تغيير أحكام الله بأحكام بشرية يزعم أصحابُها بأنّهم أرأف وأحنّ على العباد من خالقهم، فهذا لا سبيل إليه وهو كفرٌ صريح ما بعده كفرٌ.

أمّا إن كنتَ تقصد بالتّطوير، هو تطوير وسائل إعدام المجرم ووسائل قطع يد السّارق فهذا فيه نظر لأنّ هذه أمور ثانوية لم يركّز عليها التشريع الإسلامي وإنّما شدّد على الإلتزام بإقامة حدود الله في القصاص حتى قال سبحانه: ﴿**يا أيها الذين آمنوا كُتبَ عليكم القصاصُ... ولكم في القصاصِ حياةً يا أولي الألباب لعلّكم تتقون**﴾. «البقرة/ ١٧٨ ـ ١٧٩».

أمّا أن تقطع يد السّارق بسيف أو بساطور، أو بآلة حديثة فهذا يمكن للحاكم الشرعي أو للمرجع الديني أن يجتهد فيه.

والمهم يا حضرة الأستاذ أن لا نبدّل أحكام الله بالأحكام الوضعية التي أقرّتها النُّظم الأوروبية فألغتْ قانون إعدام المجرمين مهما بلغت جرائمهم، ومعنى قول الله سبحانه:

﴿**ولكم في القصاصِ حياةٌ يا أولي الألباب...**﴾ أنّه إذا عطّلنا أحكام الله وألغينا القصاص فستكون حياتنا بدون أمن وأمان وسوف يعيث المجرمون فيها فساداً ويهلكوا الحرث والنّسل فتصبح الحياة جحيماً لا خير فيها.

بدأ الأستاذ يناقش ويقول: إنّه لاَ يُعالجُ الشرّ بالشرِّ وإنّ

الإحصائيّات أثبتت أن الذين أُعدموا بتهمة الجريمة بعضهم كان بريئاً.

قلت: مع احترامي لك يا حضرة الأستاذ ولكنك بقولك لاَ يُعالجُ الشرُّ بالشرِّ فقد جعلتَ نفسك أعلم من الله خالق البشر. وهذا ليس من حقّك، وأما قولك بأنّ بعض الذين أعدِموا كانوا أبرياء فهذا موضوع آخر، وأُحيطك علماً بأنّ الإسلام لا يُعاقب على الظنّ والتهمة إنّما بالبيّنة والشهود والاعتراف.

ولم تُجدِ المناقشة فقد تمسّك كلّ منّا بما عنده[١].

---

(١) إن أمثال هذا الأستاذ من المتفرجنين الذين يعيشون العقدة والسقوط أمام كتل الحديد والأحجار المصفوفة ولو علىٰ سرقة واغتيال الشعوب والبشرية، فهذه النازية ما أن أحسّ أنها تمتلك بعض الأسلحة حتىٰ رخصت شعارها (الجنس الآري) دمرت فيها حضارات خلال ربع قرن بحريتين مدمرتين، ولم يكن الحلفاء بأفضل منهم، حيث دخلوا غازين ناهبين باسم الاستعمار، ممزقين الشعوب إلى دويلات ليسهل عليهم السيطرة على الحصص والموارد، هكذا بنوا حضارتهم المزيفة على دماء وعرق وجهد الشعوب المقهورة! وبنفس النفس النازي نجح التسلط الأمريكي بأخذ الخوّات وابتزاز الدول وتبنيّ دولة شذاذ العالم (إسرائيل) في السرّ والعلن واستخدام حق الفيتو!

بينما علي بن أبي طالب عليه السلام، جاء لإحياء الإنسانية في الإنسان، مطبقاً الإسلام المحمدي الأصيل، ليقول (القويّ عندي ضعيف حتىٰ آخذ الحق منه، والضعيف عندي قوي حتىٰ آخذ الحق له) لقد حرر الإنسان عندما حارب أعداء الإنسانية، ويقول لقائده مالك الأشتر «ولا تكن عليهم سبعاً ضارياً... فالناس صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق» وقال: «لا تكن عبد غيرك وقد خلقك الله حراً»!

فالإنسان أي إنسان الأسود، والفقير، والضعيف ينضوي تحت راية علي بن أبي طالب التي تحمل تلك القيم التحررية السامية وحقوقها!!

بينما يذلّ ويستضعف البعض أمام التكنولوجيا التي يمتلكها تجار الحروب ومصّاصي دماء الشعوب!!!

ولا بأس بأن نختم هذا المقطع من البحث بما قاله أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بحقّ النبي محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وبحق الدّين الإسلامي، «بعثه بالنّور المضيءِ والبرهان الجليّ، والمنهاج البادي، والكتاب الهادي، أُسرتُه خير أُسرَة، وشجَرتُه خير شجرة، أغصانُها مُعْتدلةٌ وثمارُها متهدّلةٌ، مولده بمكّةَ، وهجرتُه بطيبَةَ، عَلا بها ذكرهُ وامتدّ منها صوتُهُ، أرسلهُ بحجّة كافيةٍ، وموعظةٍ شافيةٍ، ودعوةٍ مُتلافيةٍ، أظهرَ بهِ الشرائعَ المجهولةَ، وقمعَ به البِدَعَ المدْخُولَةَ، وبيّنَ به الأحْكامَ المفصولَةَ، فمن يبتغِ غير الإسلام ديناً تتحقّقْ شِقْوَتُهُ، وتَنْفَصِمْ عُرْوَتُهُ، وتعظم كَبْوَتُهُ، ويكُن مآبُهُ إلى الحُزن الطّويل والعذابِ الوبيل. . .». «نهج البلاغة الخطبة ١٥٩».

هو بالضبط ما عبّر عنه القرآن الكريم بقوله: **﴿ومن يبتغِ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾**. «آل عمران/ ٨٥».

ولا أعتقدُ أن يبقى بعد هذا البيان حجّة أو اعتذار لأولئك الذين يتزلّفون لأصدقائهم من اليهود والنّصارى ويقولون لهم: نحن وإيّاكم على الحقّ ما دمنا نعتقد بإلٰهٍ واحدٍ هو الذي أرسل موسى وعيسى ومحمّد، وإذا اختلفنا في الأنبياء فإننا متّفقون على الذي أرسلهم إلينا.

﴿قل أتحاجّوننا في الله وهو ربّنا وربّكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكُم ونحن له مُخلصون * أم تقولون إنّ إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباطَ كانوا هوداً أو نِصارى قل أأنتم أعلَمُ أم الله ومن أظلمُ ممّن كتَمَ شهادةً عنده من اللّهِ وما اللّه بغافلٍ عمّا تعملون﴾. «البقرة/ ١٣٩ـ١٤٠.»

هل الإسلام صعبٌ لا يقدر عليه النّاس؟

إنّه ادّعاء لاَ أساس له من الصحّة أبداً، ومن يقول به فهو جاهلٌ لا يعرف من الإسلام شيئاً، أو هو مغرض يريد تنفير النّاس من دينهم وترك الإلتزام بتشريعه وأحكامه. أو هو من المتزمّتين المغالين الذين لاَ يأخذون إلاّ بأَراء أولئك الفقهاء المتشدّدين الذين حرّموا على النّاس أن يعبدوا ربّهم إلاّ إذا كان من طريقهم ونصّبوا أنفسهم كأنهم أوصياء الله على شريعته فحلّلوا وحرّموا حسب عقولهم أو حسبما وصلت إليهم من أخبار.

وأوّل ما يتبادر للأذهان في هذا الصّدد قول الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم «يسّروا ولا تعسّروا، بشّروا ولا تنفّروا ولا تشدّدوا على أنفسكم فيشدّد الله عليكم كما فعل ببني إسرائيل».

وكان كثيراً ما يقول بحضرة الصحابة:

«إنّ الله لم يبعثني معنّتاً ولاَ متعنّتاً ولكن بعثني معلماً مُيسّراً»،

والمعروف أيضاً أنّه مَا خُيّر بين أمرين إلاّ اختار أيسرهما.

والرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن مُشرّعاً كما يتوهّمه البعض عندما يقرؤون قول الله تعالى: ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾، «الحشر/٧» فأمر الرّسول ونهيه لاَ ينبع من ذاته بل هو مبلّغ عن ربّه ولا يفعل إلاّ ما أُمر به دون زيادة أو نُقصان فكلّ الأوامر وكلّ النّواهي إنّما هي من وحي الله سبحانه ولو لم يسجّلها القرآن ظاهريّاً لأنّه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

وما دام الأمرُ كذلك فهلّم بنا إلى القرآن نستفتيه هل الإسلام صعبٌ ولا يقدر عليه النّاس؟ حتّى يتبين لنا صدق الإدّعاء أو كذبه وحتّى نكون على بيّنة من أمرنا.

وأوّل ما يُطالعنا القرآن الكريم بالمبدأ العام للدّين الإسلامي الذي يرفع الحرج عن معتنقيه فلا يرضى لهم المشقة.

قال تعالى: ﴿**هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدّين من حرج...**﴾ «الحج/ ٧٨»، وقال أيضاً: ﴿**ما يريدُ اللّه ليجعل عليكم من حرجٍ ولكن يريد ليطهّركم وليتمّ نعمته عليكم لعلّكم تشكرون**﴾. «المائدة/ ٦».

وقال عزّ وجلّ: ﴿**يريدُ اللّه بكم اليُسْرَ ولا يريد بكم العُسْرَ...**﴾ «البقرة/ ١٨٥». هذا بخصوص الأمّة الإسلامية التي اعتنقت دين الإسلام والتزمتْ بأحكامه وتشريعاته في العبادات والمعاملات.

وقد شملت رحمةُ الله الخالق لعباده المخلوقين على اختلاف أديانهم فتحنّن عليهم جميعاً ولم يكلّف واحداً منهم مشقّةً.

قال تعالى في مطلق الإنسان: **﴿من نطفة خلقه فقدّره* ثم السّبيل يسّرَهُ﴾** «عبس/ ١٩ـ ٢٠»، فسبيل الله الذي يسلكُه الإنسانُ في حياته كادحاً للرّجوع إلى ربّه هو طريق اليسْر وليس طريق العسر والمشقّة.

ولقد كرر الله سبحانه وتعالى في كتابه المجيد خمس مرّات تكليف الإنسان ما بوسعه وبما يُطيق، قال سبحانه وتعالى:

﴿لاَ يُكلِّفُ اللَّهُ نَفساً إلاّ وُسْعَهَا﴾. «البقرة/ ٢٨٦».

﴿لاَ نَكلِّفُ نفساً إلاّ وُسْعَهَا﴾ «الأنعام/ ١٥٢».

﴿والذين آمنوا وعملوا الصّالحات لاَ نُكَلِّفُ نفساً الاّ وُسْعَهَا﴾. «الأعراف/ ٤٢».

﴿ولاَ نُكلّفُ نفساً إلاّ وُسْعَها ولدينا كتابٌ ينطقُ بالحقّ وهم لا يُظلمون﴾. «المؤمنون/ ٦٢».

ونفهم من كلّ هذا بأنّ الله سبحانه لم يكلّف إنساناً إلاّ بمقدُوره وذلك من عهد آدم عليه السّلام وإنّما إذا وُجدت هناك مشقة أو حرجٌ في أي دين من الأديان السماوية فإن ذلك من اجتهادات البشرية الذين تأوّلوا مقاصد الشريعة حسب آرائهم، أو أنّ البعض منهم ولكثرة ذنوبهم أخذوا يُعذّبونَ أنفسهم بالمشقّة طمعاً في المغفرة أو قربَة لله فشدّدوا على أنفسهم بأشياء ابتدعوها في الدّين فألزمهم الله بها ولكنّهم فشلوا في تحمّلها[1]. قال تعالى:

---

(١) تتحقق الرهبانية بأمرين:
أ ـ رهبانية جادة تفر بنفسها لكي لا يمسها الضروتنجو بنفسها! محمد باقر الصدر ـ السنن التاريخية في القرآن الكريم ص ١٠٣ وهذه من باب الوقوف على=

﴿ورهبانيّة ابتدعوهَا ما كتبنَاها عليهم إلاّ ابتغاء رضوان الله فما رعوها حقَّ رعايتها. . .﴾ «الحديد/ ٢٧».

وبهذا نفسِّرُ حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

«لا تشدّدوا على أنفسكم فيشدّد الله عليكم كما فعل ببني إسرائيل».

وبهذا نفسّر أيضاً قوله تعالى في النّبي محمّد صلى الله عليه وآله وسلم:

﴿يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحلّ لهم الطيّبات ويُحرّم عليهم الخبائثَ ويضعُ عنهم إصرَهُم والأغلالَ التي كانت عليهم﴾. «الأعراف/ ١٥٧» فالإصر والأغلال التي كانت عليهم همْ الذين ألزموا بها أنفسَهم وشدّدوا عليها.

ونستنتِجُ من هذا البحث أنّ الإسلام دينٌ ليسَ فيه حرج ولا مشقّة

= التل أسلم، وبالتالي ليفسح المجال أمام مختلف الادعاءات والتبريرات التي يضعها الحاكم ودسّ ووضع الأحاديث التي تؤيد مذهبه وحكمه!!

ب ـ رهبانية مفتعلة، يلبس مسوح العلماء ليحذر الناس من ظلم الطاغية! وسرعان ما ينكشف زيف تلك الأباطيل، كتبرير لا يجوز نزع يد الطاعة أو مفارقة الجماعة، كما فعلوا بالحسين عليه السلام إذ قدم نفسه وأهله لإنقاذ الدين الحق وهكذا تبعته الثورات العلوية والطالبية

وقريب منه في عصرنا زيف رهبان الكنيسة لخدمة الحكام والنبلاء وكانوا السبب في كفر الناس وابتعادهم عن الدين ،فصله عن السياسة، كما لا نزال نرى أن كثيرا من الحكام ووعاظهم يكرسون حالة الجهل والتخلف للمسلمين بالفتاوى التي تعزلهم عن مواكبة العصرنة، وعدم التلاقي مع المسلمين والتوحد معهم!!!

ولا عسر ولا إصر ولا أغلال، وإنما هو دين اليسرِ والرّحمة التي لا مشقّة فيها، ودينُ الرّخصة التي لاَ حرجَ فيها يُراعي ضعف الإنسان من جميع نواحيه النفسية والجسدية قال تعالى:

﴿يريد الله أن يُخفّفَ عنكم وخُلق الإنسانُ ضعيفاً﴾. «النساء/ ٢٨».

﴿. . . ذلك تخفيفٌ من ربِّكم ورحمةٌ﴾. «البقرة/ ١٧٨».

وسوف نرى إن شاء الله في ما يأتي من أبحاثٍ أنّ الإسلام كما عرفه أهل البيت عليهم السلام هوذا بدون اجتهاد المجتهدين وعسر المتشدّدين وانتحال المبطلين.

وسنعرف هناك بأنّ مسلمي العصر الحاضر يمكنهم أن يلتزموا بالشريعة بدون مشقّة ولا حرجٍ.

هل يقبل الإسلام التطور؟

نعم وبدون ريب أن الإسلام هو عين التطوّر والتقدّم والتجديد، وهو أرقى ما وصلت إليه البشرية منذ نشأتها ففي القرآن الكريم آيات عديدة تحثّ على العلم والتعلّم وتدعو الإنسان إلى استعمال العقل والرقي في مجالات الحياة إلى أبعد الحدود حتى إلى غزو الفضاء، ألم يقل سبحانه وتعالى: ﴿ **يا معشر الجنّ والإنس إن استطعتُم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا . . .** ﴾ «الرحمن/ ٣٣».

وهذا ما يعطي للإنسان حافزاً للتقدم والرقي والتطور فلا يقنع برقعة الأرض الصغيرة التي يعيش فيها حتى يمتدّ عنقه إلى ما حوله وما فوقه من السماوات والكواكب فيطمع في امتلاكها والاستفادة منها، ما دام خالقه قد أعطاه القدرات العلمية والمواهب الفكرية وأعلمه بأنه مكرّم عليها وأن جميع الكائنات مخلوقة ومسخّرة له ليكتشفها ويستفيد من وجودها قال تعالى: ﴿**الله الذي سخّر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلّكم تشكرون * وسخّر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه إنّ في ذلك لآيات لقوم**

يتفكّرون ﴾ «الجاثية/ ١٢- ١٣» وقال أيضاً جلّ وعلا: ﴿ **ألم تروا أنَّ الله سخّر لكم ما في السّماواتِ وما في الأرض وأسْبغَ عليكم نعمه ظاهرةً وباطنة ومن النّاس من يجادلُ في اللَّهِ بغير عِلمٍ ولا هُدىً ولا كتابٍ منير** ﴾ «لقمان/ ٢٠».

والمسلم الذي يقرأ في كتاب ربّه بأنّ كل ما في السماوات من أفلاك وأقمار وبروج ومجرّات وشموس وكواكب من هواء وسحب وثلوج وأمطار، وكل ما في الأرض من بحار وأنهار وجبال وغابات وأدغال ووحوش وحيوانات وكنوز ومعادن من جماد ونبات كلّها مسخرة له فكيف يبقى هذا المسلم مكتوف الأيدي حتّى يأتيه العلم والتقدم والاختراع من الغربيين؟! فإن فعل ذلك فقد أخَلَّ بواجبه وأحطّ من قيمته وخسر خسراناً مبيناً لأن قرآنه الذي نزل من عند الله، فيه كل شيء ولا ينقصه شيء ﴿ **ما فرّطنا في الكتاب من شيء** ﴾«الأنعام/ ٣٨» ولأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حثّه على طلب العلم فقال: «أطلبوا العلم من المهد إلى اللّحد» بل لقد حفّزه إلى المعالي عندما قال: «لو تعلقت همّة ابن آدم بما وراء العرش لناله» فالمستحيل لا يعرفه الإسلام في مجال العلم والتقدّم والرّقي ولولا خشية التطويل والخروج عن مقاصد الكتاب الذي نريده مختصراً مفيداً لكتبنا في هذا الموضوع كتاباً مستقلاً فعلى الباحثين الرجوع إلى المؤلفات العلمية.

هذا بخصوص الإجابة عمّا في العنوان إذا قُصِد بالتطور والتقدم العلمي والتقني والتكنولوجي في مجالات الصناعة والاختراعات التي غزت عقول الناس وبيوتهم من أوروبا وأمريكا ومن اليابان بالخصوص، والمسلمون مع الأسف غافلون عن كل ذلك، والبعض منهم بهرته الحضارة والاختراعات العلمية التي جاءت من غير المسلمين فظنّ بأن

الإسلام هو سبب تخلّفهم، خصوصاً منهم المتأثّرين بالشيوعية القائلة بأن الدّين هو «أفيون الشعوب» وغفل هؤلاء ولو أنصفوا لقالوا بأن الدّين الإسلامي هو باعث الشعوب ومحرّكها فقد خلق شعباً من العدم في الجزيرة العربية فأفاض على العالم بأسره من الهداية ومن الحضارة والعلوم والاختراعات الشيء الكثير حتى كتب بعضهم «شمس العرب تشرق على أوروبا» اعترافاً منهم بأن العرب بعد اعتناقهم الدّين الإسلامي والعمل به كانوا السبّاقين لكل خير ولكل اكتشاف واختراع[1].

---

(١) يقول المستشرق الهولندي (دوزي) [إن في كل الأندلس لم يكن يوجد رجل أميّ بينما لم يكن يعرف القراءة والكتابة في أوروبا معرفة أولية إلا الطبقة العليا من القسس]!! وسبق وبرز المسلمون في أوروبا في مختلف العلوم:

١ ـ في الجغرافيا والرحلات، كالرازي، وأبو عبيدة البكري، والغرري، والادريسي وابن جبير، وابن بطوطة.. وغيرهم، وقد وضع الادريسي كرة فضية ضخمة، تمثل الكرة الأرضية وما تزال محفوظة في مناطق برلين! وقد رسموا الخرائط التي استهدى بها الغرب الى الهند وغيرها.

٢ ـ الفلك: كان للمسلمين المراصد العلمية والفلكية في طليطلة وقرطبة وبغداد ودمشق، والقاهرة، وسمرقند وفارس! يقول (درابر) [وعرفت العرب حجم الارض بقياس درجة سطحها، وعينوا الكسوف والخسوف، ووضعوا للشمس والقمر جداول صحيحة وقدروا السنة وادركوا الاعتدالين...].

٣ ـ الهندسة: يقول (غوستاف لوبون) [وقد اخذت اوروبا من العرب تفاصيل في الزينة ووجدت على بعض الكنائس في فرنسا صور حروف عربية منحوتة في الحجر).

٤ ـ الرياضيات: يقول المستشرق (سيديو) [والعرب عنوا عناية خاصة بالعلوم الرياضية كلها، فكانوا اساتذة لنا في هذا المضمار بالحقيقة] وان (ليونارد البيزي) ألّف حوالي/١٢٠٠/ رسالة في الجبر الذي تعلمه من العرب! ويقول (حتي) في كتابة (تاريخ العرب) [والصفر الذي حلّ مشاكل كثيرة في العمليات الرياضية نُقل الى اوروبا من الاندلس، ولا يزال (ثغر) أو (زيرو)=

. . . .

= وليست إلا كلمة الصفر العربية]!!!

ومن أعظم النوابغ في الرياضيات: الحسن بن الهيثم، وابن سينا، والخوارزمي، وابن البناء وغيرهم وكتاب (الخوارزمي في الرياضيات ترجم الى اللغات الاوروبية)!

٥ ـ الفيزياء: أ ـ في الضوء، كابن الهيثم وله كتاب (المناظر) في سبعة مجلدات، وجداول من وضع الاقسام العين اسماء عربية تُرجمت الى اللغات الاجنبية لا تزال تعرف بها الى الان مثل (الشبكية) و(القرنية) و(السائل الزجاجي) و(السائل المائي)!!

ب ـ بيت الإبرة المغناطيسية: فالمستشرق (سيديو) والعالم (سارتون) وغيرهما يؤكدون ان العرب هم الذين عرفوا الإبرة المغناطيسية!

ج ـ الرّقاص: وسماه المسلمون (الموار) ومخترعه «ابن يونس المصري المتوفي! عام ٣٩٩ هـ ـ ١٠٠٩ م/ يستعمل لحساب الفترات الزمنية أثناء صد النجوم! وقد أشار العالم (سميث) في كتابة (تاريخ الرياضيات) أن (ابن يونس) سبق (غاليلو) في معرفة الرّقاص واختراعه!

٦ ـ الكيمياء: في الصبغ والدبغ، وصناعة المعادن وتركيب العطور، يقول (غوستاف لوبون) [ان المسلمين وحدهم الذين اخترعوا ملح البارود كمادة متفجرة دافعة قابلة لاطلاق القذائف، وعنهم اخذته انجلترا ثم بقية اوروبا . . .]!

٧ ـ الصناعة: يقول (فيليب حتي) [يعتبر الورق من الخدمات الكبيرة التي أسداها الاسلام الى اوربا والعالم] وازدهرت في الاندلس صناعة الفخار، والفسيفساء الملونة والمنسوجات! وكذلك انتقلت الى اوروبا صناعات المعادن، والزجاج والصناعات الخزفية الأخرى!

٨ ـ الزراعة: وكان المسلمون يعرفون خواص الأتربة والسماد الملائم لها، اكثر من غيرهم الى دجة عالية.

٩ ـ الطب: يقول (فيليب حتي) ويوم انتشر الطاعون في أوروبا في منتصف القرن الثامن الهجري ـ الرابع عشر الميلادي ـ ووقفوا هناك حياله مكتوفي الايدي على اعتبار انه قضاء الله، في هذا الوقت بالذات وضع الطبيب (ابن الخطيب) الغرناطي كتابه (حقيقة السائل عن المرض الهائل) ليؤكد نظرية العدوى ويبرهن عليها. . .). =

أما إذا قُصد بالتطوّر يعود ما عليه العالم الغربي في أوروبا وأمريكا من تطوّر اللباس في «الميني جيب» و «الميكرو جيب» والحرية المطلقة حتى لنوادي العراة واللّواط والممارسات الجنسيّة على الطرقات وفرض الميراث للكلاب والحيوانات وما يذاع في التلفزيون من تدهور للأخلاق فهذا كلّه لا يعترف به الإسلام ولا يتطوّر معه بل يحاربه ويعمل على سحقه والقضاء عليه.

بقيت هناك بعض الممارسات التي يأتي بها بعض المسلمين الذين يدّعون التمسّك بالسّنة النبوية ومن هؤلاء بالخصوص السلفيّين، فترى الواحد منهم يرتدي قميصاً طويلاً ولحيته تتدلى على صدره وبيده عصا وهو واقف على باب المسجد يستاك بعود الأراك وهو يدلك أسنانه عن اليمين وعن الشمال ويبصق تارةً وينفثُ أخرى ومعصّب رأسه وإذا جلست معه في البيت على مائدة الطعام، فإنه يرفض الجلوس على الطاولة كما يرفض استعمال الأواني المعدّة للأكل كالملعقة والشوكة ولا يأكل إلا بيديه وأصابعه مدّعياً أنه يفعل كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وذهب التطرّف بالبعض منهم أنّه منع آلة التسجيل ومكبّر الصوت في الأذان زاعماً أن ذلك بدعة لم تكن على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

= ولا يخفى عليك (ابو بكر الرازي ٨٥٠ ـ ٩٣٢ م) وابن سينا الذي بقت كتبه لوقت قريب تعتمد في الطب كمرجع، كالقانون والشفاء!!
هذه لمحة سريعة في بعض علوم المسلمين واثرها على النهضة الأوروبية وحتى عصرنا الحاضر.

وبلغ التطرّف ذروته عند بعضهم حتى أصبحوا يتصوّرون أنفسهم بأنهم سيقومون بإرجاع النّاس وحملهم على تطبيق هذه السنّة، التي ارتأوها فتراهم يزجرون وينهرون من يضحك بصوت عالٍ لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يبتسم ولا يضحك بصوت وقهقهة أو أنّهم يرفسون من وجدوه نائماً على بطنه بأرجلهم لأنها نومة شيطان، وقد حضرت أحدهم ضرب ابنته عندما قدمت للضيوف المشروبات فلم تبدأ باليمين وانتهرها وأهانها أمام الحاضرين ليعلموا أنه يحافظ على السنّة.

أيّة سنّة هذه التي تشمئزُّ منها النفوس وتنفر الناس منها وخصوصاً إذا مورست في مجتمعات غربية أمام أناسٍ يحقدون على الإسلام والمسلمين، وبدلاً من إعطائهم صورةً برّاقة وضّاءة عن نبيّ الإسلام وتكون زيْنَاً له ونحبّب الناس فيه فإذا بهؤلاء ينفّرونهم من الإسلام بتلك الممارسات التي لم يتعوّدوها ويكونوا شيناً عليه وعلى كل المسلمين.

والغريب أنه إذا حاولت الحديث معهم وأفهمتهم بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إتّخذ عود السّواك عندما لم يكن هناك فرشاة ومعجون الأسنان، فكان هو أسبق الناس لتنظيف الأسنان كما كان أسبق الناس لكلّ خير وكلّ علم وهذا يكفي للإستدلال ليعرف العالم بأسره أن نبيّ الإسلام هو الذي حفّز البشرية للاهتمام بتنظيف الأسنان وغير الأسنان.

ولكنّهم لا يقتنعون بهذا ويجادلون بأن عود الأراك هو أفضل من كل المكتشفات الحديثة لأن فيه أملاح وفيه ما فيه، ولو حدّثته عن كل الإختراعات والآلات الحديثة التي تنظّف وتعقّم الفم، فإنه يفضّل ذلك العود الذي يدُسّه في إحدى جيوبه ويخرجه بين الحين والآخر وقد احمرّ

لونه من دماء فمه فيضرب به يميناً وشمالاً وهو يردّد قول الرسول صلى الله عليه وآله:

«لولا أشقّ على أمتّي لأمرتهم بالسّواك قبل كلّ صلاة» ومع الأسف الشديد أن هؤلاء لم يفهموا من السنّة النّبويّة إلاّ ما هو سطحي وظاهري ولم يتعمّقوا إلى البعد الرّوحي والعلمي لأفعال وأقوال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

والغريب أنّهم متشبّثون بهذه الأفعال عن تقليد أعمى بدون حجّة وبدون فهم، ويردّدون فقط ما يسمعونه من مشايخهم وأئمّتهم وأغلبهم لا يُحسنُ القراءة والكتابة ولعلّهم كثيراً ما يصرّون على أمّية النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأنّه كان لا يعرف القراءة والكتابة فهم مفخرة العصر إذ يمثّلون رسول الله شكلاً ومضموناً[1].

---

(١) ظاهرة السلفية، مرّ عليك سابقاً حالات التناقض والفوضى بين أصحاب الرأي ومدرسة الاجتهاد، وبما ان الاسلام رسالة عالمية لكافة البشر، ففيها ما يرضي ويقنع الأوروبي الغارق في مختبره وتكنولوجيته، وكذلك البدوي او الساكن في مجاهل أفريقيا لأنه دين الفطرة، والكامل في تشريعاته من مستحبات التخلي والمسواك الى اعظم الطروحات لأدارة الانسانية وكيفما كانت!

فأجدادنا فتحوا بلاد الروم سنة (١٧ هـ) وفارس (٥٦هـ) حتى اسبانيا سنة (٩٣ هـ) فلم يجلبوا معهم الخيم وعود السواك بل كما يقول (فكتور روبنسون) في موازنته بين الحضارة الاسلامية في الاندلس وبين الحالة في أوروبا [كانت أوروبا في ظلام حالك بعد غروب الشمس، بينما قرطبة تضيئها المصابيح العامة، كانت أوروبا قذرة بينما شيدّت (قرطبة) ألف حمام، كانت أوروبا تغطيها الهوام بينما كان اهل قرطبة مثال النظافة...]!!!

فإذا بنا نغني ونهذب الحضارات وهناك على ضوء اجتهاد بعض المدارس بلغوا اقصى اليمين بالمبالغة بالافراط كندماء ليالي الف ليلة وليلة وهناك تفريط المتصوفة واصحاب التكيات، وهناك المعتدل بينهما وهذا بسبب=

وقد جادلتُ بعضهم مرّةً في مسجد عمر بن الخطاب بباريس وقلتُ لهم إذا كنتم فعلاً تتمسّكون بالسنّة النبوية وترفضون كلّ ما هو جديد لأنّكم تقولون: «إن شرّ الأمور محدثاتها فكلّ محدّثةٍ بدعة وكل بدعةٍ ضلالة وكلّ ضلالة صاحبها في النّار! فقالوا: نعم وهذا هو الحق. فقلت: كيف تصلّون على «الموكيت» وهي المفروشات الإصطناعية التي تأتينا من بلاد الغرب ولا نعلم من أي المواد صُنعتْ، وبالتأكيد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يعرفها ولم يصلّ عليها قطعاً، فما هو جوابُكم؟

فقال بعضهم: نحنُ في بلاد الغربة وحكمنا حكم المضطر ألاَ تعلم أنّ الضرورات تُبيحُ المحظورات؟![1].

= التشريعات الذاتية في الاسلام!

ولكن عندما نتعصب بمسائل لم تبلغ مرحلة الكفر والحرام بل عبارة عن حالة النزوع او تشبّه بالكرام من القادة والصحابة، ونجعلها وكأنها هي كل الاسلام والقياس والمقياس، مثلا بعض السلفية يقول مالكم وما للكتب، خذوا العلم مشافهة، او يقومون بزيارات تحدي لأطباء الاسنان على اساس اهمية المسواك وغير ذلك!

الى هنا الامر لا بأس به ولكن ـ وما هو المتوقع وبعضه وقع ـ قد يتسلل لنا عملاء مخابرات يرفعون حرارة هؤلاء باصدار فتوى بحرق الكتب وعيادات الاسنان والصيدليات لانها من البدع والضلال جهلاً وجاهلية للاسلام ناسين انهم يمارسون أمثالها من البدع عندهم كاستعمال التكنولوجيا، والسفر الى الغرب فضلاً عن غفلتهم عن كبرى القضايا والانشغال بصغائرها.

(١) إن من نتائج المدرسة الفقهية السنية هي التساهل في موضوع الاجتهاد، إذ ينتج عن ذلك بان يفسر العامة المسألة حسب ما يرونه هم، لذلك نرى البعض يطبق المسائل بخلاف الواقع، وفي ذلك الطامة الكبرى.

مثلاً أطبق القاعدة في غير محلها فأقع في المحرمات والكبائر (الضرورات =

قلتُ: أي ضرورة؟ بإمكانكم أن ترفعوا هذه «الموكيت» وتصلّوا على الأرض كما كان الرسول يصلّي على الأرض، أو أنكم على الأقل تأخذون بعض الأحجار مكان السّجود.

فنظر إليَّ إمامهم وقال باستهزاء:

عرفتُ أنّك شيعي منذ دخلتَ المسجد ووضعتَ ورقةً مكان السّجود.

قلتُ: وهل عندك اعتراضٌ على ذلك؟ هل بإمكانك أن تقنعني بالسنّة الصحيحة التي ترفعون شعارها؟

أجاب: نحن نُهينا عن الجدال وخصوصاً مع الشيعة، كما لَسنا مستعدّين للإستماع إليك فلكم دينكم ولنا ديننا[1].

= تبيح المحظورات) إذ اضطر وبلا تروي أو تقوى، وخاصة في بلاد الغرب أن آكل من غير معرفة نوع الذبيحة، أو المقليات بدهن الخنزير، أو المرطبات التي يوضع فيها خمر!!

هذه ليست مشكلة ولكن المشكلة من لم يستاك أو يطلق لحية أو يصلي على ما يصح السجود عليه مستناً بسنّة رسول الله صلّى الله عليه وآله عندما صلى على تراب وحصيات مسجد قبا، فذلك بدعة وشرك!!

(١) لنستعرض بعض الأمور: رأى (أبو حنيفة) أحد جلسائه في ثياب رثة، فدس في يده ألف درهم وهمس (أصلح بها حالك) فقال الرجل (لست أحتاج إليها وأنا موسر وإنما هو الزهد في الدنيا) فقال أبو حنيفة، أما بلغك الحديث (إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده) شروط الاجتهاد، د. عبد العزيز الخياط ص ١٦.

فهذا من باب حفظت شيئاً وغابت عنك أشياءُ!

وهذا كمثل ذلك الشيخ الذي يفسّر الحديث النبوي كما يراه هو، ويطبقه جهلاً وسذاجة وحمقاً، قول النبي صلى الله عليه وآله (البذاذة من الإيمان) أي رثاثة الهيئة!!!

=

نعم هذه خواطر لا بد من ذكرها حتّى يتبيّن للمثقفين من المسلمين أنّ السنّة النبويّة لا تتعارض مع التقدّم العلمي والحضاري ولا تُحرّم أن يلبس الإنسان رجلاً كان أو إمرأة أيّ لباس يتناسب معه والمهم أن تكون عورته مستورة ولا يبرز مفاتنه الجسديّة، « فإنَّ الله لا ينظر إلى لباسكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».

السنّة النبويّة لا تمنع أن يجلس الإنسانُ على طاوله ويتناول طعامه بالملعقة والشوكة والسكين، فالمهم أن يتأدّب في أكله وشربه فلا يشعر الجالسون أنّه في معركة كالحيوان مع فريسته وأنّ شواربه ولحيته شاركتا في الأكل والشرب.

السنّة النبوية لا تمنع أن ينظّف الإنسان المسلم فمه وأسنانه بالفُرشاة والمعجون والمواد المعدّة لذلك وأن يهتمّ بنظافة جسمه ظاهراً وباطناً ويحلق شعر إبطيه وعانته ويتطيّب فتكون رائحته تُنعش النفوس ويكون في جيبه منديلاً يدسّ فيه بصاقه أمّا الذين يدّعون السنّة ورائحتهم

= علماً أن باللغة معناها: سوء الحال، أو التفوق بالشيء، فضلاً عما يعارضه من أحاديث أخرى مثل قوله عليه السلام (نظفوا ثيابكم وحسنوا رحالكم حتى تكونوا كأنكم شامة بين الناس) رواه الحاكم عن سهل بن الحنظلية في الجامع الكبير ج١ ص١٥٢.

والأنكى من ذلك وكما بيّنا التساهل والتجرأ بالاجتهاد مما قد يخالف كتاب الله تعالى صريحاً جهلاً وتعصباً للرجال لا للدين والشريعة، فهي مخالفة للآية الكريمة ﴿ **خذوا زينتكم عند كل مسجد** ﴾ [الأعراف: ٣٠].

هذا فضلاً عن أن الإسلام يدعوا إلى حف الشارب، وقص اللحية، والأظافر ونتف الأبط والتزين يوم الجمعة... الخ.

فيجب أن نكون جميعاً نحن القدوة والصورة الحسنة لديننا النظيف الطاهر لا العكس!

كريهة مهما وضعوا من المسك لأن أجسامهم من الدّاخل غير نظيفة وخصوصاً في الصّيف ترى الشعر الطويل تحت إبطيه ورائحته الكريهة تنبعث منه وهو يمشي ويتمخّط على قارعة الطريق بين أصابعه ثم يقذف بمخاطه إلى أية جهة غير مبالٍ بالمارّة ويمسح أطراف يده في ثوبه وهو دائماً يمشي. . .، فأمثال هؤلاء بعيدون عن السنّة النبوية.

السنّة النّبويّة لا تمنع المسلمين من استخدام الأجهزة الحديثة كآلات التسجيل ومكبّرات الصوت لإيصال الأذان والنداء للصّلاة إلى البعيد، ولا تمنع من استعمال التلفزة والفيديو حتّى في المساجد من أجل الدروس الدّينية أو أفلام إسلامية في غير أوقات الصلاة.

السنّة النبويّة لا تحرّم على المسلم إذا دخل الحمامات وأماكن الرّاحة في المحطّات والمطارات أن يبول واقفاً في الأماكن المعدّة لذلك والمهمّ أن يستتر من بوله فلا ينجّس ثيابه ثم يتطهّر بغسل فرجه ﴿ **إنّ اللَّهَ يُحبّ التوّابين ويحبّ المتطهّرين** ﴾«البقرة/ ٢٢٢».

كما لا تمنع السنّة النبويّة على المسلمة استعمال المناشف الحديثة في أوقات الحيض كما لا تحرّم عليها أن تسوق السيّارة وتوصل أولادها للمدرسة أو أن تدخل للمغازات والأسواق لشراء ما يلزمها، والمهمّ أن لا تتبرّج وأن لا تكشف عورتها وأن تغض بصرها وتحفظ فرجها كما أمرها الله.

وباختصار أن السنّة النبوية لا تمنع التقدّم والحضارة ما دامت في صالح الإنسان وتهدف لراحته وإسعاده وحمايته من الأمراض والعدوى.

﴿ قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيّبات من الرّزق ﴾«الاعراف/ ٣٢» إنّما تحرّم السنّة النبوية كلّ النجّاسات والقذارات والأوساخ وما تشمئز منه النفوس بفطرتها كالروائح النّتنة والأظافر الوسخة والشعور الملبّدة والأعقاب المتنجّسة وقد قيل «إن الله جميل يحبُّ الجمال» ونحن نرى أن التجمّل غريزة فطرية في الإنسان والحيوان، فما من رجلٍ مؤمنٍ كان أو ملحدٍ إلاّ ومرّ بالمرآة قبل خروجه من البيت ليتجمّل ويصلح حاله حتّى أنّك لا ترى اليوم بيتاً واحداً يخلو من المرآة فإذا كان هذا من أفعال الرّجال فكيف نمنع منه النّساء، بشرط عدم التبرّج أمام الأجانب؟

والناس أعداء ما جهلوا فقد كنتُ في شبابي يُعجبني أن أكتحل في عينيَّ كل أربعاء، ورغم أن كتب السنّة كلّها تروي بأنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يديم الاكتحال ويحثّ عليه، غير أنّي في كل مرّة أُحسُّ بالغمز واللّمز من النّساء والرجال وكأنّي آتيت فاحشة فتركتُه مكرهاً رغم أنفي.

كما أنّ بعض العرب في البوادي يثقبون أذان الذكور ويعلّقون فيها بعض الأقراط وهو شائع عند بعض القبائل.

ولكنّنا إذا رأينا اليوم رجلاً من الفرنسيين في أذنه حلقة نستغربُ ونقول انّه متخنّث، كما إذا رأينا رجلاً شعره طويل مع أن التاريخ يثبتُ أن آلرجال كانوا يسدلون شعورهم كالنّساء حتّى أن بعض الرواة من الصحابة يروي أن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم كان له ظفائر والمهم أن نقول قول النّبي صلى الله عليه وآلم وسلم: «إنّ الله لا ينظر إلى لباسكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» وأن نقول

ما قاله الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «لعن اللَّهَ المتخنّثين من الرّجال والمترجّلات من النّساء».

أمّا أن نتشبّث بما فعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منذ أربعة عشر قرناً ونقول بمنع كل ما هو مستحدث بعده فهذا غير صحيح.

وأنت ترى المسلمين اليوم يتجادلون في رواية رواها البخاري في صحيحه من أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بال قائماً فيُقيمون منها قضيّةً وترى الشيعة يكذّبون هذه الرواية والسنّة يصححونها وتشعر وأنت تسمع إلى المنتقدين وكأنّك ترتكب إثماً كبيراً إذا بلتَ قائماً.

لماذا كل هذه الشدّة في دين الله لماذا كلّ هذه القيود التي كبّلتنا فأصبحنا نشعر بأنّ ديننا كلّه حرج في حرج، فالله سبحانه بريءٌ من ذلك إذ قال: «**وما جعل عليكم في الدّين من حرج**» «الحج/٧٨» ورسوله بريءٌ من ذلك إذ قال «يسّروا ولا تُعسِّروا بشِّروا ولا تنفِّروا».

وفي الختام نقول لهؤلاء جميعاً سلفيين كانوا، سنّيين أم شيعة هوّنوا على أنفسكم ولا تشدّدوا على المسلمين فتنفّروهم من الدّين ومن الإسلام بدلاً من أن تحبّبوهم فيه ولا تنسوا قول النّبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها».

أما إذا أردتم أن تكونوا أصوليين بالمعنى السّلبي للإسلام فما عليكم إلاّ إقتناء الحمير والبغال لتركبوها وتعودوا بها راكبين عليها إلى

بلدانكم لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان. يركبها وما عرف في حياته طائرةً ولا سيّارة فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا الله في إخوانكم وقولوا لهم قولاً معروفاً، وإذا أبيْتُم أنْ تتقدّموا فلا تتخلّفوا[1].

---

(١) مشكلتنا اليوم أن الوسائل انقلبت لدينا إلى غايات، وتركنا القضايا الكبرى والعامة التي يلتقي فيها ليس المسلمون فقط بل كل البشر الذين خلقوا على الفطرة إذ قد يكون عندهم من الخبرة البشرية ما يدعوننا ديننا أن نتفتح عليه كما أقرّ الإسلام كثيراً من العادات، كما وأن الدعوة إلى الإسلام انتشرت بواسطة التجار المسلمين وهكذا! ولكن ومما يؤسف حقاً، أننا نقدس الرجال وأقوالهم وكأنها هي الإسلام وحكم الإسلام كل الإسلام وما غيره فهو الباطل والشرك والزندقة!

مثلاً يرى أبو حنيفة أن القراءة خلف الإمام محرّمة، بينما يراها الشافعي واجبة، فهذه آراء غاية ما تمثل عندهم آراء أصحابها ووسائل تحصيل ذلك الفتاوى حسب اجتهاده، والمالكي يرى مثلاً إسبال اليدين كما عند الشيعة، فإذا بمسلم يرى أنه هو الحق ومذهبه فيدفع مصلياً مسلماً أثناء صلاته بالضرب والشتم (لا تصلي صلاة الكلاب)!!!

أو مشكلة من مرّ أمامك وأنت تصلي، تقيم الدنيا ولا تقعدها، أو مسلم جديد لا زال يلبس الذهب، أو يقرأ القرآن وهو مضطجع أو يحمل القرآن بشكل تشعر فيه إهانة أو لا يستخدم المسواك أبداً أو أو... الخ.

فنضرب بتعاليم الإسلام وأخلافيته عرض الجدار، ونخرج من إنسانيتنا نعربد ونزبد، ونكون قد أصلحنا المكروه بالمحرم، والفاسد بالأفسد!!!

المشاكل السياسية التي أحدثتها الحضارة

عندما أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه بالهجرة إلى الحبشة قال لهم: إذهبوا إلى الحبشة فإنّ بها ملكاً لا يُظلم عنده أحداً» ولكنّه لم يُعطهم جوازات سفر ولا طلب لهم تأشيرة دخول من حكومة الحبشة ولا ألزمهم بتغيير العملة المتعامل بها هناك.

لم يكن كلّ ذلك معروفاً ولا يُعمل به في ذلك العهد وإنّما أرض الله واسعة متى ضاقت بالإنسان بلاده، ركب راحلته وقصد ربّه أينما توجّه وجد بغيته ولا من رقيب ولا من حسيب يراقبُ أدباشه ولا من جمارك تطالبه برسم الحدود وضريبته أو ترجعه لأنه لا يحمل دفتر التلقيح، أو تطالبه بشهادة الملكية لدابّته التي يركبها فلعلّها تكون مسروقة أو أنها لم تدفع معلوم الطّريق.

نعم إنّ الحضارة، أو قل إنّ كثرة البشرية فرضت هذه الأشياء فالأرض قد قُسمت إلى بلدان ثم إلى دويلات متعددة وكلّ بلاد أو كل مجموعة تتكلّم نفس اللّغة اتخذت لها حكومة وكلّ حكومة اتّخذت لها علماً وحدوداً في البرّ والبحر وأقامت حراسة مشدّدة حتّى لا يدخل إليها

إلاّ من رغبت في دخوله ولمّا ازداد تعداد البشر أكثر فأكثر وطمع بعضهم في بعض واستغلّ بعضهم بعضاً بل واستعمر بعضهم بعضاً وكثرت الثّورات والإجرام إضطرّتْ المجتمعات الراقية إلى تشخيص كل مواطن من مواطنيها فحصرت المواليد والوفيات فكان لكلّ فرد شهادة ميلاد وبطاقة تعريف وجواز سفر وضُبطت الحدود فلا يدخل أحدٌ إلى بلاد أخرى غير بلاده إلاّ بعد الحصول على الموافقة والإلتزام بكلّ الشروط التي تفرضها تلك البلاد.

وإنّي كغيري من شباب المسلمين لمّا ضاقت عليّ بلادي وحاولتُ الهجرة إلى بلاد أخرى فإذا بالأبواب كلّها موصدة وخصوصاً منها البلاد العربية والإسلامية.

وكم أتحيّر عندما أقرأُ في كتاب الله قوله تعالى: ﴿ **إنّ الّذين توفّاهُم الملائكةُ ظالمي أنفسِهِم، قالوا فيمَ كنتُم قالوا كنّا مُستضعَفينِ في الأرض، قالوا ألم تكن أرضُ الله واسعةً فتهاجروا فيها، فأولئك مأواهم جهنّم وساءت مصيراً** ﴾ «النساء: ٩٧».

فأقول في نفسي إنّ الأرض لله بدون شكّ ولكنّ عباده تملّكوها واقتسموها ولم يسمحوا بها لغيرهم.

وإذا التمستُ عذراً لغير المسلمين من فرنسيين وإنكليز وألمان وأمريكان إلخ فما عذر الدول الإسلامية، وإذا عدتُ والتمستُ عذراً لبعض الدّول العربية والإسلامية لأنها تخضع للتنظيم الدّولي العالمي من باب التّعامل بالمثل ولكن ما عذر حكّام مكّة والمدينة الذين يفرضون على المسلم تأشيرة دخول للحج أو العمرة كما يفرضون عليه دفع ضريبة للدخول.

وكما أندهش عندما أقرأ في كتاب الله قوله تعالى: ﴿ **إنّ الّذين كفروا ويصُدّون عن سبيل الله والمسجد الحرامِ الّذي جعلناه للنّاس سواءً العاكِفُ فيه والبَادِ. . .** ﴾ «الحج/ ٢٥».

وإذا كان المسجد الحرام الذي جعله الله أمناً للنّاس ويستوي فيه المُقيم وغير المُقيم يصبح الآن ملك لدولة معيّنة تسمح به للبعض وتمنع منه البعض الآخر، فلا بدّ لنا أن نُراجع إسلامنا وقرآننا وكل مفاهيمنا.

وبقيتُ زمناً طويلاً تتجاذبني الأفكار والهواجس حتى أني في بعض الأوقات أناجي ربّي قائلاً: أنتَ قلتَ وقولك الحقّ: ﴿**ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها**﴾«النساء/ ٩٧» وقلتَ وقولك الحقّ: ﴿**وأذّن في النّاس بالحجّ يأتوك رجالاً وعلى كلّ ضامر يأتين من كلّ فجّ عميق**﴾ «الحج/ ٢٧» فها هي أرضك الواسعة قد مُنعتْ وها هو بيتك قد مُلك وأوصدَ فما حيلتنا يا ربّ.

وفي يوم من الأيام وأنا أقرأ وأطالع بعض كلام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة وهو يتكلّم عن القرآن فاستوقفتني كلمة وقرأتها عدة مرّات فإذا بها بُغيتي التي كنتُ أنشدها وضالّتي التي كنت أبحث عنها وهي وحدها التي حلّت اللّغز وأبطلت الهواجس. يقول الإمام علي عليه السلام في الخطبة الأولى وهو يتكلّم عن كتاب الله ما نصّه: «وبين واجب لوقته وزائل في مستقبله» وفهمتُ منها أنّ مثل هذه الآيات التي كانت ممكنة في زمن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم ستصبح في المستقبل غير ممكنة لإستيلاء الظالمين وطغيان الكافرين.

فإذا قال قائل لربّه يوم القيامة: إنّي كنتُ مستضعفٌ في الأرض، فالله سبحانه الذي لا تخفى عليه خافية يعلم أنّه من المتأخرين فلا يقول

له مأواك جهنّم وساءت مصيراً.

وإذا قال قائل لربّه يوم الحساب: إنّي مُنِعتُ من الحجّ إلى بيتك المحرّم، فسوف يكون الردّ: ألم أقل لك إن استطعتَ إليه سبيلاً. فعذرك مقبول والذي منعك هو المسؤول.

فالسلام عليك يا سيدي يا أمير المؤمنين يوم ولدتَ ويوم مُتَّ ويومَ تبعثُ حيًّا[1].

---

(١) إذا كان الصهاينة قد احتلوا فلسطين والقدس، فإن أغلب البلدان الإسلامية محتلة بواسطة وكلاء الماسونية العالمية وموظفيها، ومنها الحجاز أعني (السعودية) لقد حججت من العراق والأردن فرأيت كيف يعامل طالب الحج في المؤسسات الصحية والجوازات وحتى يصل إلى مطار (جدة) الذي بقيت فيه حوالي (٧) ساعات حتى نام البعض وضجت الناس، فضلاً عن الغلظة في المعاملة من موظفي المطار، والمطوعين السيئي المعاملة مع كل الحجاج! وكأن لسان حالهم نحن أغنياء لا نحتاجكم، عجلوا إلى الخيم والبراري الساخنة التي كان المفترض أن تزرع وتبنى فيها مرافق وجسور وقوانين وغيرها لراحة ورفاهية الحجاج ومن أموالهم! ولكن هذه الأموال تذهب مع حصص مهمة من النفط لرفاهة الشعب الأمريكي والصهيوني وتقوية الفرنك الفرنسي (حج يا حج)!

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

من المشاكل السياسية التي أحدثتها الحضارة في المجتمعات هي الأنانية وشغل كل إنسان بنفسه فلا يهمّه من أمر الآخرين ما دام هو بخير وعافية.

وهذا أخطر من كلّ داء إذ يصابُ المجتمع الإنساني بلشلل فتتعطّل مصالح الأمّة ويُعبثُ بمقدّراتها ولا من أحدٍ يحرّك ساكناً أو يفعل شيئاً.

فتموت تلك القيم الشامخة من الشهامة والبطولة والتّضحية في سبيل الغير والإيثار على النّفس والجهاد لمقاومة الظلم والفساد ويخمل عند ذلك الدّين والضّمير.

وكما قُلنا سابقاً بالنسبة لبعض آيات القرآن الكريم، كذلك نقول بالنسبة لبعض الأحاديث النّبويّة الشريفة. وأول ما يطالعنا في هذا الصدد قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

«لتأمرنّ بالمعروف وتنهنّ عن المنكر، أو ليسلّطنّ الله علكم

شراركم فيدعوا خياركم فلا يستجابُ لهم» متفق عليه.

والأمر بالمعروف والنّهيُ عن المنكر أمر ضروري في حياة الأمّة حتى عدّه بعض الأئمة من أركان الإسلام.

ولذلك ترى أن أول شعار ترفعُه الحركاتُ الإسلاميّة المعاصرة هو شعار الأمر بالمعروف والنهيُ عن المنكر.

ولكن المجتمعات الحضارية اليوم تقفُ معارضة بشدّة لهذا الأمر بما أحدثته من جمعيات ديمقراطية وجمعية حقوق الإنسان وجمعية حقوق المرأة وحتى حقوق الحيوان فما لم تكن الدولة هي السّاهرة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فسيكون من شبه المستحيل أن تقوم به جماعة ما فضلاً عن الأفراد.

وإنّك اليوم ترى المُنكرات في كلّ مكان ولا تتمكّن من التغيير وبإمكان أي فتاة أن ترفع ضدّك قضية، وفي أحسن الأحوال يقال لك: لا تتدخّل في ما لا يعنيك، وإذا قلتَ: أنا أمرتُ بالمعروف ونهيتُ عن المنكر، فسيكون الجواب من أنت؟ وبأي حق تنصّب نفسك؟ ومن أعطاك هذه الصلاحيّة؟

وقد عشتُ شخصيّاً هذه الحالات كما عاشها غيري من المسلمين، وخرجنا من تلك التجربة بمرارة العجز والفشل وبقيت متحيّراً أيضاً بين عقيدة تدفعني للقيام بذلك الواجب وإن قعدت فهي تتوعّدني، وبين الأمر الواقع الذي نعيشه والذي يمنعني هذا الحقّ ويهدّدني إذا أعدتُ الكرّة، وأذكرُ أن المحافظ قال لي: هل أنتَ رسول الله بعثك الله بدين جديد لتصلح النّاس؟ قلتُ: لا طبعاً! قال: إذاً استكف بنفسك وبعائلتك واكفينا شرّك، فنحن مسؤولون عن أمن النّاس

وسلامتهم، وإذا تركنا الأمر لكلّ متطفّل أن يأمر وينهي فستكون فوضى[1].

عرفتُ قدري ووقفتُ عند حدّي وأنا خائفٌ. تُحدثني نفسي بالإقدام مرّة وبالإحجام أخرى وبقيتُ على تلك الحالة سنوات عديدة حتى استوقفني حديث آخر للرسول صلى الله عليه وآله وسلم وفيه يقول:

«من رأى منكم منكراً فليغيّره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»[2].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من نبيّ بعثه الله في أمّة قبلي إلاّ كان له من أمّته حواريون وأصحاب يأخذون بسنّته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلفُ من بعدهم خلوفٌ يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمنٌ ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمنٌ وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردلٍ»[3].

فحمدتُ الله سبحانه وتعالى إذ لم يحمّلنا ما لا طاقة لنا به فكانت

---

(١) لأننا عرب بل أعراب متخلفون حتى ندع مثقفينا ومفكرينا يشاركون في حل مشاكل البلد الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فنحن بالأمس خرجنا من الوصاية والانتداب، فما علينا إلا السكوت والإطاعة لنواكب تطوّر نوادي العري والشذوذ، ونعلن كما في الغرب عن حاجتنا إلى بنات يمثلن فيلماً إباحياً مقابل أجور طبعاً ثم يذهبن إلى سبيلهن، لماذا نبقى متطفلين، وإلا سوف نقطع لسان كل متطفل يريد الوقوف أمام التقدم والازدهار وعاشت الحضارة!!

(٢) صحيح مسلم باب كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص.

(٣) صحيح مسلم في نفس الباب السابق من كتاب الإيمان.

أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم تفسيراً لكتاب الله، ولأن الله سبحانه يعلم الماضي والحاضر والمستقبل فقد علم بأنّه يأتي على النّاس زمان لا يقدر فيه المسلم على دفع المنكر، فخفّف عنه وكلّفه بما يمكن له تحمّله، فقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: من رأى منكم منكراً فليغيّره بيده فإن لم يستطع فبلسانه وهو دليل على تغيّر المجتمع الإسلامي من حالة القوّة إلى الضعف كما هو دليل أنّ التكليف الشرعي يتغيّر أيضاً من حالة إلى أخرى.

فمن كان قويّ فتكليفه تغيير المنكر بالقوة التي عبّر عنها باليد، ومن فقد القوة فتكليفه أن يغيّر المنكر بالكلمة التي عبّر عنها باللّسان، ومن عرف أن كلامه لا يفيد أو أنّه يجرّ عليه المضرّة والمشاكل فتكليفُه عندئذٍ هو أن يستنكر في قلبه دون أن يتكلّم.

فسبحان من لا يكلف نفساً إلا وسعها وصلى الله على نبي الرحمة الذي كان أحرص على المؤمنين من أنفسهم وعلى آله الطيبين الطاهرين[١].

---

(١) من المؤسف أننا نجد في بلاد الأجانب والغرب آذاناً صاغية ولا نجدها في بلداننا العربية والإسلامية بل ممنوع محظور!!!

الإنسان الحضاري والعقيدة السّمحاء

لا شكّ أن الأديان السماوية التي جاءت من عند الله سبحانه وتعالى كان الهدف منها أولاً: تعريف الإنسان بخالقه وتخليصه من عبادة الأوثان وصنوف الشرك والضّلال.

ثانياً: تنظيم حياة الإنسان اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً وتتلخّص الأهداف في شيئين رئيسيين هما الإيمان والعمل، وإذا قُلنا الإيمان والعمل فنقصد بذلك الإيمان الصحيح والعمل الصالح، فليس كل إيمان وكل عمل يقبله الله سبحانه وتعالى، فقد يؤمن الإنسان بعقائد مخالفة للإسلام ما أنزل الله بها من سلطان، أو بعقيدة موروثة عن الآباء وإن كانت صحيحة إلا أنها قد تتغير وتتبدّل.

قال سبحانه وتعالى في هذا الصّدد:

﴿ وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل اللّهُ قالوا نؤمنُ بما أُنزلَ علينا ويكفرون بما وراءَهُ وهو الحقُّ مصدّقاً لما معهم. . . ﴾«البقرة/ ٩١».

وقد يعمل الإنسان أعمالاً كثيرة وهو يظن أنه يعمل لفائدة البشرية

بينما أعماله كلها ليس فيها إلا المضرّة قال سبحانه: ﴿ **وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنَّما نحن مصلحون * ألا إنَّهم هم المفسدون ولكن لاّ يشعرُون** ﴾ «البقرة/ ١١ ـ ١٢».

أو قد يعمل الإنسان أعمالاً جليلة تُفيد البشرية، ولكنه لا يقصد بها وجه الله تعالى وإنما يريد بها الرّياء والسمعة فهذا أعماله كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء فإذا جاءه لم يجده شيئاً قال تعالى: ﴿ **وقدمنا إلى ما عملوا من عملٍ فجعلناه هبَاءً منثوراً** ﴾«الفرقان/ ٢٣».

وإذا كان الدين هو منار الإنسان الذي به يهتدي وبه يرتقي، وقد وُجد الدين أينما وُجدَ الإنسان منذ نشأته الأولى، فلقد دلّت الحفريات والأبحاث بأن الإنسان البدائي لم يعرف العديد من الأشياء إلا بعد دهور، قد عرف المعبد منذ البداية، ولهذا أشار القرآن الكريم بقوله: ﴿ **إنّ أوّل بيت وُضع للنّاس للّذي ببكّة مباركاً وهدىً للعالمين** ﴾ «آل عمران/ ٩٦».

لهذا يمكننا الجزم بأن الحضارة هي عُصارة الأديان السماوية وما دام الأمر كذلك فإن الإسلام الذي أنزل على محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم هو أرقى الحضارات ولا يمكن للإنسانية أن تتعدّاه أو تسبقه بل هي مسبوقة به وعيالٌ عليه.

فلقد سجّل هذا القرن تحولا غريباً لدى الإنسان الحضاري الذي عانى الويلات من الإلحاد والكفر وغياب القيم الروحية والفراغ الذهني الذي تولّد من عدم التديّن فأصبح الإنسان اليوم يبحث عن هويّته وشخصيّته ويعود شيئاً فشيئاً إلى أحضان العقيدة السمحاء، قال تعالى:

﴿ **فأقم وجْهَكَ للدّين حنيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتي فطر النّاس عليها لا**

تبديل لخلق الله ذلك الدِّين القيِّمُ ولكنّ أكثر النَّاس لا يعلمون ﴾
«الروم/ ٣٠»

ونحن نرى اليوم صحوة إسلامية كبرى في كل الأوساط سواء منهم المثقّفين أو من غيرهم ممن لا ثقافة لهم ونرى أن التّغيير شمل كل الشعوب على مختلف ألوانهم وجنسياتهم.

ففي الأوساط الملحدة التي كانت تتبنّى نظرية حقوق الإنسان وحريّته اللا محدودة نراها اليوم تتقلّص وتتراجع فتمنع الإنسان من شرب الخمر عند قيادة السيارة بالرغم من ادّعاء النصارى بأن دينهم يُحلْل لهم ذلك وأن المسيح عليه السلام هو الذي صنع لهم الخمرة، لأن حوادث الطرقات بسبب شرب الخمر ارتفعت وتشير الإحصائيات بأن عشرين ألف من البشر يُقتلون سنوياً بسبب تلك الحوادث في فرنسا فقط.

ونحن لو تصفّحنا القوانين التي وصلتْ إليها أرقى الحضارات في أرقى الدول المتطورة وقارنّاها بقوانين الدين الإسلامي، لرأينا البعد الشاسع كالذي بين السماء والأرض، ونظرة واحدة في عهد أمير المؤمنين لواليه الأشتر النّخعي عندما ولاّه على مصر تُعطينا فكرة واضحة على تقدّم المسلمين في شتى الميادين فلنستمع إليه وهو يقول: «بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما أمر به عبد الله علي أمير المؤمنين مالك بن الحارث الأشتر، في عهده إليه حين ولاّه مصر جباية خراجها وجهاد عدوّها، واستصلاح أهلها، وعمارة بلادها.

أمره بتقوى الله وإيثار طاعته، واتِّباع ما أمر به في كتابه من فرائضه وسُنته التي لا يسعدُ أحدٌ إلا باتباعها، ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعتها، وأن ينصُر الله سبحانه بقلبه، ويده، ولسانه، فإنه ـ جلّ

اسمُهُ ـ قد تكفّل بنصر من نصره وإعزاز من أعزّه.

وأمره أن يَكسر نفسَه من الشهوات، وَيَزعَهَا عند الجمحاتِ، فإنَّ النفس أمّارةٌ بالسوء إلا ما رحم الله.

ثمَّ اعلم يا مالك أني قد وجّهتك إلى بلاد قد جرتْ عليها دول قبلك، من عدلٍ وجورٍ، وأن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنتَ تنظر فيه من أمور الولاة قبلك، ويقولون فيك ما كنت تقولُ فيهم، وإنما يُستدلُّ على الصالحين بما يُجري الله لهم على ألسن عباده، فليكن أحبُّ الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح، فاملِكْ هواكَ، وشُحَّ بنفسك عما لا يحلّ لك، فإن الشحّ بالنفس الإنصاف منها فيما أحبَّت أو كَرِهَت، وأشعر قلبك الرحمة للرعيّة والمحبة لهم، واللُّطف بهم، ولا تكوننّ عليهم سبعاً ضارياً تغتنِمُ أكلهم، فإنهم صنفان، إما أخٌ لك في الدين، وإما نظيرٌ لك في الخلق، يَفرطُ منهم الزّلل وتعرض لهم العِلل، ويؤتى على أيديهم في العَمْدِ والخَطَإ، فأعطهم من عفوكَ وصفحِكَ مثل الذي تحبُّ أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنك فوقهم، ووالي الأمر عليك فوقك، والله فوق من وَلاَّك، وقد استكفاك أمرهم وابتلاك بهم، ولا تنصبنَّ نفسك لحرب الله، فإنه لا يد لك بنقمته، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته.

ولا تندمنَّ على عفوٍ، ولا تبجحنّ بعقوبةٍ، ولا تُسرعَنَّ إلى بادرةٍ وجدت منها مندوحةً. ولا تقولنّ إني مُومّرٌ آمُرُ فأُطَاع، فإن ذلك إدغالٌ في القلب، ومنهكةٌ للدين، وتقرّبٌ من الغير، وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك، أُبَّهةً أو مَخيلةً، فانظرْ إلى عِظَمِ مُلكِ الله فوقك، وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك، فإنَّ ذلك يُطامن إليك من

طماحك، ويكفُّ عنك من غَربك، ويفيء إليك بما عزب عنك من عقلك.

إياك ومُسامات الله في عظمته والتشبّه به في جبروته، فإن الله يُذلُّ كلّ جبّار ويُهين كلّ مختال.

أنصف الله، وأنصف الناس من نفسك، ومن خاصة أهلك، وَمَنْ لك فيه هوىً من رعيتك، فإنك إلاَّ تفعل تَظلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خَصْمه دون عباده، ومن خاصمه الله أدحض حُجّته وكان لله حرباً حتى ينزع أو يتوب، وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله، وتعجيل نقمته، من إقامةٍ على ظلم، فإن الله سميع دعوة المضطهدين، وهو للظالمين بالمرصاد.

وليكن أحبّ الأمور إليك أوسطها في الحق، وأعمّها في العدل، وأجمعها لرضى الرعيّة، فإنّ سُخطَ العامّة يجحف برضى الخاصة، وإنّ سخط الخاصة يُغتفر مع رضى العامَّة. وليس أحدٌ من الرعيّة أثقل على الوالي مؤونةً في الرّخاء، وأقلّ معونةً له في البلاء، وأكره للإنصاف، وأسأل بالإلحاف، وأقلّ شكراً عند الإعطاء، وأبطأ عذراً عند المنع، وأضعف صبراً عند ملمّات الدهر من أهل الخاصَّة، وإنَّما عماد الدين، وجماعُ المسلمين، والعدّة للأعداء، العامَّة من الأمّة فليكن صَغْوُك لهم ومَيْلك معهم.

وليكن أبعد رعيّتك منك، وأشْنأهم عندك، أطلبهم لمعايب الناس فإن في الناس، عُيوباً الوالي أحقّ مَن سَتَرَهَا، فلا تكشفنَّ عما غاب عنك منها، فإنَّما عليك تطهيرُ ما ظهر لك، والله يحكم على ما غاب عنك، فاسترُ العَورة ما استطعت، يسترُ الله منك ما تحبُّ ستره من

رعيتك، أطلق عن الناس عقدة كل حقد، واقطع عنك سبب كل وترٍ، وتغابَ عن كل ما لا يصحُّ لك، ولا تعجلنّ إلى تصديق ساعٍ، فإنَّ الساعي غاشّ وإن تشبّه بالناصحين.

ولا تُدْخِلَنَّ في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل، ويعِدك الفقر، ولا جباناً يُضعفك عن الأمور، ولا حريصاً يُزيّن لك الشّره بالجور، فإن البخل، والجبن، والحرص، غرائز شتَّى، يجمعها سوء الظن بالله.

إن شرّ وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيراً، ومن شركهم في الآثام، فلا يكوننّ لك بطانةً، فإنهم أعوان الأثمة وإخوان الظلمة، وأنت واجد منهم خير الخلفِ ممَّن له مثل آرائهم ونفاذهم، وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم، ممّن لم يُعاون ظالماً على ظلمه، ولا آثماً على إثمه، أولئك أخفّ عليك مؤونةً، وأحسن لك معونةً، وأحنى عليك عطفاً، وأقلّ لغيرك إلفاً، فاتّخذ أولئك خاصَّة لخلواتك وحفلاتك، ثم ليكن آثرهم عندك أقولهم بمرّ الحق لك، وأقلّهم مساعدةً في ما يكون منك ممّا كره الله لأوليائه، واقعاً ذلك من هواك حيث وقع، والصق بأهل الورع والصدق، ثم رُضهم على أن لا يُطروك، ولا يُبجّحوك بباطل لم تفعله، فإن كثرة الإطراء تُحدث الزّهو، وتدني من العزّة.

ولا يكون المحسن والمسيء عندك بمنزلةٍ سواءٍ، فإنَّ في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان في الإحسان، وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة، وألزم كلاً منهم ما ألزم نفسه.

واعلم أنه ليس شيءٌ بأدْعى إلى حسنِ ظنّ راعٍ برعيّته من إحسانه إليهم، وتخفيفه المؤونات عليهم، وترك استكراهه إياهم على ما ليس

قِبَلَهُم، فليكن منك في ذلك أمرٌ يجتمع لك به حسنُ الظنّ برعيّتك، فإن حُسن الظن يقطع عنك نصباً طويلاً، وإن أحقَّ من حسُنَ ظنُّك به لَمَنْ حَسن بلاؤك عنده، وإنَّ أحقّ من ساء ظنُّك به لمن ساء بلاؤك عنده..

ولا تنقُضْ سنّةً صالحةً عمل بها صدور هذه الأمة، واجتمعت بها الألفة، وصلحت عليها الرعية، ولا تُحدثنّ سنّةً تضرُّ بشيء من ماضي تلك السُّنن فيكون الأجرُ لمن سنّها، والوزرُ عليك بما نقضتَ منها.

وأكثر مُدَارَسَةَ العلماء، ومنافثة الحكماء، في تثبيت ما صَلحَ عليه أمر بلادك، وإقامة ما استقام به الناس قبلك.

واعلم أن الرّعيّة طبقاتٌ لا يصلحُ بعضها إلا ببعضٍ، ولا غِنى ببعضها عن بعضٍ، فمنها جنود الله، ومنها كتاب العامة والخاصّة، ومنها قُضاة العدل، ومنها عمّال الإنصاف والرّفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمّة ومسلمة الناس، ومنها التجّار وأهل الصّناعات، ومنها الطّبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة، وكلاًّ قد سمّى اللهُ سَهْمَهُ، ووضع على حدّه فريضته في كتابه، أو سنّة نبيه صلى الله عليه وآله، عهداً منه عندنا محفوظاً.

فالجنود بإذن الله حصون الرعيّة، وزينُ الولاة، وعزّ الدين، وسُبل الأمن، وليس تقوم الرعيّة إلا بهم، ثم لا قوامَ للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به في جهاد عدوّهم، ويعتمدون عليه في ما يصلحهم، ويكون من وراء حاجتهم، ثم لا قِوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاة والعُمّال والكُتَّاب لما يُحكِمون من المعاقد، ويجمعون من المنافع، ويؤتَمنون عليه من خواصّ الأمور وعوامّها، ولا قِوام لهم جميعاً إلا بالتُّجَّار وذوي الصِّناعات في ما يجتمعون عليه من

مرافقهم، ويقيمونه من أسواقهم، ويكفونهم من الترفُّقِ بأيديهم ما لا يبلغه رفقُ غيرهم.

ثمّ الطّبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحقُّ رِفدهم ومعونتهم.

وفي الله لكلٍّ سعة، ولكلٍّ على الوالي حقّ بقدر ما يُصلحه، وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه الله من ذلك إلا بالاهتمام والاستعانة بالله، وتوطين نفسه على لزوم الحق، والصبر عنيه فيما خفَّ عليه أو ثقُل، فوَلِّ من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك، وأنقاهم جيباً، وأفضلهم حِلماً ممن يبطيء عن الغضب، ويستريح إلى العُذر، ويرأف بالضعفاء، وينبُو على الأقوياء، وممّن لا يُثيره العنف ولا يقعد به الضِّعف.

ثم ألصِق بذوي الأحساب، وأهل البيوتات الصالحة، والسّوابق الحسنة، ثم أهل النجدة، والشجاعة، والسّخاء، والسماحة، فإنّهم جِماعٌ من الكرم، وشُعَبٌ من العُرف، ثم تفقّد من أمورهم ما يتفقّد الوالدان من ولدهما، ولا يتفاقمنَّ في نفسك شيء قوّيتهم به، ولا تحقرنّ لطفاً تعاهدتهم به، وإنْ قلّ، فإنّه داعيةٌ لهم إلى بذل النصيحة لك، وحسن الظنّ بك، ولا تدع تفقّد لطيف أمورهم اتّكالاً على جَسِيمها، فإنّ لليسير من لطفك موضَعاً ينتفعون به، وللجسيم موقعاً لا يستغنون عنه.

وليكن آثرُ رؤوس جندك عندك من واساهم في معونته، وأفضَل عليهم من جدتهِ بما يسعهم، ويسع من وراءهم، من خلوف أهليهم، حتّى يكون همّهم همّاً واحداً في جهاد العدوّ، فإن عطفك عليهم يَعطِفُ

قلوبهم عليك، وإنّ أفضل قرّة عين الولاة استقامة العدل في البلاد، وظهور مودّة الرعيّة، وإنّه لا تظهر مودّتهم إلا بسلامة صدورهم، ولا تصحُّ نصيحتهم إلا بحيطتهم على ولاة أمورهم، وقلّة استثقال دُوَلهم، وترك استبطاء انقطاع مدّتهم، فافسَح في آمالهم، وواصل في حسن الثّناء عليهم، وتعديد ما أبلى ذوو البلاء منهم، فإنّ كثرة الذّكر لحسن أفعالهم تهزُّ الشّجاع وتحرّض النّاكل إن شاء الله، ثم أعرف لكل امرئ منهم ما أبلى، ولا تُضيفنَّ بلاء امْرئٍ إلى غيره ، ولا تقصرِّن به دون غاية بلائه، ولا يدعونّك شرف امرىء إلى أن تُعظم من بلائه ما كان صغيراً، ولا ضعةُ امرئٍ إلى أن تستصغر من بلائه ما كان عظيماً.

واردد إلى الله ورسوله ما يضْلِعك من الخطوب، ويشتبه عليك من الأمور، فقد قال الله تعالى لقوم أحبَّ إرشادهم: ﴿ **يا أيها الّذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأُولي الأمر منكم فإنْ تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرّسول** ﴾ فالردّ إلى الله الأخذ بمحكم كتابه، والردّ إلى الرسول الأخذ بسنّته الجامعة غير المفرّقة.

ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيّتك في نفسك، ممّن لا تضيق به الأمور، ولا تُمحكه الخصوم، ولا يتمادى في الزَّلَّةِ ولا يحصَرُ من الفيء إلى الحق إذا عرفه، ولا تُشرِف نفسه على طمع، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه، وأوقفهم في الشّبهات، وآخذهم بالحُجج، وأقلّهم تبرّماً بمراجعة الخصم، وأصبرهم على تكشّف الأمور، وأصرمهم عند اتّضاح الحكم، ممّن لا يزدهيه إطراءٌ، ولا يستميله إغراء، وأولئك قليل.

ثم أكثر تعاهد قضائه، وافسح له في البذل ما يزيل عِلَّته، وتقلّ

معه حاجته إلى الناس، وأعطه من المنزلة لديك، ما لا يطمع فيه غيره من خاصّتك، ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك، فانظر في ذلك نظراً بليغاً، فإنّ هذا الدّين قد كان أسيراً في أيدي الأشرار، يعمل فيه بالهوى، وتُطلبُ به الدنيا.

ثم أنظر في أمور عُمّالك فاستعملهم اختباراً، ولا تُوَلّهم محاباة وأثرة، فإنّهما جماع من شعب الجور والخيانة، وتوخَّ منهم أهل التجربة والحياء، من أهل البيوتات الصالحة، والقدم في الإسلام المتقدِّمة، فإنّهم أكرم أخلاقاً، وأصحّ أعراضاً، وأقلّ في المطامع إشراقاً، وأبلغ في عواقب الأمور نظراً، ثم أسبغ عليهم الأرزاق فإنّ ذلك قوّة لهم على استصلاح أنفسهم، وغنىً لهم عن تناول ما تحت أيديهم، وحجّة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك، ثم تفقّد أعمالهم، وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم، فإنّ تعاهدك في السرّ لأمورهم حدوة لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية، وتحفّظ من الأعوان، فإن أحدٌ منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهداً، فبسطت عليه العقوبة في بدنه وأخذته بما أصاب من عمله، ثم نصبتَه بمقام المذلّة، ووسمتَه بالخيانة، وقلّدته عار التهمة.

وتفقّد أمر الخراج بما يصلح أهله، فإنَّ في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم، ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم، لأنَّ النّاس كلهم عيالٌ على الخراج، وأهله، وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج لأن ذلك لا يُدرَك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارةٍ أخرب البلاد، وأهلك العباد، ولم يستقم أمره إلا قليلاً، فإن شكوا ثقلاً، أو علّةً، أو انقطاع شربٍ أو بالّةٍ أو إحالة أرضٍ اغتمرها غرقٌ، أو أجحَف بها عطشٌ، خفّفت عنهم بما ترجو أن يصلح

به أمرهم، ولا يثقلنَّ عليك شيءٌ خفّفت به المؤونة عنهم، فإنه ذخرٌ يعودون به عليك في عمارة بلادك، وتزيين ولايتك، مع استجلابك حسن ثنائهم، وتبجّحك باستفاضة العدل فيهم، معتمداً فضل قوتهم، بما ذخرت عندهم من إجمامك لهم، والثقة منهم بما عوّدتهم من عدلك عليهم ورفقك بهم، فربّما حدث من الأمور، ما إذا عوّلت فيه عليهم من بعدُ احتملوه طيبة أنفسهم به، فإن العمران محتمل ما حمّلته، وأنّما يؤتى خرابُ الأرض من إعواز أهلها، وإنما يُعوِزُ أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع، وسوء ظنهم بالبقاء، وقلّة انتفاعهم بالعِبَر.

ثم انظر في حال كتّابك فولّ على أمورك خيرُهم واخصص رسائلك التي تدخل فيها مكائدك وأسرارك، بأجمعهم لوجود صالح الأخلاق ممّن لا تبطره الكرامة فيجترىء بها عليك، في خلافٍ لك بحضرة ملأٍ، ولا تقصّر به الغفلةُ عن إيراد مكاتبات عمّالك عليك، وإصدار جواباتها على الصّواب عنك وفيما يأخذ لك ويعطي منك. ولا يضعِف عقداً اعتقده لك، ولا يعجز عن إطلاق ما عُقد عليك، ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأمور، فإن الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل، ثم لا يكن اختيارك إيّاهم على فراستك واستنامتك وحُسن الظنّ منك، فإنّ الرِّجال يتعرّضون لفِراسات الوُلاة بتصنّعهم، وحسن خدمتهم، وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة شيءٌ ولكن اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك فاعمدْ لأحسنهم كان في العامّة أثراً، وأعرفهم بالأمانة وجهاً، فإنّ ذلك دليل على نصيحتك لله ولمن وليتَ أمره، واجعل لرأس كل أمرٍ من أمورك رأساً منهم لا يقهره كبيرها، ولا يتشتّت عليها كثيرها ومهما كان في كتّابك من عيبٍ فتغابيت عنه أُلزمته.

ثم استوصِ بالتّجار وذوي الصِّناعات وأوص بهم خيراً المقيم

منهم، والمضطرب بماله، والمترفّق ببدنه، فإنهم موادُّ المنافع وأسباب المرافق، وجُلاّبها من المباعد والمطارح، في برّك وبحرك، وسهلك وجبلك، وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها، ولا يجترئون عليها، فإنّهم سلمٌ لا تُخاف بائقته، وصلحٌ لا تُخشى غائلته، وتفقّد أمورهم بحضرتك، وفي حواشي بلادك، واعلم مع ذلك أنَّ في كثير منهم ضيقاً فاحشاً، وشُحًّا قبيحاً، واحتكاراً للمنافع، وتحكّماً في البياعات، وذلك بابُ مضرّةٍ للعامّة، وعيب على الولاة، فامنع من الإحتكار فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله منع منه، وليكن البيع بيعاً سمحاً، بموازين عدلٍ وأسعارٍ لا تُجحف بالفريقين من البائع والمبتاع، فمن قارفَ حُكرةً بعد نهيك إياه، فنكّل به، وعاقبه في غير إسراف.

ثم الله الله في الطبقة السفلى من الّذين لا حيلة لهم، والمساكين، والمحتاجين، وأهل البؤسى والزّمنى، فإنّ في هذه الطبقة قانعاً ومعترًّا، واحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم، واجعل لهم قسماً من بيت مالكَ، وقسماً من غلاّت صوافي الإسلام في كل بلدٍ، فإنَّ للأقْصى منهم مثل الذي للأدنى، وكلٌّ قد استُرعيت حقّه، فلا يشغلنّك عنهم بطراً، فإنّك لا تُعذَر بتضييعك التّافهَ لإحكامك الكثير المهم، فلا تُشخص همّك عنهم، ولا تُصعّر خدك لهم، وتفقّد أُمور من لا يصل إليك منهم ممّن تقتحمه العيون وتحقره الرجال، ففرّغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع، فليرفع إليك أمورهم، ثم اعمل فيهم بالإعذار إلى الله يوم تلقاه، فإن هؤلاء من الرعية أحوج إلى الإنصاف من غيرهم، وكلٌّ فأعذر إلى الله في تأدية حقّه إليه.

وتعهّد أهل اليُتم وذوي الرّقّة في السِّنِّ ممَّن لا حيلة له، ولا ينصب للمسألة نفسه، وذلك على الولاة ثقيل والحقّ كلّه ثقيل، وقد

يخفّفه الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبّروا أنفسهم، ووثقوا بصدق موعود الله لهم.

واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تُفرّغ لهم فيه شخصك، وتجلس لهم مجلساً عامّاً فتتواضع فيه لله الذي خلقك، وتُقعد عنهم جندك وأعوانك، من أحراسك وشُرطك، حتى يُكلّمك متكلّمهم غير مُتَتَعْتِعٍ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في غير موطن: «لن تُقدّس أمّةٌ لا يوخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير مُتَتَعتعٍ» ثم احتمل الخُرق منهم والعِيَّ، ونحِّ عنك الضيق والأنف، يبسط الله عليك بذلك أكناف رحمته، ويوجب لك ثواب طاعته.

وأَعْطِ ما أعطيتَ هنيئاً، وامنع في إجمالٍ وإعذارٍ، ثمَّ أمورٌ من أمورك لا بدّ لك من مباشرتها. منها إجابةُ عمّالك بما يَعْيَا عنه كتّابك، ومنها إصدار حاجات النّاس يوم ورودها عليك مما تخرج به صدورِ أعوانك.

وأمضِ لكلّ يوم عمله فإنّ لكلّ يوم ما فيه، واجعل لنفسك في ما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت، وأجزل تلك الأقسام، وإنْ كانت كلّها لله إذا صلحت فيها النيّة، وسلمت منها الرعيّة.

وليكن في خاصّة ما تُخلص به لله دينك إقامة فرائضه التي هي له خاصّة، فأعط الله من بدنك في ليلك ونهارك، ووفِّ ما تقرّبتَ به إلى الله من ذلك، كاملاً غير مثلوم، ولا منقُوصٍ، بالغاً من بدنك ما بلغ. وإذا قمتَ في صلاتك للنّاس فلا تكوننّ منفراً ولا مُضيّعاً، فإنَّ في النّاس منْ به العلّة وله الحاجة، وقد سألتُ رسول الله صلى الله عليه وآله حين وجّهني إلى اليمن كيف أُصلّي بهم فقال: «صلِّ بهم كصلاة أضعفهم،

وكن بالمؤمنين رحيماً».

وأما بعد فلا تُطوّلنّ احتجابك عن رعيّتك، فإن احتجاب الولاة عن الرعيّة شعبةٌ من الضِّيق، وقلّة علم بالأمور، والإحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه، فيصغُرُ عندهم الكبير، ويعظم الصغير، ويقبُحُ الحسن ويحسن القبيح، ويُشَابُ الحقُّ بالباطل، وإنّما الوالي بشرٌ لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور، وليست على الحق سماتٌ تُعرف بها ضروب الصدق من الكذب، وإنّما أنت أحد رجلين إمّا امرؤٌ سَخَتْ نفسك بالبذل في الحقِّ، ففيمَ احتجابك من واجب حقٍّ تعطيه، أو فعلٍ كريم تُسديه، أو مبتلىً بالمنع، فما أسرع كفَّ الناس عن مسألتك إذا أيسوا من بذْلك، مع أنّ أكثر حاجات الناس إليك مما لا مؤونة فيه عليك، من شكاة مظلمةٍ أو طلب إنصافٍ في معاملة.

ثم إنّ للوالي خاصّةً وبطانةً فيهم استئثارٌ وتطاوُلٌ، وقلّة إنصاف في معاملة، فاحْسِمْ مادّة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال، ولا تقطعنّ لأحدٍ من حاشيتك وحامّتك قطيعةً، ولا يطمعنّ منك في اعتقاد عقدةٍ تضُرُّ بمن يليها من النّاس في شِربٍ، أو عملٍ مُشتركٍ يحملون مؤونته على غيرهم، فيكون مهنأُ ذلك لهم دونك، وعَيبُهُ عليك في الدنيا والآخرة.

وألْزِم الحق من لزمَهُ من القريب والبعيد، وكن في ذلك صابراً مُحتسباً، واقعاً ذلك من قرابتك وخاصَّتِك حيث وقع، وابتغِ عاقبته بما يثقل عليك منه، فإن مَغبَّة ذلك محمودة.

وإن ظنَّت الرعيّة بك حيفاً فأصْحِر لهم بعُذرك، واعدِل عنك ظُنونهم بإصحارك، فإنّ في ذلك رياضة منك لنفسك، ورفقاً برعيّتك،

وإعذاراً تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحقّ.

ولا تدفعنّ صُلحاً دعاك إليه عدوُّك ولله فيه رضىً، فإنّ في الصُّلح دَعةً لجنودك وراحةً من همومك وأمناً لبلادك، ولكنَّ الحذر كلّ الحذر من عدوّك بعد صُلحه، فإن العدّو ربّما قارب ليتغفّل، فخُذ بالحزم واتّهم في ذلك حسن الظنّ. وإن عقدتَ، بينك وبين عدوّك عُقدةً أو أَلْبَسْتَهُ منك ذِمَّةً فحُطّ عهدك بالوفاء، وارْعَ ذمّتك بالأمانة، واجعل نفسك جُنّةً دون ما أعطيت، فإنه ليس من فرائض الله شيءٌ الناس أشدُّ عليه إجتماعاً مع تفرّق أهوائهم وتشتّت آرائهم، من تعظيم الوفاء بالعهود. وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبَلوا من عواقب الغدر، فلا تغذرنّ بذمّتك، ولا تخيسنّ بعهدك، ولا تختِلنَّ عدوَّك، فإنه لا يجترىء على الله إلا جاهلٌ شقيٌّ، وقد جعل الله عهده وذمته أمناً، أفضاه بين العباد برحمته، وحريماً يسكنون إلى مَنعته، ويستفيضون إلى جواره، فلا إدغال ولا مُدالسة ولا خداع فيه.

ولا تعقد عقداً تجوز فيه العِلل، ولا تُعوِّلنّ على لحن قول بعد التأكيد والتّوثقة، ولا يدعونّك ضيق أمرٍ لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير الحقّ، فإن صبرك على ضيق أمرٍ ترجو انفراجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعتَه، وأنْ تحيط بك من الله فيه طلبة، فلا تستقيل فيها دنياك ولا آخرتك.

إيّاك والدماء وسفكها بغير حلّها، فإنه ليس شيء أدعى لنقمةٍ، ولا أعظم لتبعةٍ ولا أحرى بزوال نعمةٍ وانقطاع مدةٍ من سفك الدِّماء بغير حقّها، والله سبحانه مبتدىءٌ بالحكم بين العباد في ما تسافكوا من الدماء

يوم القيامة، فلا تُقوّينّ سلطانك بسفك دمٍ حرامٍ فإنّ ذلك مما يُضعفه ويوهنه بل يُزيله وينقله، ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمْد لأنّ فيه قودَ البدن. وإن ابتليتَ بخطأٍ وأفرط عليك سوطُك أو سيفك أو يدك بعقوبةٍ فإن في الوكزة فما فوقها مقتلةً فلا تطمحنّ بك نخوةُ سلطانك عن أن تودّي إلى أولياء المقتول حقّهم.

وإياك والإعجاب بنفسك، والثقة بما يُعجبك منها وحبّ الإطراء فإنّ ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين.

وإيّاك والمنَّ على رعيّتك بإحسانك، أو التزيُّد فيما كان من فعلك، أو أن تعدهم فتتّبع موعدك بخُلفِك، فإن المنّ يبطل الإحسان، والتزيّد يذهب بنور الحق، والخُلفَ يوجب المقتَ عند الله والناس، قال الله تعالى: ﴿ **كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون** ﴾.

وإيّاك والعجلة بالأمور قبل أوانها، أو التسقّط فيها عند إمكانها، أو اللّجاجة فيها إذا تنكّرت، أو الوهن عنها إذا استوضحت، فضع كلَّ أمرٍ موضعه وأوقع كلّ عمل موقعه.

وإيّاك والإستئثار بما النّاس فيه أسوةٌ والتغابي عما تُعنى به ممّا قد وضح للعيون، فإنّه مأخوذ منك لغيرك، وعمّا قليل تنكشف عنك أغطية الأمور ويُنتصف منك للمظلوم، أملكْ حميّة أنفك، وسورة حدّك، وسطـوة يدك، وغَربَ لسانك، واحترس من كل ذلك بكفّ البادرة، وتأخير السَّطوة حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار، ولن تحكم ذلك من نفسك، حتى تُكثر همومك بذكر المعاد إلى ربك.

والواجب عليك أن تتذكّر ما مضى لمن تقدّمك من حكومةٍ عادلة،

أو سنّة فاضلة، أو أثر عن نبينا صلى الله عليه وآله، أو فريضة في كتاب الله فتقتدي بما شاهدته ممّا عملنا به فيها، وتجتهد لنفسك في اتّباع ما عهدتُ إليك في عهدي هذا واستوثقت به من الحجّة لنفسي عليك، لكيلا تكون لك علّةٌ عند تسرّع نفسك إلى هواها.

وأنا أسأل الله بسعة رحمته، وعظيم قُدرته على إعطاء كلّ رغبةٍ، أنْ يُوفّقني وإيّاك لما فيه رضاه من الإقامة على العذر الواضح إليه وإلى خلقه، مع حسن الثناء في العباد، وجميل الأثر في البلاد، وتمام النعمة، وتضعيف الكرامة، وأن يختم لي ولك بالسعادة والشهادة وإنّا إليه راغبون، والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله الطّيبين الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً. والسلام[1] «**نهج البلاغة/ الخطبة ٢٩١**».

---

(١) وكان من آثار ذلك، أن كتب أحد الرعيّة الى عمر بن عبد العزيز يقول (ما بال الولاة يتركون أهل الذمة يشربون الخمر، ويأكلون الخنزير، ويتجرون بها؟ فأجابه: أمر رسولنا أن نتركهم وما يدينون وإن أنت إلا متبع ولست بمبتدع) وذكر البلاذري، من أنه لما استخلف عمر بن عبد العزيز، وفد عليه قوم من (سمرقند) وشكوا إليه رقيبة بن مسلم الباهلي) بأنه دخل مدينتهم على غدر منهم وأسكن المسلمين بها؟! فكتب إلى واليه في الولاية المجاورة وأمره بأن يرفع شكواهم إلى القاضي، فإن ثبت لديه ما ادّعوه، أمر بإخراج المسلمين من (سمرقند) فلما رفعت القضية إلى قاضي المسلمين (ابن خاطر الباجي) حكم بإخراج المسلمين فعجب أهل (سمرقند) من عدالة المسلمين والإسلام وأكبروها، ودخلوا في الإسلام طائعين!!

بينما بالمقابل نجد أن الصليبيين ذبحوا في يوم واحد في الحرب الصليبية الأولى (سبعين ألف) مسلم تذبيح النعاج، حتى أن الدماء كانت تجري أنهاراً في شوارع القدس والمسجد الأقصى.. لم يتركوا ويرحموا كبيراً ولا صغيراً، ولم يوقروا شيخاً وقوراً ولا امرأة ولا طفلاً!!!

ولنترك الكلام إلى (بورجا) في كتابه (الحروب الصليبية) ص ١٢٠ فقد نقل عن شاهد عيان قال [هؤلاء (أي المسلمون) الذين قتلنا آباءهم وأبناءهم، =

إن الباحث في طيّ هذا العهد الذي كتبه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ليجدُ عبرَ هذه السطور أسمى معاني الحضارة البشرية، والتي لم تتوصّل إليها حضارة القرن العشرين بعد.

وقد شملت النواحي الإجتماعية والإقتصادية والسياسية والثقافية ولم تغفل العبادة والأخلاق والتربية النفسية والطبائع البشرية.

وإذا تأسّفتُ فإنما أسفي على أغلب المسلمين الذين يُهملون نهج البلاغة وما فيه من كنوز عرفانيّة وحقائق علميّة، ويركضون وراء بعض الكتابات، والنّظريات الغربية طمعاً منهم أن يلحقوا بركب الحضارة المزيّفة التي جرّت الويلات والنكبات على المجتمعات والشعوب المستضعفة.

وإذا قُلت لأحدهم: إن في الإسلام وفي الشخصيات الإسلامية

= ونساءهم بشتى الطرق، وسلبناهم أموالهم وأخرجناهم من منازلهم عراة... تداركونا، وسدّوا خلّتنا، وأطعمونا بعد أن أهلكنا الجوع وما زالوا يحسنون إلينا حتى غمرونا ببرهم وإحسانهم.. لما كنا أسرى في ديارهم وفي قبضة أيديهم فلو ضاع لأحدنا شيء ما أبطأ أن ردّه إلى صاحبه]!!

كما أن اعتمادهم على سياسة (ميكافيللي) الإرهابي، سياسة ذات الوجهين، وإن الغاية تبرر الوسيلة.. وأمثالها إلى اليوم بقيام حربين عالميتين الأولى والثانية وإلقاء القنابل النووية على (هيروشيما) و(نكازاكي) وإثارة الحروب وغزو الدول الإسلامية والعربية وسلب خيراتها وتقسيم حدودها وجعل قنابل موقوتة (مناطق متنازع عليها) كما بين العراق والكويت في حرب الخليج وقبلها الحرب المعلنة على إيران الإسلام وحروب إسرائيل العدوّة، وغصبها فلسطين وإخضاع الأمم المتحدة، واليونسكو وحقوق الإنسان تحت الهيمنة الأمريكية!!

أسوةٌ حسنة لكل الإنسانية، فإنه يجيب: لو كان ذلك حقاً لما تخلّف المسلمون وتقدّم غيرهم.

وغفل هؤلاء وأمثالهم عن حقيقة مؤسفة وهي أن الإسلام بقي مجرّد نظرية لم تطبّق، وأن أكبر الشخصيات الإسلامية الذين حاولوا تطبيقه حُوربوا وأُبعدوا وقُتلوا ومن أعلى المنابر شُتموا ولُعنوا وبقيت آثارهم وكتبهم مجهولة يضرب عليها الحصار الفكري بشتى التّهم والدعايات[1].

وقد استفاد منها علماء الغرب استفادة كبرى في أمريكا وألمانيا وبريطانيا، والمسلمون عن ذلك غافلون.

قال تعالى: ﴿ **فخلفَ من بعدهم خلفٌ أضاعوا الصّلاة واتّبعوا الشّهوات فسوف يلقَون غيًّا** ﴾ «مريم/ ٥٩».

قال لي أحدهم مرة: إن كنتَ تقصد بالشخصيات الإسلامية، الأئمة الإثنا عشر من أهل البيت، فإن الشيعة كما جاء في كتبك آمنوا بإمامتهم، واتّبعوهم وقلّدوهم في أمور الدنيا والدين، فلماذا بقي الشيعة متخلّفين كبقية المسلمين ولم يتقدّموا، ولم يسبقوا في علم ولا في اختراع.

وكان جوابي هو الآتي:

«إن الشيعة الإمامية الذين آمنوا بالأئمة الإثنى عشر كانوا قلّة قليلة

---

(١) راجع كتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ـ للنووي، وكتاب (الإنسان العربي والحضارة) أنور الرفاعي ـ كتاب (روائع حضارتنا) د. مصطفى السباعي ـ وكتاب (الإسلام والحضارة العربية) محمد كرد علي وكثيراً من المصادر والكتب الأخرى.

كالبقعة البيضاء في الثوب الأسود، وكانوا يخافون على أنفسهم القتل فقد أبيحت دماؤهم واستُحلّت أعراضهم ونُكِّل بهم عبر القرون المتتالية، ومن كانت هذه حياته فلا يمكنه التقدم والتطور وفكره مشغول بهمومه وهو يخـاف القتل في كل لحظة من لحظات حياته.

ولا يخفى على أحد أن الإنسان إذا افتقر وجاع اشتغل فكره قبل كل شيء بكسب معاشه الذي هو سبب بقائه واستمراره فكيف إذا كان معاشه مقطوعاً هو وعياله وكل من يلوذ به ويتقرّب إليه.

أما إذا توفّرت للإنسان وسائل العيش الكريم وأسباب الراحة وتنعّم بفرحة الحياة كما يقولون عند ذلك يطمح فكره في التحلّق والتعلّق، ولذلك ترى الدول تُقيم لأهل العلم وزناً خاصاً وتوفّر لهم كل أسباب الراحة وتنفق عليهم الأموال الطائلة وتخصّص لهم ميزانية معتبرة وتُوفّر لهم المختبرات والآليات لتمكّنهم من التجارب والتمارين، وتكوّن لهم المكتبات وتترجم لهم النصوص، فكيف لا يخترعون؟!

ومع ذلك فإن الشيعة الإمامية ورغم ما عانوه من فقر وتشريد وقتل وتنكيل إلا أنهم كانوا السبّاقين لكل المعارف والعلوم، وذلك لما نهلوا من مدرسة أهل البيت التي تخرّج منها فطاحل العلماء في شتّى الميادين فقد كان الإمام الصادق جعفر بـن محمد عليه السلام يدرّس أصحابه وطلبة العلوم إلى جانب الفقه والتفسير، العلوم التجريبية والنظرية ومنها الرياضيات والطبّ والفيزياء والكيمياء وعلم الفلك والنجوم وغيرها من العلوم التي لم تظهر أهميتها إلا في القرن الحالي وبعد النهضة الصناعية.

وأكتفـي فـي هـذا المجـال بـذكـر مـا اعتـرف بـه علمـاء الغـرب

والمستشرقون الذين أوردوا بعض الحقائق عن الإمام جعفر الصادق في دورتهم العلمية التي انعقدت سنة ١٩٦٨ في جامعة «إستراسبورغ» الفرنسية لدراسة التاريخ العلمي والحضاري للشيعة الإمامية وقد حضرها أكثر من عشرين عالماً من أمريكا وبريطانيا وألمانيا وفرنسا وبلجيكا وسويسرا وإيطاليا[١].

وقد تكلم هؤلاء بإطناب عن الإمام جعفر الصادق وتلميذه جابر بن حيّان الذي ترك ألف وخمسمائة رسالة من تقريرات أستاذه في علمي الكيمياء والطب والفلسفة ذكرها ابن النديم في الفهرست وابن خلكان في كتابه «أحوال الإمام الصادق».

وقد أجمعوا أن جابر بن حيّان تمكن من تطبيق نظريات عديدة علمية ومن تحضير المواد الكيماوية والمركّبات الأخرى التي لها أهمية في صنع القنابل والمفرقعات.

كما أجمعوا على أنه تمكّن من اكتشاف أسرار الكيمياء التي تُسمّى «الصّنعة» وهي تحويل المعادن الرديئة إلى معادن ثمينة كالذهب والفضة وغيرها، وفي ذلك كان يقول:

«علّمني أستاذي جعفر بن محمد باباً من العلم لو شئتُ جعلتُ الأرض كلها ذهباً».

وقد ألّف الدكتور محمد يحيى الهاشمي من المعاصرين كتاباً اسمه «الإمام الصادق ملهم الكيمياء» يقول فيه:

---

(١) كتاب الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب، نقله إلى العربية الدكتور نور الدين آل علي.

«ومما يزيد إعجابنا ادّعاء جابر بن حيان بأن هذا السرّ ـ يقصد تحويل المعادن وتغيير الأجسام ـ له دخل في جميع الأعمال وأننا إذا أمعنّا النظر في الوقت الحاضر، لوجدنا اكتشاف الأجسام المشعّة التي تؤدي إلى قلب عنصر المادّة وتحطيم الذرّة لم يكن من نتائجها القنبلة الذرية فحسب، بل إيجاد منابع قوى جديدة لم تكن تطرق على بال الإنسان»[1].

يضاف إلى كل ما سبق أن الشيعة الإمامية كانوا السبّاقين في كل العلوم وفي حين اقتصر باقي المسلمين على الفقه والتفسير والأخلاق والذي ضرب فيه الشيعة أيضاً القدح المعلّى لما ورثوه من علوم العترة الطاهرة، نراهم كما يشهد التاريخ أنهم أول المخترعين وأول المبدعين.

وعلى من أراد مزيد التحقيق أن يقرأ كتاب «الشيعة وفنون الإسلام»، أو مقدمة كتاب «أصل الشيعة وأصولها» ليعرف بمزيد اليقين أن لشيعة هم الذين سبقوا كل الطوائف إلى شتى العلوم والمعارف بقيادة أئمتهم الذين بقروا العلم بقراً، فهم دُعاة العلم حقاً، قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«...بل إندمجتُ على مكنون علمٍ لو بُحتُ به لاضْطَربتم إضْطراب الأرْشيةِ في الطّوِيِّ البعيدة» «نهج البلاغة/ خطبة ٥».

(١) الإمام الصادق ملهم الكيمياء صفحة ١٥٦، للدكتور محمد يحيى الهاشمي.

الشيعة في سطور

كثُر الكلام في السّنوات الأخيرة عن الشّيعة، خصوصاً بعد ظهور وانتصار الثورة الإسلامية في إيران فأصبح الإعلام الغربي ووسائله المبثوثة في العالم يركّزون على الشيعة الإيرانيين فيصفُونهم بأنهم مجانين الله مرّة وبالإرهابيين أخرى، وسرى هذا على الشيعة اللبنانيّين أيضاً عندما ضربوا المصالح الأمريكيّة والغربيّة في بيروت فوصفوهم بالمتشددين والمُتطرّفين، ثم عمّموا بعد ذلك هذه الأوصاف على كل الشيعة في العالم بل وتعدّوهم إلى الحركات الإسلامية في كل بقاع الدنيا وإن كانت سنّية ولا علاقة لها بالشيّعة.

ونحن لا يهمّنا ما يقوله الإعلام الغربي وأعداء الإسلام وما يعتمدونه في تحاليلهم من أوهام زائفة وأباطيل رائجة فكلّ عدوّ تُرجى مودّته إلاّ من عاداك في الدين.

والذي يهمّنا هو ما يقوله بعض المسلمين عندما يتحدثون عن الشيعة فإنّك تسمع منهم الأعاجيب، والغريب أنّهم لا يستندون في أقوالهم على بيّنة واضحة أو حجّة قاطعة ويردّدون بالضبط أقوال

أسلافهم بدون تحليل وتمحيص.

وإضافة لما قدّمناه في كتابنا الرابع «الشيعة هم أهم السنّة» من تعريف حقيقي لهذه الفرقة فإنه يتحتّم علينا أنْ نُطلع بعض المسلمين من روّاد الحقيقة والذين لا تأخذهم في الله لومة لائمٍ على أقوال الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم في الشيعة ثم نتطرّق بعد ذلك لأقوال العلماء والمفكرين من القادحين والمادحين:

* الشيعة في القرآن الكريم:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**إنّ الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات أولئك هم خير البريّة**﴾ «البيّنة/ ٧».

يقول جلال الدين السيّوطي في تفسيره للقرآن الكريم والمسمّى بالدر المنثور في التفسير المأثور ما نصّه:

عن أبي هريرة قال: أتعجبون من منزلة الملائكة من الله؟ والذي نفسي بيده لمنزلة العبد المؤمن عند الله يوم القيامة أعظم من منزلة مِلك واقراؤا إن شئتم ﴿**إنَّ الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات أولئك هم خير البريّة**﴾ «البينة/ ٧».

وعن عائشة قالت: قلتُ يا رسول الله من أكرم الخلق على الله؟ قال: يا عائشة أما تقرئين ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البريّة**﴾.

وعن جابر بن عبد الله قال: كنّا عند النّبي صلى الله عليه وآله وسلم فأقبل عليّ فقال النّبي صلى الله عليه وآله وسلم: «والذي نفسي

بيده إنّ هذا وشيعته لَهُمُ الفائزون يوم القيامة، ونزلتْ ﴿**إنَّ الّذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البريّة**﴾ فكان أصحاب النّبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا أقبل عليّ قالوا: جاء خير البريّة.

وعن أبي سعيد مرفوعاً: عليٌّ خير البريّة.

وعن ابن عباس قال: لمّا نزلت: ﴿**إنّ الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات أولئك هم خير البريّة**﴾، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي: «ها أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيّين».

وعن عليّ قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ألم تسمع قول الله: ﴿**إنَّ الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات أولئك هم خير البريّة**﴾، أنت وشيعتك وموعدي وموعدكم الحوض إذا جاءتِ الأمم للحساب تدعون غرّاً محجّلين.

وعُلماء السنّة الذين أوردوا هذا التّفسير عند تفسيرهم للآية الكريمة كثيرون بالإضافة إلى جلال الدّين السّيوطي نذكر الطبري في تفسيره والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل، والشوكاني في فتح القدير، والألوسي في روح المعاني، والمناوي في كنوز الحقائق.

كما ذكرها الخوارزمي في المناقب وابن الصباغ المالكي في فصوله المهمّة، وابن عساكر في تاريخ دمشق، والشبلنجي في نور الأبصار، وابن الجوزي في تذكرة الخواص، والقندوزي الحنفي في ينابيع المودة، والهيثمي في مجمع الزّوائد والمتّقى الهندي في كنز العمّال وابن حجر في الصّواعق المحرقة.

وعلى هذا الأساس المتين لا يمكن للباحثين أن يقنعوا بالأقوال التي تفترض ظهور الشيعة إلاّ بعد مقتل أبي عبد الله الحسين عليه السّلام.

* الشيعة في السنّة النّبويّة:

لقد تحدّث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الشيّعة عديد المرّات وأثبت في كلّ مرة بأنّ أتباع علي هم الفائزون لأنّهم ساندوا الحق وناصروه وتركوا الباطل وخذلوه.

كما أثبت أيضاً بأن شيعة علي هم شيعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونكتفي في هذا الموجز بالحديث الذي أخرجه ابن حجر في الصواعق المحرقة وغيره من علماء السنّة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي:

«أما ترضى أنّك معي في الجنّة والحسن والحسين وذرّيتنا خلف ظهورنا وأزواجنا خلف ذريتنا وشيعتنا عن أيماننا وشمائلنا»[1].

وكم من مرّة نوّه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم بعلي وشيعته فقال:

«والذي نفسي بيده إنّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة»[2].

وإنه من الطبيعي جدّاً أن ينوّه الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلم بأتباع الحق ويجعل لهم علامة يُعرفون بها على مرّ العصور ليتمكّن المسلمون من معرفة الحقيقة المطموسة فيهتدون إليها من أقرب السّبل.

---

(١) الصواعق المحرقة لابن حجر ص ٩٦ وكذلك ص ١٥٩.
(٢) المناقب للخوارزمي الحنفي ص ٦٢.

ومن أجل تنويه الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلم وتوجيهاته المتواصلة فقد تكوّنت مجموعة من فضلاء الصحّابة واشتهروا بتشيّعهم لعلي بن أبي طالب واتّباعه عقب وفاة الرّسول ومن هؤلاء سلمان الفارسي وأبي ذر الغفاري وعمّار بن ياسر وحذيفة بن اليمان والمقداد بن الأسود حتّى أصبح لفظ الشّيعة لقباً لهؤلاء كما أثبته الدكتور مصطفى كامل الشّيبي في كتابه «الصلة بين التصوّف والتشيّع» وكذلك أبو حاتم في كتاب الزينة عندما قال:

«إن أقل اسم لمذهب ظهر في الإسلام هو الشيعة وكان هذا لقب أربعة من الصحابة، أبو ذر الغفاري وعمّار بن ياسر وسلمان الفارسي والمقداد بن الأسود».

وبهذا يتبيّن خطأ المستشرقين وبعض الباحثين المسلمين الذين أخدوا عنهم من أنّ التشيّع هو ظاهرة سيّاسية أولدتها الظروف بعد مقتل الحسين عليه السلام.

كما يتبيّن زيف المُغرضين الذين يُلصقون ظاهرة التشيّع بالفُرس، فهؤلاء كشفوا عن جهلهم وتعصبهم.

وكيف يفسّر الباحثون تشيّع الصحابة للإمام علي في حياته وقد كانت الكوفة معقلاً للشيّعة خلال حرب الجمل وحرب صفين في بداية الإسلام.

وكيف يُفسّر هؤلاء المغرضون وجود دول شيعيّة في البلاد العربية في شمال أفريقيا كالمغرب وتونس وفي المشرق كمصر وحلب قبل أن تعرف إيران التشيّع بمئات السّنين؟ إذ أن دولة الأدارسة في المغرب كانت في القرن الثاني للهجرة ودولة الفاطميّين في تونس كانت في نهاية

القرن الثالث للهجرة وحكم الفاطميون مصر في أواسط القرن الثالث للهجرة، وقامت دولة الحمدانييّن الشيعيّة في حلب سوريا وفي العراق في القرن الرابع للهجرة أيضاً.

بينما تأخّرت دولة الصوفيّين وتشيّع إيران إلى القرن العاشر الهجري على يد الشّاه إسماعيل.

وإنّ الذين يُحاولون بطريقة أو بأُخرى إلصاق التشيّع بالفرس لن يتمكّنوا أبداً من ذلك ودون ذلك خُرط القتاد.

وكما قدّمت سابقاً في كتاب «ثم اهتديت» أنّ جلّ علماء أهل السنّة وأئمّتهم من الفرس لم يكونوا من الشيّعة بل كانوا من المتعصّبين ضد الشيعة والتشَيّع، ويعترف بعض المؤرّخين بأنّ الفرس كانوا يسبّون عليّاً على منابرهم حتّى بعد نهي عمر بن عبد العزيز عن ذلك[١].

وإذا عرفنا أن أكبر المفسّرين وأقدمهم هو الإمام الزمخشري وهو فارسي، وأنِ أكبر المحدّثين هو الإمام البخاري والإمام مسلم وهما فارسيان، وأنّ أبا حنيفة الإمام الأعظم كما يلقبه أهل السنّة هو أيضاً فارسي، وأنّ إمام النحويّين المشهور سيبويه فارسي، وأن إمام المتكلمين واصل بن عطاء فارسي وأنّ إمام اللغويّين الفيروز أبادي صاحب القاموس المحيط فارسي وأنّ الإمام الغزالي والرّازي وابن سينا وابن رشد كلهم فرس وكلّ من ذكرناهم من علماء السنّة وأئمتهم.

فهل يتوب هولاء المرجفون إلى رشدهم ويتركوا الباحثين يستنتجون بعقولهم ما يمليه التاريخ الصحيح؟!

---

(١) كتاب حاضر العالم الإسلامي ج ١ ص ١٩١ نقلاً عن الخوارزمي.

اليومَ أكملتُ لكُم دينَكم...
لَوْ تشيَّعَ المُسْلِمونَ في ذلك اليومِ

عيد الغدير أكبر الأعياد وأعظمها عند الله:

يحتفل المسلمون قاطبة في مشارق الأرض ومغاربها بعيدين سُمّي الأوّل عيد الفطر لأنّه يعقُبُ شهر الصيّام مباشرة وسمّي الثاني عيد الأضحى لأنّه يعقبُ فريضة الحج مباشرة.

ودأبَ المسلمون منذ وجودهم إلى اليوم على إحياء ذكرى هذين العيدين والإحتفاء بهما في كل بقعة من العالم وقد يُسمُّوا العيد الأول بالعيد الصغير، ويسمّوا العيد الثاني بالعيد الكبير.

ولكنّهم ومع الأسف الشّديد اختلفوا في العيد الثالث وهو العيد الأكبر والذي يُسمّى الغدير، وهو اليوم الذي أكمل الله فيه الدّين وأتمّ فيه نعمته على المسلمين.

والمتتبّع للتاريخ يكتشفُ بلا ريب أن اختلافهم نشأ من الموقف

السيّاسي الذي وقفه أصحاب السقيفة، عند وفاة النّبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأباحوا لأنفسهم شرعية الاجتهاد معارضين بذلك النّصوص الصريحة[1] التي جاءت في كتاب الله وسنّة رسوله، وحملوا المسلمين على ذلك قهراً.

ونشأ من ذلك إبعادُ أمير المؤمنين المنصوص عليه بالخلافة وإبداله بمن اختارته قريش نزولاً عند رغبتها وتلبية لطموحاتها فكانتْ أقلُ نكسة أصابت المسلمين بعد نبيّهم مباشرةً أنذرتْ ببداية صّراع الباطل ضد الحقّ والجاهلية ضد الإسلام.

ولا شك بأنّ قوله سبحانه وتعالى:

﴿وما محمّد إلاّ رسول قد خلتْ من قبله الرّسل أفإيْن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم. . .﴾ «آل عمران/ ١٤٤». له علاقة مباشرة بعيد الغدير.

فقد احتفل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم بعيد الغدير عندما أمره الله سبحانه أنْ يولّي عليّاً خليفة من بعده ويدلّ الأمّة عليه فكبّر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما تمّت البيعة من الحاضرين ونزل عليه الأمين جبرائيل بقوله:

﴿اليوم أكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلام ديناً. . .﴾، «المائدة/ ٣» فقال: الله أكبر، الحمد لله على إكمال

---

(١) ومخالفة المناسبات العديدة، يقول العلامة محمد حسين الطباطبائي في كتابه الشيعة في الإسلام ص ٢٤، ويستحيل عادة على قائد نهضة وفي أيامها الأولى، أن يعيّن أحد أصحابه وزيراً وخليفة له على الآخرين، ولا يعرّفه للخلّص من أصحابه وأعوانه. . . أو أن يجعله بعيداً عن مسؤوليات الوزارة والخلافة!!

الدّين وإتمام النعمة ورضا الرّبِ بولاية أخي وابن عمّي، وعقد له موكب تهنئة في نفس اليوم فلم يبقَ أحد ممّن حضر ذلك اليوم من النّساء والرّجال إلاّ جاء مهنئاً ومباركاً لعلي بتلك الولاية.

ولكن لم يطل العهد فبعد شهرين فقط من ذلك الاحتفال العظيم بالعيد الأكبرِ تنقلب الأمّة وتتنكّر للعيد ولبطل العيد وتختار لنفسها غير ما ارتضاه الله سبحانه مُعلّلةً تارة بصغر سنّه وطوراً بأنّ بني هاشم تشرّفتْ بمقام النّبوّة فلا ينبغي لها أن تحظى بمقام الخلافة أيضاً وثالثة أن قريشاً لا تجتمع على من قتل أبطالها وصرع شُجعانها وحطّم كبريّاءها.

وليس لابن أبي طالب في كلّ ذلك ذنب إلاّ أنّه اشترى نفسه ابتغاء مرضاة الله، وضحّى بكلّ شيء في نصرة الدّين الذي جاء به أخوه وابن عمّه، لاَ تأخذه في الله لومة لائم، ولاَ يُثني عزمه من حطام الدنيا شيءٌ.

ولستُ بقادر على تعداد فضائل الإمام علي وإظهار مزاياه، وأنا أعرف مسبّقاً بأنّ البحر لو كان مداداً لكلمات ربّي لنفذ البحر قبل أن تنفذ كلمات ربّي.

ويكفيه فخراً وشرفاً بأن الله أكمل الدّين بإمامته وأتمَّ نعمته بخلافته ورضي عن المسلمين الذين سلّموا بولاَيته.

ويكفيه عزّاً وفضلاً أن جعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إمام المتّقين وسيّد المسلمين وقائد الغرّ المحجّلين ويعسوب الدّين.

ولستُ محتاجاً لإقامة الدّليل على صحّة عيد الغدير وإثبات النصوص النقليّة والأحداث التّاريخية عليه، فقد أجمعت الأمّة الإسلامية قاطبة على وقوعه بما في ذلك الشيعة الذين يحتفلون به والسنّة الذين يُحاولون تأويله.

وقد قرأنا أقوال المحتفلين كما قرأنا أقوال المُتأوّلين قرأنا عقائد المُوالين الذين فهموا من تلك النُصوص ومن ذلك الاحتفال بأنّ الإمامة هي أصل من أصول الدّين.

وقرأنا عقائد المُخالفين الذين تأوّلوا تلك النّصوص على أنّها لاَ تعدُوا أن تكون رأياً ارتآه محمّداً في ابن عمّه وزوج ابنته لكي يُعطّف عليه قلوب المُبغضين والحاسدين.

وعرفنا بعد ذلك موقف المُوالين الناصرين وهم قلّة قليلة فقيرة مستضعفة، كما عرفنا موقف المعادين الخاذلين وهم كثرة كثيرة غنيّة مستكبرة استباحتْ انتهاك حرمة أهل بيت النّبوة بدءاً بسيّدة النساء ومروراً بسيّد الأوصياء فأشعلوها عليه حروباً شعواء فكانتْ حرب الناكثين وحربُ القاسطين ثم حربُ المارقين إلى أن اغتالوه في محراب الصّلاة، عند ذلك سجدوا لله شاكرين.

وانتهاءً بقتل ولديه «سيدَا شباب أهل الجنّة» الإمام الحسن بالسمّ والإمام الحسين مع أقمار أهل البيت في كربلاء.

عرفنا من كلّ ذلك بأنّ عيد الغدير كان هو الفتنة والاختبار لهذه الأمة التي تمزّقت وتفرّقت واختلفتْ كاختلاف اليهود والنّصارى كما نصّ على ذلك سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم[١].

وعرفنا بأنّ الإمامة المقدّسة والتي هي من أصول الدّين أضحتْ

---

(١) صحيح البخاري ج ٤، ص ١٤٤ باب ما ذُكر عن بني إسرائيل من كتاب بدء الخلق وكذلك ج ٨، ص ١٥١ باب قول النبي لتتبعن سنن من كان قبلكم من كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة.

منبوذة مقهورة لاَ يقدر أهلها إلاّ على الصّبر والتسّليم.

وعُوّضتْ بإمارة مزيّفة كانت فلتةً وقى الله شرّها الإسلام والمسلمين حتّى طمع فيها بعد ذلك الطّلقاء والفاسقين ولم يركب سفينة النجّاة التي صنعها محمّد إلاّ بعض المخلصين وجرف تيّار الدنيا وحبّ الرئاسة بقيّة المسلمين.

فتركوا أئمة الهدى ومصابيح الدّجى، واتّبعوا مذاهب ابتدعوها ما لها في كتاب الله ولاَ في سنّة رسوله حجةٌ يوم يقوم النّاس لربّ العالمين.

هذه هي قصة عيد الغدير وبطل الغدير، والمؤامرة التي ولدتْ بعد الغدير بكلّ اختصار فلا فائدة في التفصيل.

ومن أراد البحث فأنصحه بالرّجوع إلى كتابي «مع الصادقين».

واليوم بقي علينا أنْ نعرف بأنّنا سنّةً وشيعة كلّنا ضحايا التّاريخ، بل ضحايا المؤامرات والمخالفات التي فعلها غيرنا فهذا ما جناه علينا أسلافُنا، والله يعلم براءتنا وأنّنا تابعين ولسنا مبتدعين، وقد خَلَقَنا على الفطرة وأبوانا هما السّبب في تشيّعنا وتسنّنا في هدايتنا وإضلالنا.

بقي علينا أن نعرفَ بأن الانحراف الذي تواصل أربعة عشر قرناً لا يمكن إصلاحه في بضع سنين، ومن يتصوّر ذلك فهو يخدَعُ نفسه ويُمنيّها بالمُحال.

وإنّه لغنيّ عن البيان بأنّ الأئمة المعصومين عليهم السّلام بدءاً بالإمام علي وانتهاءً بالحسن العسكري عملوا كل ما في وسعهم لتوحيد الأمّة وهدايتها للصراط السّوي، وبذلوا في ذلك أرواحهم وأرواح

أبنائهم ليستقيم دين محمّد، فأبى أكثر النّاس إلاّ كفوراً وعناداً للحقّ الذي هم له كارهون.

بقيَ علينا أن نعرف بأنّ جهود المصلحين من المؤمنين الصّادقين والعاملين باءتْ كلّها بالفشل، وتحطّمت أمانيّ الوحدة على صخور التعصّب الأعمى والجهل المقيت، ووقفتْ أمامها جبالٌ وأتلالٌ من القوميّات والجنسيّات ومختلف الحكومات ومن وراء كلّ هؤلاء أعداءٌ لنا في الدّين لاَ تُرجى مودّتهم عملوا من عهد الرّسالة وحتّى هذا اليوم بكلّ جهودهم لإطفاء نور الله.

ومن وراءهم انتهازيّون لاَ يؤمنون إلاّ بمصالحهم ومنافعهم التي تُهدّدها وحدةُ المسلمين، فهم دائبون يعملون على التحطيم والتّشتيت على التّفريق والتّمزيق.

أضف إلى كلّ هؤلاء إبليس اللّعين الذي قال لربّ العزّة: **﴿لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم﴾**. «الأعراف/١٦».

علينا أن نعرف أيضاً بأنّ الوقت قد انقضى، أربعة عشر قرناً ونحنُ نائمون هائمون، سكارى حيارى، تُخدّر عقولنا زخارف الدّنيا وزينتها ويُنْخِرُ جسمَنا أمراضٌ يصعبُ علاجها.

بينما عمل أعداؤنا على التقدّم العلمي والتقنيّ واستباحوا بذلك استعمارنا وإذلالنا وامتصاص دماءنا وخيراتنا بدعوى أنّنا شعوب متخلّفة يجبُ تطويرُها أو وحوش ضارية يجبُ ترويضُها.

وملكوا علينا كلّ طريق وسدّوا علينا كلّ المنافذ وأخذوا يحسبوا علينا أنفاسنا، فإذا عطسَ الواحدُ منّا عطسة واحدة قد تكون مرّة على رأس كلّ قرن، فيحسبُ له عند ذلك ألف حساب ويُطالبونه بمصدر ذلك

الزّكام خوفاً على أنفسهم من العدوى التي قد تؤدّي إلى ما لا يُحمدُ عُقباه.

كلُ ذلك لأنّهم أخذوا من الإسلام وعملوا به، أما نحن فتركنا كثيراً مما أمرنا الله به، ولا داعي للشرح والتّفسير فإنّ اللّبيبَ من الإشارة يَفهمُ.

واستيقظنا اليوم من سُباتنا وبدأنا نُصفِّقُ ونرقصُ على نغمات الوحدة، وكلّ منّا يدّعي أنّه بطلُ الوحدة.

وتصورنا أنّ ذلك أمراً ميسوراً وسوف نجمع الأمّة بين عشيّة وضحاها ببعض الشعارات وإقامة بعض المؤتمراتِ.

فمنذ فتحتُ عينيّ على الدنيا وأنا أسمعُ بالوحدة، وتعلّمتُ في المدرسة الأولى أناشيد الوحدة، وجرت معانيها في دمي وعروقي، وترعرعتُ وكبرَت وفي كلّ يوم أحلُم بالوحدة، وها أنّي نيّفتُ على الخمسين وما رأيتُ للوحدة شبحاً ولاَ وجوداً.

واكتفيتُ بعد اليأس من وحدة المسلمين بل وحتّى من وحدة العرب بوحدة جزئية تجمع دولتين متجاورتين وفرحتُ بها صباحاً وبكيتُ عليها مساءَ نفس اليوم الذي ولدتْ فيه.

فالشّعبين توأمين لا يُفرّقهما شيء إلاّ ما يُسمّى بالقرارات الحكومية، وعرفتُ وقتها بأنّ الشّعوب مصيرها في أيدي أفراد معدودة تتحكم بها كيف شاءتْ، فإذا شاءت وحّدتْها وإذا شاءتْ ألّبتْ بينها فأدخلتها في حرب، فإذا بك ترى نفس الأشخاص الذين كانوا يتعانقون أصبحوا يتقاتلون.

وإذا كان الأعداء ملكوا من القوّة والنّفوذ ما فرّقوا به بين شعوب توحدتْ من مئات السّنين، وعملوا على تمزيقها وتذويبها مع ما لهذه الشعوب من قوّة ونفوذ.

فهيهات أن يتركوا شعوباً إسلامية ممزّقة من مئات السّنين تلتقي وتتوحّد لتشكّل خطراً على مصالحهم مع ما لهذه الشعوب من الفقر والتخلّف التّقني والديون المتراكمة.

وهبْ أنّنا توحّدنا فماذا سنجني بهذا الفقر والتخلّف فإذا فكّرنا في طرد المستعمرين وقطع أيدي السّارقين لاَ بدّ لنا من إعداد القوّة الكفيلة لردع الظّالمين، وقطع دابر المشاغبين وكيف لنا بذلك ونحن لاَ زلنا نشتري منهم السّلاح الذي لاَ يُستخدمُ إلاّ لقتل المسلمين وأبناء الشعب الكادحين.

وإذا تقدّمنا يوماً فسيتقدّمون ستّين وإذا أعددنا لهم قوّةً واحدة فسيعدّون لنا سبعين.

وإذا ما أردنا المواجهة لحربهم فسوف لن يُكلّفوا أنفسهم عناءً كبيراً وسيُحرّكون اخوة لنا في العروبة والدين، فيقتلُ بعضنا بعضاً ويظلّوا هم من المُتفرّجينَ والمصفّقين.

وما حربُ الخليج ببعيدة عن المُراقبين فقد مات فيها حفنة من جنودهم بينما دُفنَ في التراب مئات الآلاف من الأحياء المسلمين ؛أصبح من كان بالأمس يهدّد بحرق إسرائيل وصدّقه بعضُ الغافلين ي رقُ شعبه «بالنّابالم» شمالاً وجنوباً ولم تسلم العتبات المقدّسة والمساجد من مرتزقته الخائنين الذين رأيناهم ضد الكفّار جُبناء خاملين

وضد المسلمين أصبحوا أسوداً شرسين[1].

لقدْ بذلت الجمهورية الإسلامية الفتية في إيران كلّ ما في وسعها لتوحيد المسلمين وقدّمتْ في سبيل ذلك كل الجهود ودفعتْ ثمناً باهظاً من دماء أبنائها المخلصين، وعادت الشرق والغرب وواجهت حصاراً عالمياً، ومات قائدها رضوان الله عليه وهو يتحسّر على عدم استجابة المسلمين كما تحسّر جدّه إمام المتقين.

ومن أقواله المعنوية الخالدة: «لو يبصُق المسلمون كلهم بصقة بصقة لأغرقوا اسرائيل».

---

(١) عن كتاب الملف السرّي في حرب الخليج ص ١٣٨ ـ ١٣٩، ففي رسالة إلى الرئيس الإيراني (رفسنجاني) امتدح الخائن العميل صدام السلام، فأكد أنه يتخلى عن مطالبه... ببضعة سطور محا المجرم صدام ذكرى مئات الآلاف من القتلى العراقيين، ثماني سنوات شهدت نزاعاً اعتبر أكثر دموية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية!!!.

بعدما رفع شعار (طريق القدس يمر عبر طهران)، ثم تحول إلى الكويت، قتلاً ونهباً واغتصاباً للنساء بواسطة مرتزقته وأخيراً ليحرق (سيف العرب) آبار النفط الكويتي، وأصدر قراراً باعدام كل من يمتنع عن سرقة الكويتيين!.

ومن الجدير بالذكر أن الاعلام العراقي والأمريكي والشريك الثالث الأمم المتحدة امتنعوا عن نشر بيانات حول الخسائر البشرية والمادية التي سببتها دول الحلفاء في القصف على العراق علماً أن الذي قُصف هو المرافق والمؤسسات الاقتصادية والجسور والمستشفيات، فالآن يتعرض الشعب العراقي إلى عملية تجويع فحوالي أكثر من ٤ ملايين فرد معرّضون للموت وإن (٧٥٪) من الولادات معرضة لخطر الموت بسبب سوء التغذية وفقدان الرعاية الصحية، ولن يرفع الحصار إلا بعد تحطيم وتدمير سلاح النظام، الذي كونه من أموال وعرق الشعب العراقي والعربي وليقدم كل الشعب العراقي قرباناً لاسرائيل وأمنها واستقرارها!!!..

فإذا كانت نفوس المسلمين تشحّ عن البصقة الواحدة فكيف يُطمع أن يجودوا بالنّفس والنّفيس، ولهذا كان أكثرهم يقيمون مع اسرائيل علاقات ودية، فلا تطمعون بالوحدة يا غافلين.

وهل غاب عنكم بأن خمسين ألفاً من الفلسطينيين ينتظرون كلّ يوم رحمة اسرائيل ويسارعون كلّ صباح للعمل في الذلّ والهوان لكسب قوتهم وقوت عيالهم من ورائهم، فإذا ما أغلقتْ اسرائيل أبوابها عنهم فسيموتون جوعاً كما وقع في الأيام الأخيرة.

فأين إخوانهم من المسلمين الذين أغناهم الله من فضله حتى أن الأمير الواحد منهم له عائدات تفوق في حجمها تمويل أولئك المضطرّين الذين لا يُحاربون ولا يقاومون اسرائيل ما داموا يشعرون بأنّها وليّةُ نعمتهم وسببُ ارتزاقهم[١].

وسلام الله على علي القائل: «كاد الفقر أن يكون كفراً ولو كان الفقر رجلاً لقاتلتُه».

صحيح أن في الوحدة قوة ولكن المفروض أن يكوّن كل عنصر من عناصرها قوّة. أمّا إذا كانت عناصر الوحدة كلّها ضعيفة ومريضة فلا يزيد جمعها إلاّ سُقماً ومرضاً، وكيف يؤمن بالوحدة من شغله جوع بطنه وسرض جسمه.

عن ماذا أحدّثكم؟ عن الأطفال الذين لا يجدون سلاحاً للمقاومة

---

(١) ذكرت الصحف والأخبار بأن بعد القرار بنقل العاصمة من تل أبيب إلى القدس زار مسؤول خليجي أمريكا مقدماً (٦) مليارات دولار تبرعاً منه لرفاهية الشعب الأمريكي.

غير الحجارة، وقد كُسحتْ كلُّ الأحجار؟ ولعلّ البعض منهم يبحث عن حجارة يربطها على بطنه لألم الجوع.

والمُضحك المُبكي أنّك تسمع المتشدّقين يُحاولون بكلّ جهودهم اقناعنا بأنّ ثورة الحجارة أربَكتْ اسرائيل وزعزعتها وهي مجرّد دعاية إعلامية لتبرير أفعال اسرائيل الوحشيّة فإذا جُرِح جندي اسرائيليٌّ «واحدٌ» بحجر قتلوا به عشرات الأطفال الأبرياء بالرشّاشات النّارية والقنابل المدفعية.

فأين هي الدول العربيّة التي توحدتْ تحت ظل الجامعة منذ عشرات السّنين ووعدتْ بتحرير فلسطين؟.

أين هي الدّول الإسلامية والتي تتزعّم رابطة العالم الإسلامي وتدّعي أنها ستحرّر القدس؟.

هل وجدتم دولةً من هؤلاء قدّمتْ دعماً أو سلاحاً لأطفال الحجارة أو للمجاهدين المتطوّعين الذين روّعتهم القنابل والصواريخ ولا يقدرون على دفعها وليس عندهم غير الحجارة. إنّنا رأيناهم في حرب الخليج، رأينا اخواننا العرب المسلمين كيف أخرجوا أسلحتهم المخفيّة وبذلوا المليارات النقدية وصالوا وجالوا لإطاحة الحكومة العراقية التي هدّدت بدورها بالقضاء على الحكومة الاسرائيلية والعملاء والرّجعية.

ولكنّهم في الحقيقة كانوا كلّهم متآمرين للقضاء على الثورة الشيعيّة، وفعلاً بقي النظام العراقي واسرائيل وبقي العملاء والرجعيّة ودُفنَ الشيعة أحياء في التّراب وشُرّد الباقون في الصحاري والبرّية ومئَات الآلاف من اللاجئين يعيشون في الخيام تحت ذلّ السعودية واهانة الوهابيّة.

أحدّثكم عن مصير المسلمين في أفغانستان الذين منّ الله عليهم بالنّصر فدخلوا يتقاتلون وسط أبنائهم وعيالهم يخرّبُون بيوتهم بأيديهم، وتحرّكهم أيادي كافرة أجنبيّة[1].

أحدّثكم عن مصير المسلمين في يوغسلافيا الذين تكالبتْ عليهم قوى الكفر وتعمل على محوِ ذكرهم من أوروبا الشرقية. أحدثكم عن المسلمين في الهند وما شاهدته شخصياً من اعتداء على كرامتهم حتى وصل الأمر أنّ المسلمات من العلويات يُبعنَ في الأسواق كالحيوانات.

أحدّثكم عن المسلمين في أثيوبيا وفي الصومال وفي السودان

---

(١) شاهدت شريط فيديو عن عمليات بشعة جداً، من التمثيل بالجثث وقطع الرؤوس، ودفن الجرحى بالمقابر الجماعية، سألت عارض الفيلم لم كل هذا التشفي والحقد الوحشي إلى هذا الحد؟!.

فقال لي هؤلاء مدنيون آمنون شيوخ ونساء وأطفال... لأنهم شيعة!!!.

لقد قام بهذا العمل الاجرامي اللاإنساني مرتزقة باشراف (شاه مسعود) و (عبد رب الرسول سياف) الوهابي.. الذي يطيق أن يرى الشيطان ولا يرى الشيعي فيأمر وربما يفتي بأن مال الشيعة ودمهم وعرضهم مباح!.

كان هذا الهجوم على مدينة اسمها (أفشار) حيث قتل فيها حوالي (١١) ألف مدني مسالم، وإغتُصِبت النساء، ونُهبت الأموال، وأعقبها بعد مقتل قائد حزب الوحدة الأفغاني الشهيد عبد العلي المزاري، هجوم آخر على المدنيين كذلك لحوالي (١٣) ألف مدني قتلاً وغصباً ونهباً!!!

علماً أن الشيعة تمثل أما الخمس إن لم يكن الثلث من السكان ولها وجود تاريخي قديم، وفيها مقام لأحد أبناء الشهيد زيد بن علي (رض) في جوزجان ويسمى الآن مزار شريف، وما للشيعة من مواقف ضد الأمويين، والاستعمار الانكليزي وأخيراً في مواقفهم ومشاركتهم مع إخوانهم في القضاء واخراج الجيش الأحمر الشيوعي، فبدل أن يكرموا ويعترف بحقهم ومذهبهم ترى الآخرين يريدون إلغاءهم ومحوهم!!!

وفي أفريقيا السوداء الذين يموتون جوعاً كل يوم بالآلاف بينما تنعمُ الكلاب والقطط في أوروبا بشتّى أنواع الطّعام. وتداس كرامة المسلم في أعزّ مقدّساته، بينما تبعث جمعيّات لصيانة الحيوان والحفاظ على حياته.

فكفانا من الكذب والتدّجيل، كفانا من النفاق والتّضليل فإذا كان أبناء الوطن الواحد مختلفين فكيف نطلب وحدة كلّ المسلمين[١]؟

---

١) قال الإمام الحسين (ع) مخاطباً شيعة آل بني سفيان (إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم، فارجعوا إلى أنسابكم إن كنتم عرباً كما تدعون)!.

فلقد رفضنا ونزعنا عنا ثوب الدين الأسود الرجعي الذي أوصلنا إلى هذا التخلف والظلامية، فلنواكب عصور التقدم، فقد قال النظام العراقي (لا مكان في هذا القطر إلا للتقدم والاشتراكية)، وعندما يُذكر الدين فيُلغى ويُوصم بالرجعية! وكان النظام يرفع شعار (أمة عربية واحدة...) ولكنه جزّء العراق ومن ثم جيشه، وأعضاء حكومته بل وحتى أفراد أسرته، والآن محاط لا بالحرس الجمهوري بل بمن هم أخلص إنهم (فدائيو صدام)!.

هذا مثال للقائد التقدمي العربي الاشتراكي قاهر الدين الرجعي وموحد الأمة العربية!

والذي كان ولا يزال يحيك المؤامرات على شعبه وجيرانه، فقد كان هدف الجيش العراقي في حرب (٦٧) اسقاط النظام الأردني، وفي سنة (١٩٧٠) أبلول الأسود كان الفلسطينيون يظنون أن (صدام) وجيشه سوف يحمونهم) من تلك المجزرة التي قام بها صاحب الجلالة حسين بن طلال فسحقهم على مرأى ومسمع من الجميع!!!

نعم اجتمعوا على حرب الجارة ايران الإسلام، بعدما كانوا منضبطين بعصا الشاه! وبعدها سيناريو غزو الكويت، لتكون تمهيداً للتعايش مع الصهاينة، وكما أعادوا حسني مبارك للصف العربي، فسيعيدون صدام له، والذي يأبى سوف يحارب من قبلهم ومع شريكهم الجديد اسرائيل، لأن في ذلك عزّ العرب وتقدمهم نحو الأهداف العربية الخالدة!!!

فالكلام كثير والعمل حقير.

ونظرة واحدة في التاريخ الذي عشناه من حرب ثمان وأربعين وحتى حرب الخليج تكفي، حيث كان النّصر غالباً حليف الكافرين وفي كل مرّة كان نصيب المسلمين الذلّ والعار والهزيمة والخسران فاعتبروا بغضب الله يا أولي الألباب.

بالأمس القريب كنّا نقول لا نتفاوض مع اسرائيل وما أُخذ بالقوة لا يُسترد بغير القوة.

وأصبحنا اليوم نجري وراءها ونستجديها لتعيد لنا ما اغتصبته من أراضينا ونتوسّلُ إليها بأحبابها المُقرّبين.

فقلوبنا كلّتْ وملّتْ وعقولنا حارتْ وذلّتْ، ولم نعد نُصدّق لا بالوحدة ولا بالنّصر الذي يأتي من ورائكم.

وهل يُعقل أن بتوحد أمراء الخليج والملوك والسّلاطين مع الفقراء البائسين والجائعين المعدومين؟!.

نعم يتوحدون فقط بالكلام فشهادة أن لا إله إلا الله ولأنّ محمداً رسول الله. كلام، والإيمان كلام، وحتى الصلاة والزكاة والصوم والحجّ أصبحتْ كلّها كلام في كلام.

وليس من العسير أنْ يخطب الخطيب قائلا، ربّنا واحد ونبيّنا واحد وكتابُنا واحد وقبلتُنا واحدة فيا أيّها المسلمون اتحدوا اتحدوا.

وما أسهل أن يُرفع شعار «لا شيعية ولا سنية وحدة وحدة إسلامية».

ولكن غاب عن كلّ هؤلاء أن يعيشوا الواقع الأليم ويواجهوا الحقيقة عارية بدون لباس التضليل.

وقد خرجوا في السنوات الأخيرة علينا برأي جديد وكأنه غاب عن آبائهم الأولين وعن الأئمة المعصومين فقالوا بمنع الحديث في قضايا التّاريخ حتّى لا تثارُ حساسيّة بعض المسلمين وذهبوا في ذلك شوطاً بعيداً فقالوا بأنْ لا خلاف بين الشيعة و السنة إلا في فروع الدين بالضبط كما تختلف المذاهب السنية فيما بينهم وتنازلوا عن الإمامة التي هي عندهم أصلاً من أصول الدين.

وقد نتج من هذا الموقف الجديد أن تجمدتْ العقول بعدما تحرّرتْ ووقفتْ عن البحث للوصول إلى الحق بدعوى التوحيد لمواجهة العدوّ المشترك، وغفل هؤلاء أن عدوّنا الحقيقي كامنٌ في نفوسنا ويسكنُ في بيوتنا ويتربّى بأعيُننا.

والعجيب أنك إذا حْدَّثْتَ أحدَهم عن ماركس ولينين يزْهو وينشرح صدره ويعتبرك من المثقفين.

أمّا إذا ذكرت أبا حسن والأئمة من بنيه الطّاهرين تراه ينقبضُ عند ذلك ويتّهمك بطعن الخلفاء الرّاشدين والأعجبُ من ذلك أنك إذا قارعته بالحجّة بعد العناد واللّجاج عند ذلك يرفع شعار الوحدة الإسلامية، ويتّهمك بأنك تعمل على تفريق المسلمين.

فهل نشتم الذي يدعو لتوحيد العقيدة على كتاب اللهِ وسنّة رسوله بالرجوع إلى الثّقلين ونتهمه بتفريق المسلمين؟!.

وأصبح بعض العلماء يكتمون الحق وهم يعلمون وإذا سُئلوا عنه

فلا يُجيبون خوفاً من أن يُتهموا بأنهم يعملون ضدّ الوحدة الإسلامية.

وفي اعتقادي أن البحث العملي للوصول إلى الحق المنشود ليس خطراً يهدد وحدة المسلمين لأنّه لا يعدو اثارة العواطف والمشاعر التي سوف تنتهي في نهاية المطاف للوصول إلى الحقّ.

وإنما الخطر كل الخطر أن نضع على الأفواه كمّامات ونمنع الناس من البحث ونجمّد العقول ونحجبها عن الحق بدعوى التوحيد وهذا ما فعله حزب البعث في العراق ليفرّق بين الشيعة والسنّة فالكلام في ذلك ممنوع حتى لا يعرف السنّة حقيقة الشيعة[1].

---

(١) لقد كانت تحصل حالات تشيّع جماعي على يد بعض العلماء فمثلاً شيّع العلامة القزويني في الحلة حوالي (٣٠) ألف من عشائر الجبور، وغيره من العلماء، بل حتى العشائر ذات الصبغة البدوية وهي القريبة من تكريت والرمادي، كان عندهم مثل مشهور (الله يبلوكم بلوة آل علوان، تركوا دينهم وصاروا شيعة)!.

وقد كانت هناك لقاءات تاريخية بين علماء الشيعة والسنة، في حروب الاستعمار الانكليزي، والمدّ الشيوعي والبعث العراقي، فكان منهم الشهيد عبد العزيز البدري الذي قام النظام العفلقي بتقطيعه قطعة قطعة!.

وهكذا أخذ النظام العفلقي بالسياسة النفاقية، التي روّضه عليها أسياده من الماسونية، واستغلوا جهله، وعقده، وطبيعته الأعرابية، التي ورثها من قرية (العوجة) في أطراف تكريت الموغلة في البداوة والتخلف، فضلاً عن تشريده، لسوء خلق وأخلاقية عمه مع أمه، اضافة إلى الخلفية اليهودية، والحياة الغجرية، التي بلا عقود، وزواج وعهود... إلخ فهذا الأعرابي (أجدر أن لا يعرف حدود الله) فلا يعرف ما هي السنة فضلاً عن الشيعة، ولكنه مأمور، وهو لايتورع عن أي جريمة، وافتراء!

فاتّهم الشيعة بالعمالة للأجنبي، والكفر، والأصول الفارسية غير العربية.. الخ.

وهو أيضا ما فعله الخلفاء الأولون الذين منعوا الناس من نقل أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعدم ذكرها، فغابتْ بذلك الحقيقة عن أكثر المسلمين ، ولم يعرفوا عيد الغدير وما وقع في الغدير مما حدا باليهود والنّصارى أن يقولوا لهم: لو أنْ هذه الآية ﴿اليوم أكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي﴾ «المائدة/ ٣» نزلتْ فينا لنظرنا إلى ذلك اليوم واتخذناه عيداً ما بقي منّا اثنان فلا يجد الصحابة لذلك جواباً.

نعم طلع علينا آخرون يستدلّون بقول أمير المؤمنين عليه السلام «لأسلِّمن ما سَلِمتْ أمورُ المسلمين ولم يكنْ جورٌ إلى عليٍّ خاصّة».

ونسي هؤلاء أنّ أمير المؤمنين هوالذي أحيْا وقعة الغدير بعد ما قُبرت وأقام عليها ثلاثون شاهداً ممن حضرها ودعا عمن كتمها، كما أحياها ولديه من بعده في موسم الحجّ على رؤوس الأشهاد ألم يقل أمير المؤمنين في هذا الصدّد بالذات:

«لا تكونوا لعانين ولا سبابين ولكنْ قولوا كان من فعلهم كذا وكذا كي تكون أبلغ في الحجّة».

= رمتني بدائها وانسلت، ويكاد المريب أن يقول خذوني!!!

ومن المؤسف أنه استجاب له كثير ممن ينتمون إلى المذهب السنّي، وخاصة ممن كانوا يداهمون البيوت، ويعذّبون ويمثّلون ويغتصبون، بحقد دفين، وليكتبوا مع صدام (لا شيعة بعد اليوم)، وتحت فقههم أنه لا يجوز نقض يد الطاعة ومفارقة الجماعة مكنوا صدام بأن يفعل ما يشاء، وهذا لعمري كما هو واضح امتداد للفتوى البلاطية القائلة بعدم جواز،الخروج عن طاعة الحاكم ولو كان ظالماً، وهذا ارتداد على الحديث الشريف:«من رأى منكم منكراً. . .».

فيجب علينا أنْ نقتدي بأمير المؤمنين سلام الله عليه ولا نحتج فقط بقوله لأسلمن فنؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض.

صحيح أنّه صبر وفي عينه قذى وفي حلقه شجا من أجل مصلحة الإسلام والمسلمين، لأنه عليه السلام يفعل ما يقول فقد رأيناه حارب الناكثين والقاسطين والمارقين حتى أقام عمود الدين وأمّن المسلمين وعفى بعد ذلك عن أعدائه كلّما تعلّق الأمر بالجور عليه شخصيّاً.

فلا بد للمحتجّين علينا بنهج البلاغة أن يؤمنوا بكلّ ما فيه ولا يحتجّوا فقط بما يوافقُ أهواءهم، فإذا ورد في نهج البلاغة مدح وثناء على شخص نكرة: قالوا: هذا كلام الإمام علي في سيدنا عمر الفاروق يمدحه ويثني عليه.

وإذا قلت لهم: «أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة وإنّه ليعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرّحى ينحدر عني السّيلُ ولا يرقى إليَّ الطيرُ».

يقولون: هذا من وضع الشريف الرضي وليس هو كلام علي نعم يحبّون علي ويترضون عنه إذا كان ناصحاً للخلفاء ولم يخرج عن طاعتهم ونسي هؤلاء أن نفس علي كنفس محمد وقلب علي كقلب محمّد أذهب الله عنها الرجس وطهّرها تطهيراً، وأن علي هو نسخة طبق الأصل لمن وصفه ربّه بالخلق العظيم وأنّ قلوب أهل البيت لا يعرفُ الحقدُ والبغضُ إليها سبيلاً[1].

---

(١) وهكذا نحن شيعته فإذا ذكرنا أنه باب مدينة العلم انتفض محاورهم صائحاً، هذا لا ينافي أنَّ للمدينة أبواب، وإذا ذكرت شجاعته، وأنه الذي وضع الحجر الأساس للإسلام، قام أحدهم مزبداً تريد أن تلغي التاريخ وكيف فتح =

من أجل ذلك كان هذا النبيّ وذاك الوصيّ كان محمّدٌ هو المنذر وعلي الهادي، قاتل الأول على التنزيل وقاتل الثاني على التأويل.

من أجل ذلك اختاره الله واصطفاه للإمامة التي أكمل بها الدين وأتمّ بها النعمة، وكرامة له جعل الله تتويجه بالإمامة في يوم العيد الأكبر.

وعليٌّ مع صبره ومع نصحه لم يسكتْ يوماً عن حقّه فقد رويتم في صحاحكم بأنّه لم يبايع طيلة ستّة أشهر كان يحتجّ فيها عليهم جميعاً بكلّ حجّة ودليل حتّى قال لعمر: «أحلب حلباً لك شطره واشدد له اليوم ليردّه عليك غداً وقال: محمد أخي وصهري...».

كما رويتم بأنّه أخرج زوجته الزهراء وطاف بها مجالس الأنصار فكانوا يعتذرون إليها بقولهم: يا حبيبة رسول الله لو أن زوجك وابن

= المسلمون كل تلك الفتوحات وو... الخ.

هذا إذا كان الحوار هادئاً، أما إذا كان هناك ظلم واجحاف بحق الشيعة فإنهم مع إحراق بيت فاطمة، وفتوى قتل الحسين (ع) والتنكيل بالعلويين، وتسنين الأزهر وحلب ومطاردة الأشراف من نسل آل الرسول، وقتل الحجاج الايرانيين، ومحاربتهم والقضاء على شيعة العراق وعلمائها كأبناء المرجع السيد محسن الحكيم والمفكر المرجع السيد محمد باقر الصدر (قدس)!

هذا إذا لم يشاركوا اعلامياً، وعسكرياً كجنود عند الطاغوت، لأنه لا يجوز خلع يد الطاعة من ولي أمر المسلمين، ما لم تصل إلى المعصية!!!

لعمري ما أدري كيف يكون لون المعصية، عند يزيد، والحجاج وصدام؟!!!

نعم نحن ندعوهم إلى الحوار حتى نعرف الحق وأهله، وهم إذ يدعوننا اليوم إلى السكوت، فإن دعواهم التي عودونا عليها هي القتل والوقوف مع الظالمين للدفاع عن الولاة بِرّهم وفاجرهم!!!

عمّك سبق إلينا ما عدلنا به أحداً، فكان سلام الله عليه يقول: أفكنتْ أدع رسول الله لم أغسّله وأخرج لأنازع النّاس خلافته؟ فكانت الزهراء سلام الله عليها تقول: «ما صنع أبو حسن إلا ما ينبغي له، وما صنعوا إلاّ ما الله حسبيهم».

ألم يتذمّر عليٌّ وهو يدفنُ زوجته ليلاً مخاطباً رسول الله قائلا: «السلام عليك يا رسول الله وعلى ابنتك النّازلة بجوارك ستنبئك بتظاهر أمتك عليَّ وعلى هضم حقّها، فاحفها السؤال واستخبرها الحال».

ألم يرفض عليٌّ الخلافة المشروطة بتحكيم سنّة الخليفتين فهل يدلّ ذلك على رضاه وقبوله بما فعلاه؟!.

ألم يرفض عليٌّ الخلافة عندما أجبروه عليها ولم يقبلها إلاّ بعدما شهد له ثلاثون بواقعة الغدير وتنصيبه من قبل الرسول خليفة على كلّ المسلمين حتّى قال «من لم يكن علي وليّه فليس بمسلم» وبذلك بعث الإمام عيد الغدير بعدما كاد يُقبر ويُعفى ومع كلّ ذلك فأغلب المسلمين لا يعرفون ذلك ولا يصدّقون تلك الأحداث بدعوى أنّ شجاعة الإمام علي تأبى عليه السّكوت عن الحق.

وأقول لهؤلاء بأنّ شجاعة علي لا تتعدّى شجاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعليّ كان يقول: «إذا حمي وطيس المعركة واشتدّ البأس احتمينا بظهر رسول الله» ومع ذلك فقد سكت النبي عن الحق وتنازل للمشركين في كل شروطهم لمصلحة الإسلام والمسلمين حتّى اتّهمه بعض أصحابه باعطاء الدنيّة في الدّين وقال له: هل أنت رسول الله حقاً؟!.

كما اتّهم بعض الجاهلين الإمام الحسن بأنّه مذل المؤمنين عندما

صالح معاوية على حقن دماء المسلمين المخلصين.

فعيد الغدير هو المحطّة الفاصلة بين الحقّ والباطل. بيّن كمال الدّين وشموله بكتاب الله وسنّة نبيّه، وبيّن نقصانه واحتياجه لاجتهاد المجتهدين، بيّن تمام النعّمة واختصاصها بالشّاكرين، وبيّن نقمة الله وغضبه على المُنقلبين، بيّن الإمامة المعصومة التي جعلها الله في عباده المصطفين وبيّن الخلافة المغتصبة التي تقمّصها الطلقاء والفاسقين.

وإنّني عندما أتذكّر الشّهيد السّعيد السيد محمد باقر الصدر رضوان الله عليه فلا ولن أتردد لحظة في التّعريف بحق أهل البيت.

قال وهو يتحدث لجلسائه: «لمّا وردتْ عليَّ رسالة التيجاني من تونس وهو يُبشّرني بأن اخوة لنا احتفلوا لأوّل مرّة في تلك الرّبوع بعيد الغدير بكيتُ وحمدتُ الله أن جعل هناك بذرة التشيّع».

وفهم الحاضرون وقتها بأنّ بكاء الصّدر كان من شدّة الفرح بأن اهتدى على يديه بعض المؤمنين.

وفهمتُ أنا بمرور السّنين بأنّ بكاءهُ كان على مظلمة أمير المؤمنين والعترة الطاهرين ففي ظلمهم مظلمة الإسلام وكلّ المسلمين، وبكى السيّد الصدر على أغلبيّة المسلمين الذين لا يسمعون بعيد الغدير ولا يعلمون قيمته وعظيم شأنه عند ربّ العالمين.

وبعد هذا الاستعراض الوجيز لعيد الغدير ولفيض الغدير لا بدّ لي أنْ أُشارك برأيي في الحلّ المنشود لوحدة المسلمين ولكنّ رأيي ليس اجتهاداً منّي، وإنما هو اتباعٌ لنصوص الكتاب والسنّة، لأنّ رأيي ورأي العالمين بعدهما ضلال وظن، وإن الظن لا يُغني من الحق شيئاً.

فاعتقادي أنّ الوحدة لا تكون إلاّ على أساس متين، على أساس العقيدة الواحدة والاعتصام بحبل الله المتين لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إذا اختلفوا في الدّين صاروا حزب إبليس».

ومعالم الوحدة قد رسمها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم عندما قال: «تركت فيكم الثّقلين، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي وقد نبّأني اللّطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتّى يردَا عليَّ الحوض».

فالمتمسّك بهما هو من دعاة الوحدة التي أمر بها الرسول والمتخلف عنهما أو عن أحدهما فهو من دعاة الفرقة ـ التي نهى عنها رسول الله من حيث يشعر أو لا يشعر ـ ولو ادّعى أنّه زعيم الوحدة والتوحيد، فقوله زور وبُهتان ما دام اقتداؤه بغير الثّقلين.

ولعلّ ما ذكره لي أحد العلماء يُعبّر بصدق عن نوايا دعاة الوحدة من أهل السنّة والذين لا يشك أحد المسلمين في حبّهم وتقديرهم لأهل البيت، قال لي:

«نحن لا يُمكن لنا أن نتوحّد معكم إلا بظهور آيتكم» قلت: وما هي آيتنا التي تنتظرها؟.

قال: المهدي، الذي تزعمون أنّه حيٌّ ومخفي، إذا جاءنا فعند ذلك فقط سنتوحّد معكم ونعرف صدق اعتقادكم.

إنّه استنتاج مؤلم ولكنّه حقٌ لا مفرّ منه، فلا يمكن لهذه الأمّة أن تتوحّد إلاّ بظهوره، ولو افترضنا أنّ أكثر أهل السنّة سيستبصرون إلى الحق ويرجعون إليه إلاّ أنّه سيبقى في الأمّة دائماً بعضُ المُعاندين إلى

يوم الفناء[1]

وإنه من الضروري في ختام هذه الكلمة أن نذكّر بوصيّة قائد الأمّة ومؤسّس الجمهورية الإسلامية رضوان الله عليه لنقطع بذلك الطريق على المدّعين، بأنّه حرّم إثارة الحديث بين الشيعة والسنة من أجل الوحدة.

فلقد بدأ وصيّته رحمة الله عليه بحديث الثقلين وبعد شرح الحديث مباشرة قال:

«لا بدّ من القول بأنّ ما حَلّ من الطواغيت بوديعَتي الرسول

---

(١) لتقف في خندق أعداء أجداد المهدي (ع) وشيعته ومواليه، مؤيداً وساكتاً عن الظلم لهم أو مشاركاً مع قاتليهم أو صوتاً وصدىً لهم أو متفرجاً للسلامة!. مقتدياً بما ورثته (فقد كان (ابن عمر) يأخذ على الحسين بن علي مسيره إلى الكوفة، وثورته على يزيد بن معاوية، ومفارقته للجماعة) البداية والنهاية في التاريخ ج ٨ ص ١٦٣. (واعتزل (ابن عمر) أهل المدينة حين خلعوا يزيد بن معاوية، وأمر ولده وأهله أن يقيموا على بيعته، ولا يتابعوا أهل المدينة على خلعه) المصدر نفسه ج ٨: ص ٢١٨ وأنه قتل الحسين بن علي (ع) وسبى نساءه، وطاف في الرؤوس، وهدم الكعبة، واستباح المدينة ثلاثة أيام!.
وكأن سلامة الدين، وبقاء الإسلام، لا بالجهاد ولا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى للحاكم الظالم المستبد أمثال، يزيد، والحجاج وصدام، بل المهم هو (عدم نزع يد الطاعة ومفارقة الجماعة)!!!.
إذ بينما يدعو مفتي البلاط السعودي (ابن باز) بأن ذبائح الشيعة لا يجوز أكلها، وأنهم فسقة مشركون، ولا يجوز الزواج منهم أو تزويجهم نراه يرحب بالجيوش الأجنبية في الحجاز، وصور المجندات الأمريكيات في حالة الحمامات الشمسية، بكل حرية يعتبرهم مستأمنين في بلاد الإسلام وان الصلح مع اسرائيل مستحب، مع اطاعة ولاة الأمر من آل سعود!!
فلماذا لا تنتظر الإمام المهدي (ع) تحت مظلة طيبة، بدل هذه المظلة حتى يعجل الله في ظهوره لنشر العدل ورفع الظلم!!.

الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم هاتين قد حلّ بالأمة الإسلامية، بل بالبشريّة بما يعجزُ القلم عن شرح ذلك. ومن اللازم أن نذْكُر هذه النّكتة وهي أن حديث الثّقلين متواتر بين جميع المسلمين ومنقول بالتواتر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في كُتب أهل السنّة ابتداء من الصحّاح الستّة وحتى كتبهم الأخرى بألفاظ مختلفة وفي مواقع متكرّرة.

وهذا الحديث الشريف حجة قاطعة على جميع البشر خاصّة المسلمين بمذاهبهم المختلفة، وعلى جميع المسلمين الذين تمّتْ عليهم الحجّة أن يتحمّلوا مسؤولية ذلك وإن كان للجهلة الغافلين عذرٌ فليس لعلماء المذاهب أي عذر».

وبعد أن أوضح الإمام الخميني أدوار المؤامرة التي استهدفتْ كتاب الله والعترة الطّاهرة وأنّ الطّواغيت جعلوا من القرآن الكريم وسيلة لإقامة حكومات معادية للقرآن مع أنّ نداء الرّسول «إني تارك فيكم الثّقلين» كان يُدوّى في أسماعهم، فقد عَمدوا بحجج مختلفة ومؤامرات مُدبّرة إلى إقصاء المفسّرين الحقيقيين للقرآن والمطّلعين على الحقائق والآخذين كلّ القرآن من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم. قال:

«نحن نفخر بأننا أنباع مذهب يستهدف أن يخلّص حقائق القرآن الدّاعية بأجمعها إلى الوحدة بين المسلمين بل البشرية.

نحن نفخر أننا أتباع مذهب مؤسسّة رسول الله بأمر من الله تعالى وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، هذا العبد المتحرّر من جميع القيود والمأمور بتحرير البشرية من الاستعباد وجميع الأغلال.

نحن نفخر أن كتاب نهج البلاغة الذي هو بعد القرآن أعظم نهج للحياة الماديّة والمعنويّة وأسمى كتاب تحرّرِي للبشريّة وتعاليمه المعنويّة والادارية أسمى طريق للنجّاة، هو من إمامنا المعصوم.

نحن نفخر أن الأئمة المعصومين من علي بن أبي طالب حتى مُنجي البشريّة حضرة المهدي صاحب الزمان عليه آلاف التحيات والسّلام الذي هو بقدرة الله القادر حيٌّ ومراقب الأمور، هم أئمّتنا».

ثم يقول في آخر وصيّته رضوان الله عليه:

«أطلب من الشعوب المسلمة بكلّ جدّ وبكلّ تواضع أن يقتدوا بالأئمة الأطهار وأن لا يصغوا السّمع الى أي وسواس خنّاس معاند للحقّ والمذهب، وليعلموا أن أية خطوة منحرفة تشكّل مقدّمة لسقوط المذهب وحكومة العدل الإلهية.

من ذلك أن لا يغفوا إطلاقاً عن صلاة الجمعة والجماعة وعن شعائر عزاء الأئمة الأطهار، وخاصة سيد المظلومين والشهداء حضرة أبي عبدالله الحسين.

وليعلموا أن تعاليم الأئمة عليهم السلام لإحياء هذه الملحمة التاريخية الإسلامية، وما ينصبُّ من لعن على ظالمي أهل البيت إنّما هو بأجمعه صرخةٌ بطولية شعبية بوجه الحكام الظّلمة على مرّ التّاريخ وإلى الأبد.

وتعلمون أن لعن بني أميّة لعنة الله عليهم والحديث عن ظلمهم ـ مع أنهم قد انقرضوا وراحوا إلى جهنّم ـ إنما هو صرخة بوجه ظلمة العالم.

ومن اللازم أن نذْكُر في النّياحة وأشعار الرّثاء وقصائد الثّناء على أئمة الحقّ عليهم السلام بشكل قارع فجائع ظلم الظالمين في كلّ عصر ومصر وفي هذا العصر، وهو عصر مظلومية العالم الإسلامي بيد أمريكا وروسيا وسائر أتباعهما ومنهم آل سعود خونة الحرم الإلهي لعنة الله وملائكته ورسله عليهم.

يجبُ ذكر ظُلمهم بشكل قارع مقرون باللّعن.

ولنعلم جميعاً أنّ ما يبعثُ على الوحدة بين المسلمين هو هذه الشّعائر التي تحفظُ هوية المسلمين، وخاصّةً شيعة الأئمة الاثنى عشر عليهم صلوات الله وسلامه.

ما يجبُ أن أُذكّر به هو أنّ وصيتي لا تختصّ بالشعب الايراني المعظّم بل وصيتي إلى جميع الشعوب المسلمة والشعوب المظلومة في العالم بمختلف قومياتها ومذاهبها». (انتهى كلام الإمام الخميني).

هذه أيها الإخوة هي وصيّة قائد الأمة وهي صريحة في وجوب ذكر ظلمهم بشكل قارع مقرون باللّعن.

فدعوى من يزعم بأنّ الإمام حرّم ذلك، دعوى باطلة لا تقوم على دليل نقلي أو عقلي.

وفي الختام أقول على المسلمين جميعاً إذا أرادوا الوحدة الحقيقية أن يركبوا سفينة النّجاة.

ولذا كان نبي الله نوح عليه السلام قد صنع بأمر ربّه سفينة صغيرة لا تسَعُ إلاّ بعض المؤمنين المعدودين.

فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد هيّأ بأمر ربّه سفينة

كبيرة تستوعبُ جنباتها كل الأمة وبمقدور كل المؤمنين أن يركبوا فيها، فأهل البيت ليسوا حكراً على الشيعة فقط وإنّما اصطفاهم ربّهم لهداية كلّ البشر.

وفّقنا الله جميعاً لما فيه خير البلاد والعباد وجعلنا وإياكم من المتمسكين بولاية أمير المؤمنين وذريته المعصومين وأعاد الله علينا وعليكم عيد الغدير بالعزة والنصر.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا ومولانا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

الجهاد من أجل الثّبات على الهداية

قال الله سبحانه وتعالى ﴿وإنّي لغفّار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثمَّ اهتدى﴾ «طه/ ٨٢».

تدلّ هذه الآية الكريمة على أنّ التّوبة والإيمان والعمل الصّالح كلّها لا تكفي للمغفرة ولا تستوجب رضا الرّحمان إلاّ بشرط الإهتداء.

وقد ورد عن الإمام الصادق «سلام الله عليه» أنّه قال: «إنّ الله لا يغفر إلا لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى إلى ولايتنا أهل البيت».

وبهذا يُفهم أنّ الهداية والإهتداء خطين مُترادفين يُكمّل أحدهما الآخر، غير أن الهداية هي منّة إلهية يتفضل بها الله سبحانه على مخلوقاته، وقد شملت هدايته كلّ العباد بدون استثناء، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ونفس وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها﴾ «الشمس/ ٧». وقوله: ﴿إنّا هديناه السّبيل إمّا شاكراً وإما كفوراً﴾ «الانسان/ ٣».

أمّا الإهتداء فهو الاجتهاد الشخصي الذي يبذله العبد وفق الهداية العامة ليصل بعد البحث والتمحيص مُستعيناً بمداركه العقلية إلى معرفة الحق من الباطل فيختار طائعاً طريق الحق بعدما كان متجنّباً له. ويدلّ على ذلك قوله: **﴿فبشِّر عبادِ*الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه أولئك الّذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب﴾** «الزمر/ ١٦-١٧».

ومعنى الآية: أن العبد الذي يعقل، يفتح أذنيه للحوار ويستمع لكل الأقوال والنظريات فيميّز الحسن من القبيح والغث من السّمين فيختار اتباعَ الحقِّ على الباطل فيكون هذا العبد قد رجع إلى أصل الهداية التكوينية باختياره واستحقّ ثناء الله عليه بأنّه من أولي الألباب.

والمثال الأكبر على تفسير الهداية والاهتداء هو ما وقع ويقع في المسلمين من أمّة محمد صلى الله عليه وآله وسلّم الذين هداهم الله به فأخرجهم من الظلمات إلى النور وأرشدهم إلى سبيله ليسيروا على صراطه المستقيم وتركهم على المحجَّة البيضاء بعد أن أكمل الله لهم دينهم وأتمّ نعمته عليهم ورَضِيَ لهم الإسلام ديناً[1].

---

(١) فالمودة اعتبرت أجراً للرسالة **﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾**، «الشورى/ ٢٣». وهي المحبة وهي الباب والمسلك إلى رضوان الله تعالى، وبدونها دخول الباب من ظهرها **﴿وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها﴾** البقرة (١٨٩).

فعلي (عليه السلام) باب مدينة علم رسول الله صلى الله عليه وآله (أنا مدينة العلم وعلي بابها)، هذا علي مع الحق والقرآن، طلق الدنيا ثلاثاً..!.

لم ينافس على رئاسة ولا جاهد للجاه والأكل والشراب وفاخر الثياب والأموال والاهواء والشهوات، إنما جاهد نفسه الكبيرة التي أسست الدين وشيدت أركانه، «والله لو تظافرت العرب والعجم عليَّ ما وليت فراراً»، وضربته لعمرو بن ود التي تعدل عبادة الثقلين، وقلعه باب خيبر، بل محاربته =

لكنّ الأمّة تفرقتْ بعد نبيّها وتمزقتْ واختلفتْ إلى فرق وطوائف ومذاهب متعدّدةٍ بعدما كانت خير أمّة أخرجَتْ للنّاس.

والسبب الأوّل في تفريقها وتمزيقها يعود إلى الصحابة، إلى الرّعيل الأول الذين حملوا مشعل الرّسالة ليبلّغوه إلى الأجيال اللاحقة من بعدهم.

ولكن هؤلاء اختلفوا وتفرّقوا بعد نبيّهم بل اقتتلوا وتحاربوا وقتل بعضهم بعضاً وكفّر بعضهم بعضاً وتبرّأ بعضهم من بعضٍ.

وخلفهم على ذلك التابعون الذين زادوا المشكلة تعقيداً فوسّعوا دائرة الخلاف بما أدخلوه من أفكار جديدة ونظريّات غريبة على دين الله، فنشأت الفرق والمذاهب وكثرت الملل والنّحل وأصبح المسلم محتاراً يتخبط في الظّلمات ولا يدري أين يوجد الحق.

لأن كلّ فرقة تدّعي التمسّك بالقرآن والسنّة ولأن كلّ مذهب

= الجن وأسلمتهم. وأن الله تعالى أيّد النبي صلى الله عليه وآله بعلي (ع) راجع تاريخ بغداد ج ١١ ص ١٧٣، بسنده عن أنس بن مالك، كذلك ذخائر العقبى، وكنز العمال ونجده (ع) ايضاً يتأوه لفتاة يهودية لجأت إلى الإسلام، وظلمها بعضهم (ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة، والأخرى المعاهدة فينتزع حجلها، وقلائدها ورعثها ما تمتنع عنه إلا بالاسترجاع والاسترحام) نهج البلاغة صبحي الصالح ص ٦٩ وكان يقول (إن هي نفسي أروضها بالتقوى) وقوله (ع) (آه من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق) نهج البلاغة ـ صبحي الصالح ص ٤٨٠.

حقاً جمعت في صفاته الأضدادُ، وروعة الجهادين الأكبر والأصغر!

أحبه الأديب الكبير جورج جرداق، وقال في حقه أحد البابوات شعراً، وكذا ابن حديد المعتزلي، ومحمد عبده، وصبحي الصالح، وكاتب هذا الكتاب فالسلام على أمير المؤمنين قدوة المجاهدين!

يدّعي الإلتزام بخطّ الرسّول، وكلّ حزب بما لديهم فرحون.

وإذا ما تجرّدنا من العاطفة وتركنا التّقليد الأعمى ونبذنا التعصّب وراء ظهورنا ونظرنا في الأمور بعين البصيرة وتساءلنا: أين مكانة أهل البيت عليهم السلام بين كلّ هذه الفرق والمذاهب؟ خصوصاً إذا اصطدمنا بأحاديث النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم التي تأمر الأمّة بالرّجوع إلى أهل البيت عليهم السلام في كلّ المسائل الدّينية والدنيويّة لضمان الهداية والعصمة من الضّلالة، وهذه الأحاديث الكثيرة صحيحة ومتواترة عند كلّ الفرق كقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «تركت فيكم الثّقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً أذكّركم الله في أهل بيتي» قالها ثلاثاً.

والباحث عن أهل البيت ومكانتهم عند الأمة اليوم لا يجد إلا الاحترام والتقدير عند كلّ المسلمين بدون استثناء ولكنّ وصيّة الرّسول صلى الله عليه وآله وسلّم لم تقتصر على الاحترام والتّقدير لأهل البيت بلْ أمر بالرّجوع إليهم والإلتزام بخطّهم ومنهاجهم وتقليدهم في كل شيء حتى قال: «لا تتقدّموهم فتهلكوا ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا ولا تُعلّموهم فإنهم أعلم منكم».

فإذا كان الأمر كذلك فإننا لا نجد اليوم إلا فرقة واحدة عملتْ بوصيّة الرسّول صلى الله عليه وآله وسلم والْتزمتْ بخطّ أهل البيت من أيّام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وإلى اليوم، فسمّيتْ هذه الفرقة بشيعة علي في زمانه وأطلق لفظ الشّيعة على مرّ الزمان على كل من تولّى عليّاً والأئمة الطّاهرين من أهل البيت عليهم السلام.

أمّا إذا رجعنا إلى التاريخ وتصفحنا ما دوّنه المؤرخون فسنجد

بأن أهل البيت وشيعتهم قد ظُلموا وأُبعدوا عن مسرح الحياة وحوربُوا من طرف الحكّام والسّلطات التي حكمتْ المسلمين في القرون الثّلاثة الأولى.

وقد نجح الحكّام في فصل الأمة عن قيادتها الأصلية وابعادها عن النهج القويم، ولكنّهم لم ينجحوا في نزع المحبّة والاحترام الذي تكنّه الأمة لأهل بيت النبّوة، ورغم السبّ واللعن على المنابر وإرغام النّاس عليه بالقوة والقهر فقد فشل الحكّام في الأخير (فى انتزاع مودة ذي القربى من قلوب المؤمنين.

وبهذا نُفسّر التناقض الذي نراه اليوم في أغلب المسلمين بين محبتهم لأهل البيت والاعتراف بأفضليّتهم وأعلميّتهم ورغم ذلك فهم يقلّدون غيرهم ويرجعون في أحكامهم وتشريعهم إلى أئمة لم يعرفوا رسول الله ولا عاصروه، وإنّما خُلِقوا بعد الفتنة الكبرى التي شوّهت معالم الدّين، وقضتْ على الصّالحين، وبقي أهل البيت وشيعتهم منبُوذين.

وبقي أئمة أهل البيت مجهولين لدى أغلب المسلمين، فإذا سألتهم من أهل البيت؟ يقولون هم نساء النبيّ!.

ومن الطبيعي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم عندما أمر أمّته بالرجوع إلى أهل بيته لم يقصد بهم نِساءَهُ، وإنّما المقصود بهم الأئمة الإثنا عشر الذين نصّ عليهم بقوله: «الخُلفاء من بعدي اثنا عشر كلّهم من قريش».

ومن المعلوم لدى الباحثين أنّ الأئمة من أهل البيت عليهم السلام حاولوا بكل جهودهم التّعريف بأنفسهم وارجاع النّاس إلى

حظيرتهم ولكنّ «الناس عبيد الدنيا، والدين لعقٌ على ألسنتهم يحوطونه ما درّتْ معائشهم ومتى مَا مُحّصوا بالبَلاء قلَّ الديانون».

لكل ذلك كان الإمام الصادق عليه السلام يقول عندما يقرأ هذه الآية: ﴿**وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى**﴾ «طه/ ٨٢» يقول: «ثمَّ اهتدى إلى ولايتنا أهل البيت».

وقد يُفهَمُ من الآية الكريمة أيضاً أن المسلمين الذين وقَر الإيمان في قلوبهم فآمنوا بالله ورسوله وتَابوا من ذنوبهم فعملوا الصالحات وتركوا السيئات، لا يكفهم كلّ ذلك ولا يستحقوا مغفرة الله سبحانه إلا بشرط الإهتداء إلى أئمّة الهُدى أوصياء النبي، وهم وحدهم الذين يعلّمون المسلمين مقاصد القرآن والسنّة ليكونَ إيمانهم وأعمالهم وتوبتهم مطابقة لما افترضه الله عليهم بدون تأويل وتحريف.

وبما أن التأويل قد وقع في كتاب الله، والتحريف وقع في السنة النبوية، وبما أنّ كلَّ فرقةٍ استدلتْ بما تأوَّلتْ من كتاب الله العزيز واحتجّتْ بما صَحّحَتْ من حديث فوقع الاختلاف ووقعتْ الحيرة وكثُرتْ الشّكوك.

فإذا أرادَ المسلم معرفة الحقِ وضمان العصمة من الضلالةِ والنجاة يوم القيامة والفوز بالجنّة ورضا الله، فما عليه إلاّ بالركوب في سفينة النجاة والرّجوع إلى أهل البيت عليهم السلام فإنهم أمان الأمة لا يقبل الله عبداً إلاّ من طريقهم ولا يدخل داخل إلا من بابهم، وهو ما قرّره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وأمر به الأمة مُبلّغاً ذلك عن ربّه عزّ وجلّ.

وإذا رجعنا إلى اختلاف الصحابة بعد نبيّهم فإننا سنجدهم

اختلفوا من أجل الخلافة وهي قيادة الأمة وكلّ خلاف نشأ بعد ذلك فإنما سببهُ الخلافة، لأن القيّادة إذا تسلّط عليها من لا يستحقّها وإذا تقمّصها من هو دونها فسيقودُ الأمة إلى الضّلالةِ بما يُمليه عليه جهله وهواه.

واليوم وقد قُبرتْ الخلافة الإسلامية إلى رحمة الله تعالى ولم يعدْ هناك ما يدعو لعودتها، فهل يعودُ المسلمون إلى رشدِهم ويمتثلون لوصيّة نبيّهم فيتمسّكون بكتاب ربّهم وعترة نبيّهم، ليعود الصّفاء والإخاء والوفاق والوِئام ويلتئم شمل هذه الأمّة بعد تفريقها وتُداوى جروحها بعد تمزيقها فهذه صرخة محبّ شفيقٍ ونداء أخٍ شقيقٍ.

عرفنا في ما تقدّم من أنّ الهداية هي نعمة كبرى أنعم الله بها على عباده، كما عرفنا بأنّ الإهتداء إلى ولاية أهل البيت والإقتداء بهم هي نعمة أكبر موجبة لغفرانه تعالى لعباده المُذْنبين، فكيف يكون الجهادُ للثبّات على هذا الخط؟.

الجهاد في الإسلام جهادين: جهاد العدوّ وهو الجهاد الأصغرْ وجهاد النّفس وهو الجهاد الأكبر.

والذي يهمّنا في هذا الموضوع هو الجهاد الأكبر الذي يتعلّق بالنّفوس ومعالجتها من الأمراض العقائدية المنحرفة.

فتارةً يكون الإنسان مجاهداً لنفسِه وتارة يكون مجاهداً لغيره أما جهاد نفسه فبالمداومة على أفعال الخير والبرّ ومصاحبة الصّالحين والقيام بالعبادات والمعاملات وفق ما قرّره أهل البيت عليهم السلام رواية عن جدّهم عن الله سبحانه وتعالى.

أما جهاد الغير فيكون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوى إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ويكون هذا الجهاد

تارةً بالكلام وتارةً بالقلم وهو أفضل وأعظم درجة عند الله من الجهاد بالسّيف قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: «مدادُ العلماء أفضل عند الله من دماء الشّهداء».

لأنّ ما يكتبُه العلماءُ من بيان الحقِّ ونُصرته وتوضيح المسائل المختلفة ليهتديّ النّاسُ إلى صراط الله المستقيم بالحجّة البالغة والأدلّة المقنعة، هو أفضل عند الله، مع التأكيد على قداسة دم الشهداء وحياطتهم للاسلام. وفي المقابل نرى البعض يقاتل لفرض الدّين بالقوّة والقهر إذْ أنّه لا اكراه في الدّين قد تبيّن الرّشدُ من الغَيّ فلا بدّ أن يعمل العلماءُ والمفكّرون على نشر الإسلام الحقيقي[1] والتعّريف

---

(١) ضمن المواقف التي قد يتعرض لها العلماء والفقهاء هو الابتلاء بالامتحان وهنا تظهر فوائد الجهاد الأكبر ومجاهدة وترويض النفس!

فهذا العالم الذي تربى بمدرسة أهل البيت عليهم السلام، الشيخ مرتضى الأنصاري وكان مرجعاً رأى أحد تلامذته إبليس في المنام وهو يحمل خيوط وحبال وسلاسل حديد، فسأله ما هذه؟!

قال هذه شباك لجلب الناس إلي، والبارحة جربت كل هذه العدة التي عندي على الشيخ الأنصاري فلم أفلح، وأخيرها تقطّعت سلسلة الحديد الغليظة، أفاق هذا الطالب وذهب مسرعاً إلى بيت أستاذه الشيخ الأنصاري، وحكى له الحلم وبعد إلحاح شديد، قال له الشيخ: «البارحة كانت زوجتي في مخاض الولادة، فسوّلت لي نفسي أن آخذ شيئاً من أموال الخمس والزكاة لاستئجار مولّدة، وكنت امتنع وهكذا حتى وضعت زوجتي طفلها بنفسها فحمدت الله تعالى»!

بينما نرى من أفتى بقتل سبط البني (ص) الحسين بن علي (ع) بقولهم (إن الحسين قتل بسيف جده لأنه خرج على إمام زمانه يزيد) عبارة أبي بكر ابن العربي الأندلسي ـ في كتابه العواصم ـ ص ٢٣٢، تحقيق محي الدين الخطيب!

=

بأئمة أهل البيت وعلومهم وينفقون من أجل ذلك أموالهم وأوقاتهم، فكم من دوائرٍ للكفر والإلحادِ والفسادِ تُموَّلُ بالمليارات بينما أصحاب الثرواتِ من المسلمين لا يُنفقون في سبيل الله إلا اليسير.

وقد رأينا الكافرين يأتون إلى الصّومال بحجة انقاذها من المجاعة بينما اخوانهم في الدّين عنهم غافلون.

وقد رأينا عمل البعثات التبّشيرية النّصرانية في شرق وغرب أفريقيا وفي مصر والسّودان وفي أندونيسيا وغيرها من البلاد الإسلامية، فإنها تنفِقُ عليهم الشيء اليسير من غذاء وأدوية فتستهوي قلوبهم وينقلبون نصارى بعدما كانوا مسلمين.

بينما يتغافل المسلمون الأثرياء الذين رزقهم الله من ماله وجعلهم مستخلفين فيه لكي ينفعوا به عباده وترى البعض منهم «يحجّ بيت الله الحرام عشرين مرّة وينفقُ في كل عام أموالاً كثيرة بينما بجانبه من يتضوّرُ جوعاً ولا يجد من يستر عورته.

ألم يقلْ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم «أقربُكم إلى الله أنفعكم لعباده».

= عندما أفضت الخلافة لهارون الرشيد وقعت في نفسه جارية من جواري أبيه المهدي فراودها عن نفسها فقالت لا أصلح لك، إن أباك قد طاف بي، لكنه شفق بها فأرسل إلى أبي يوسف قاضيه الشهير، الملقب (بفقيه الأرض وقاضيها) فجاءه الجواب: (اهتك حرمة أبيك واقض شهوتك، وصيّره في رقبتي) السيوطي ـ تاريخ الخلفاء، ص ٢٩١!!

وبيّن الرشيد، وأبو يوسف أمثال هذه القصص، وغيرهم سلاطين ووعاظ وندماء، وموظفين من لفيف هؤلاء وأمثالهم!!!

فكيف يقبل الله سبحانه هذا العمل، وقد فرض الله سبحانه على الناس حج البيت مرّةً في العُمر، وقد حجّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مرّة واحدة في عمره، لعلّه ليشعرنا بأنّ الموسرين وَالأغنياء من الأمّة يبالغون في العبادة ويهملون المعاملة التي هي أساس الشريعة.

ولذلك كان كثيراً ما يقول: «إنما الدين المعاملة» فما بالك بالذي يحجّ مرّات متعدّدة وهو مدين للنّاس ببعض الدّيون أو عنده بعض الفقراء من أقاربه فلا يساعدهم ولا يحنو عليهم.

وإذا أضفنا إلى ذلك، الإسراف والتبذير المتأتي من التدخين عند المسلمين فسوف يكون الحساب عند الله عسيراً، ولو نظرنا فقط نظرةً عابرةً إلى ما يُصرفُ على السجائر عند المسلمين فسوف تذهلنا الإحصائية وعلى سبيل المثال إذا كان عدد المسلمين اليوم يفوق المليار في العالم وإذا كان خمسهم فقط يدخّنون فإن العمليّة الحسابية ستكون مئتا مليون مدخّن ينفقون في كل يوم مئتا مليون دولار في الشهر ستّون مليار دولار وفي السنة سبعمائة وعشرون مليار دولار نعم يبذر المسلمون في أقل الحالات ٧٢٠ مليار دولار سنوياً ليشتروا بها الأمراض الفتّاكة.

فاتقوا الله أيّها المسلمون في أنفسكم وفي أموالكم فلو جمعت هذه الأموال لمدة عشر سنوات فقط فإنها ستكون ٧٢٠٠ مليار دولار تغني فقراء المسلمين قاطبة في مشارق الأرض ومغاربها.

وتحسبوه هيّناً وهو عند الله عظيم.

وفي الختام أريد أن أنبّه اخواني من الشيعة الذين يتّبعون مدرسة أهل البيت عليهم السلام للأمور التالية:

١ ـ يجبُ عليهم أن يجادلوا اخوانهم من أهل السنة والجماعة بالتي هي أحسن ويتجنبوا الشتم والسبّ الذي تنفر منه النفوس، فقد قال أمير المؤمنين علي عليه السلام «لا تكونوا سبّابين ولا لعّانين ولكن قولوا: كان من فعلهم كذ وكذا حتى تكون أبلغ للحجة».

٢ ـ أن يتجنّبوا في عباداتهم ومعاملاتهم كلّ المحدثات التي ما كانت في زمن الأئمة ولا في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمثال التطبير في عاشوراء وإسالة الدماء التي تنفّر الناس من اعتناق مذهب أهل البيت فقد قال الإمام الصادق عليه السلام: «كونوا لنا دعاة بأعمالكم لا بأقوالكم، كونوا زيناً لنا ولا تكونوا شيناً علينا».

٣ ـ أن يهتموا في محاضراتهم ومناقشاتهم بالأمور العلميّة التي فيها البرهان والدليل في صحاح السنة. ويتحاشوا الأحاديث الضّعيفة التي فيها اثارة وتصطدم مع العقل.

٤ ـ أن يعملوا بكل جهودهم على الاستقامة والتقوى كما كان أئمتهم من أهل البيت ولا يتكلوا على القول بأن علي بن أبي طالب يشفع لمحبيه وأتباعه، فعليّ هو القائل «**ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلّي وإنما الإيمان ما وقر في القلوب وصدّقته الأقوال والأفعال**».

٥ ـ أن يتعلّموا المواعظ والعبر من خلال حياة الأئمة الأطهار الذين تركوا تُراثاً لا مثيل له ففي نهج البلاغة وحده الدواء الناجع لكل الأمراض فقد حان الوقت لنفض غبار الجهل والتخلّف والنُّهوض بالأمة إلى أسمى معاني الحضارة والتقدّم، فإذا كان إمام الشيعة هو

باب مدينة العلم فلا بدّ أن يكون أتباعه هم السبّاقين لكل العلوم.

٦ ـ على الشيعة من أتباع أهل البيت أن يوحدوا صفوفهم وينبذوا كلّ التحزّبات السياسيّة والتكتّلات الإقليمية ويعملوا جاهدين على توحيد المرجعيّة واطاعتها وبعد ذلك يعملوا على توحيد المسلمين عامّةً.

لو عمل الشّيعة بهذه الوصايا التي استخرجتها من كتاب الله العزيز ومن سنّة نبيه الكريم ومن مدرسة أهل البيت عليهم السلام لساد الأمن والسلام، ولو غيّرنا ما بأنفسنا من عقائد فاسدة وجهل وانحراف لغيّر الله ما بنا من فقر وذلّة إلى غناءٍ وعزّة ولأظهر لنا إمام زماننا المهدي عليه السّلام ليملأها عدلاً وقسطاً كما مُلئتْ ظلماً وجوراً.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الشّيعة هم أهل السنّة ولكن...

بعد أن عرفنا فيما سبق من أبحاث بأنّ الشّيعة الإمامية هم في الحقيقة أهل السنة النبوية، وهي حقيقة لامرية فيها لكل من تتبع تعاليم الإسلام في كل عقائده وأحكامه وأدوار تاريخه.

غير أنّ أعداءهم من «أهل السنّة والجماعة» الذين عرفنا فيما سبق من أبحاث نشأتهم وأهدافهم، يشنعون على الشّيعة وينتقدون عقائدهم وأعمالهم ويُثيرون حولها الشّبهات ويشكّكون في دينهم وربما اضطرّهم الحال إلى وضع القصص الخيالية عليهم للتنكيل بهم وتشويه سمعتهم حتى يشمئزّ السّامع أو القارىء لتلك الروايات وتنفر نفسه منهم فلا يقيم لهم بعد ذلك قيمةً ولا وزناً.

ومن ذلك على سبيل المثال خرافة اعتقاد الشّيعة بأنّ جبريل خان الأمانة، وأعطى الرسالة لمحمّد بدلاً من علي.

أو خرافة عبدالله بن سبأ اليهودي الذي أسّس مذهب الشّيعة أو خرافة أن للشيعة قرآنا غير قرآننا ويُسمّى عندهم مصحف فاطمة، أو

خرافة أنّهم يجهّزون في كلّ ليلة فرساً على باب السرداب في مدينة سامراء وينتظرون خروج المهدي ليركبوا ذلك الفرس.

أو خرافة أنهم يعبدون القبور ويؤلّهون الأئمة ويسجدون للحجر أو خرافة أنّهم يبيحون الزّنا ويتداولون على المرأة الواحدة في ليلة واحدة إلى غير ذلك من الأكاذيب المفتعلة التي لا تقوم بعد البحث والتحقيق ولا يبقى لها أثر يُذكر.

ولكن يبقى دائماً هناك بعض الاعتراضات التي يثيرها «أهل السنة والجماعة» في وقتنا الحاضر، ويجعلون منها حاجزاً ومانعاً للبحث العلمي ومن ثمّ حاجزاً للوصول إلى الحقيقة المنشودة.

وهؤلاء عندما يثيرون هذه الشّبهات ـ التي سوف نذكرها ـ لم يقرؤها في الكتب ولم يسمعوها من بعض المحدّثين وإنّما يحلفون أنّهم شاهدوها بأعينهم وحضروها بأنفسهم.

لذلك فالموضوع خطير وذو حساسيّة وقد يكون له تأثيراً سلبيّاً على الباحثين والمحقّقين من روّاد الحقّ.

ونحن وكما عوّدنا القارىء بتوخي الحقيقة والإلتزام بجانب الحيّاد المطلق، وعدم التعصّب لأي مذهب لمجرّد الهوى والانتماء، وتطبيقاً للحديث النبوي الشريف الذي يقول:

«قل الحق ولو على نفسك» ولأن الله لا يستحي من الحقّ لا بدَّ لنا من وقفة صريحة في هذا المجال لنقول للمحسنين من الشيعة أحسنتم: وللمسيئين منهم أسأْتم أو أخطأتُم ولا نخشى في ذلك لومة لائم ولا نبغي إلا رضا الله تعالى.

ولا بدّ لنا أيضاً من التّفريق بين ما هو من الشّريعة التي جاء بها دين الإسلام وبين ما هو من التقاليد والعادات والاجتهادات.

وإذا كنّا توخينا الجرأة والصراحة في نقد بعض الصّحابة على ما أحدثوه من أحداث، فلا بدّ لنا من نقد بعض الشيعة أيضاً وعدم السّكوت على ما أحدثوه هم الآخرين من أحداث.

مع الملاحظة بأن ما أحدثه الصحابة أصبح من الدين وغيّر أحكام الله ورسوله، وما أحدثه بعض الشيعة لم يؤثر ولم يغيّر الأحكام ولا قال واحدٌ منهم بوجوبه، ومع ذلك لا بدّ من نقده.

وسأستعرض معك أيها القارىء العزيز أهمّ ما يُثار حول هذه المُحدثات التي يطعن البعض منهم من خلالها على التشيّع ويسمونه بكل نقيصة، فقد تكون أنت نفسك تُعاني منها ولا تجدُ لها جواباً شافياً تواجه به الخصم، أو تُقنع به نفسك.

وهذه المُحدثات هي في الحقيقة بدع مدخولة على مذهب التشيع لأهل البيت عليهم السلام الذين كانوا يرفضون كل بدعة مهما كانت ومهما ألبستْ بثياب الزينة والتزويق لتُسمّى «بدعةٌ حسنة» أو «نعمة البدعة» وكانوا سلام الله عليهم يؤكدون دائماً على أنّهم لا يقولون ولا يعملون إلا بقول وعمل جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم.

إذاً فكل ما استُحدثَ بعد الأئمة الطاهرين هو بدعٌ تضرُّ ولا تنفعُ، تُنفر ولا تُبشّر، تُعسّر ولا تُيسّر.

إذ يجدُ فيها ومن خلالها الشّباب المثقف مطعناً على مذهب

الإماميّة وقد يجدُ حرجاً كبيراً لتبريرها أو نفيها.

ونذكر من هذه البدع المدخولة مثلاً والتي ينتقدها أهل السنة:

ـ المُبالغة في عزاء عاشوراء وضرب البعض أجسامهم بالسّلاسل والزّناجيل والأسلحة حتى تُسيل دماءهم.

ـ الفوضى في الصلاة وعدم احترام الآخرين من المصلّين.

ـ التدخين في المساجد وأماكن الصلاة، ترك الجمعة وغير ذلك من الأشياء التي سوف نذكرها والتي منعت الكثير من الناس من الوصول إلى الحقيقة.

كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء

ليتَ النّاسَ يفهمون، هذا المعنى فيعطون في كل أرضٍ حلّوا بها وفي كلّ يوم يعيشونه حق الإسلام الذي من أجله استشهد أبو عبدالله الحسين سلام الله عليه.

ولو فعلوا ذلك لتغيّر وجه المسلمين في العالم ولأصبحوا أسياداً بدلاً من عبيد. ولكن الأغلبية فهموا من ثورة الحسين المباركة، فقط البكاء والنحيب والصيّاح والعويل والضرب والتّطبير وتمثيل مسرحي يقوم به المسلم في سُويعاتٍ معدودة من السنة إحياءً للذكرى وتقليداً كالببغاء وبعدها يُنسى كل شيء.

أغلب «أهل السنة والجماعة» ينتقدون أفعال الشيعة التي يقومون بها بمناسبة عاشوراء من ضرب وتطبير بالسلاسل والحديد حتى تسيل الدماء.

وقد عملت وسائل الاعلام الغربية والعربية أيضاً في هذا العصر على ابراز شيعة ايران في موسم عاشوراء وكأنّهم وحوش ضارية لا

يعرفون إلا العنف ولا يرتاحون إلا للدّماء السائلة من أجسام البشر.

ورغم أنّ الشّيعة في الهند والباكستان يفعلون ذلك وأكثر من ذلك غير أن وسائل الإعلام المرئية كالتلفزيون لا تركّز إلا على شيعة ايران لحاجة في نفس يعقوب يعرفها كل متتبّع للأحداث وكلّ مهتم بشؤون الإسلام والمسلمين.

ولم تنقل وسائل الأعلام صلاة الجمعة في طهران والتي تجمع أكثر من مليوني مسلم يؤدّون الجمعة بإمامة رئيس الجمهورية ولم تنقل الخشوع الرّهيب الذي يجمع ملايين المسلمين على دعاء كميل ليالي الجُمعة فتكتظ الشوارع وتنسَدُّ الطُرقات وتتعطل حركة المرور فترى النساء والرجال والشيوخ والأطفال يبتهلون إليه سبحانه ضارعين في سكون اللّيل يستغفرون بالأسحار.

ولكنها اهتمتْ فقط بنقل موسم عاشوراء وركّزتْ على التطبير وضرب القامات وسيلان الدم من بعض الأشخاص المعدودين.

والحق يقال أنّ ما يفعله بعض الشيعة من تلك الأعمال ليستْ هي من الدّين في شيء ولو اجتهد المجتهدون وأفتى بذلك المفتون ليجعلوا فيها أجراً كبيراً وثواباً عظيماً.

وإنما هي عادات وتقاليد وعواطف تطغى على أصحابها فتخرج بها عن المألوف وتصبح بعد ذلك من الفولكلور الشعبي الذي يتوارثه الأبناء عن الآباء في تقليد أعمى وبدون شعور، بل يشعر بعض العوام بأنّ إسالة الدّم بالضرب هي قربة لله تعالى ويعتقد البعض منهم بأن الذي لا يفعل ذلك لا يُحبّ الحسين.

وإذا رجعتُ إلى نفسي ورغم استبصاري لحقيقة الشّيعة، فإنني

لم أقتنع بتلك المناظر المقّرة التي تشمئزُّ منها النّفوس وينفرُ منها العقل السّليم وذلك عندما يعرّي الرجل جسمه ويأخذ بيده حديداً ويضرب نفسه في حركات جنونية صائحاً بأعلى صوته، حسين حسين، حسين حسين.

والغريب في الأمر والذي يبعث على الشك أنك ترى هؤلاء الذين خرجوا عن أطوارهم وظننت بأنّ الحزن أخذ منهم كلّ مأخذٍ فإذا بهم بعد لحظات وجيزة من انتهاء العزاء تراهم يضحكون ويأكلون الحلوى ويشربون ويتفكّهون وينتهي كل شيء بمجرد انتهاء الموكب. والأغرب من ذلك أنّ معظم هؤلاء غير ملتزمين بالدين، ولذلك سمحتُ لنفسي بانتقادهم مباشرة عدة مرّات وقلت لهم بأن ما يفعلونه هو فولكلور شعبي وتقليد أعمى[1].

(١) نعم هذا من فعل الجهلاء والمتخلفين ولكن هو طريقة تعبيرهم عن الحب والولاء للحسين عليه السلام كما يظنون حتى أن أحدهم قال لعالم لقد صنعت طعاماً (للعباس) الذي استشهد مع أخيه الحسين وما نزعت حذائي من رجلي فقال له العالم وكيف كنت تتوضأ وتصلي؟!.

فلم يعبأ بقول العالم ظناً منه أن أجره يأخذه من العباس عليه السلام! ولكن بالمقابل نجد أن حلقات الذكر عند السنة وفي مختلف الطرق كالقادرية والنقشبندية وغيرها هي عبارة عن استعراضات لا لشيء إلا للتقرب لرئيس الطريقة، وذلك بدق المسامير في الرأس والعين واستعمال الحراب والسيوف، مع الرفوف والأدخنة وهزّ الرؤوس على أنغامها، ومنهم من يدور خمس ساعات متواصلة وكنا نعرف أن فلان شارب خمر، وفلان لا يصلي ولا يتورع عن الكفر وسب الله ورسوله، ويزني ويلوط. . . . الخ.

ولكنه يدعى من قبل الشيخ الكبير، ولا يخرج إلا إذا ظهر الدم من جسمه، فيصرخ الشيخ اخرج إمّا أنك مجنب غير مغتسل أو جئت إلى هنا وقد شربت الخمر!!!

وأخيراً أذكر أن كل هذه الأمور محدثات متأخرة، كرّسها الاستعمار الغازي=

ورحم الله الشّهيد محمد باقر الصّدر الذي أفادني في هذه المُصيبة عندما سألته قبل استبصاري قال لي: «إنّ ما تراه من ضرب الأجسام وإسالة الدماء هو من فعل عوام النّاس وجهّالهم، ولا يفعل ذلك أي واحدٍ من العلماء بل هم دائبون على منعه وتحريمه».

وبما أنّني أكره البدع وأحاربها أين ما كانتْ وعند من كانتْ فلا بدّ أن نُفهم النّاس من الشّيعة حتى يتركوها، كما نُفهم النّاسَ من أهل السنّة والجماعة بأن تلك الأعمال لا يمكن أن تكون حاجزاً لهم لمعرفة الحقيقة واتّباع أهل البيت، لا تقليد عوام الشّيعة وجهّالهم.

وبعد فلنا في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسوة حسنةً، فقد مات عمّه وحاميه أبو طالب وحزن عليه حزناً شديداً، وماتت أحبّ زوجاته إليه السيدة خديجة وفُجع في عمّه حمزة ورأى جسده ممزّقاً وكبده مأكولاً حتى كان يجزع عليه، ولكنه في كل الحالات كان يبكي بكاء الرّحمة.

لقد بكى على ولده إبراهيم وبكى على حفيده الحسين عندما أعلمه جبريل بمقتله، بكى على أخيه وابن عمّه علي لمّا علم بغدر الأمة له وأنّ أشقى الآخرين سيخضِّبُ لحيته بدم رأسه.

كان صلى الله عليه وآله وسلّم كثير البكاء، بل إنّه أمر المسلمين

= وغذاها، وهي عندنا في طريق الزوال فهل تنتهي كذلك عند اخوتنا السنّة؟!!

بالتّباكي إن لم يقدروا على البكاء، واستعاذ بالله من عين لا تدمع ولكنه نهى أن يخرج الحزن بصاحبه إلى لطم الخدود وشق الجيوب فما بالك بضرب الأجسام بالحديد حتى تسيل الدّماء؟.

وهذا إمامنا الأول بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم علي بن أبي طالب عليه السلام لم يفعل شيئاً من ذلك عند وفاة أخيه وابن عمّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومع شدّة المحنة وقصر المدة لحقت حبيبته فاطمة الزهراء بأبيها في مدّة ستّة أشهر فانهدّ جسمه وخارت قواهُ ولكنّه لم يفعل في نفسه وجسده ما يفعله بعض العوام اليوم.

كما أن الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السّلام لم يفعلا شيئاً من ذلك عند موت جدّهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا في موت أمهما سيدة نساء العالمين ولا عندما قُتل أباهما وخير الناس بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندما ضربه ابن ملجم الملعون في محراب الصلاة.

كما أنّ الإمام السجّاد علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام لم يفعل شيئاً من ذلك وقد حضر محضراً لم يحضره أحدٌ من النّاس، وشاهد بعينيه مأساة كربلاء التي قتل فيها أبوه وأعمامه واخوته كلّهم ورأى من المصائب ما تزول له الجبال.

ولم يسجّل التاريخ أن أحد الأئمة عليهم السلام فعل شيئاً من ذلك، أو أمر به أتباعه وشيعته، وإنما غاية ما هنالك أنّهم كانوا يحبّون أن يسمعوا من بعض الشعراء مراثي أهل البيت فيبكون لذلك ويحزنون

ويأمرون النّاس بالبكاء والحزن على أهل البيت وهو أمرٌ مندوبٌ ومستحبّ إنْ لم يكن واجباً.

وقد حضرتُ بنفسي في مناسبات عديدة مختلفة وفي بلدان عديدة موكب عاشوراء ولم أرَ أحداً من العلماء يفعل ذلك أبداً، والمثقّفين من الشّيعة يمقتُون ذلك ويعملون على ابطاله.

وعلى هذا فنحن وبعد استبصارنا لحقيقة أهل البيت عليهم السلام لا نقلّد العَوام في كل أفعالهم بدون بحث وتحقيق. ونُحيي ذكرى عاشوراء بقراءة المقتل وما فيه من مأساة أهل البيت في حزن وبكاء ونحيب. فالعبرة أن يتجاوب القلب فيبكي مع العين وتبكي الجوارح كلّها وتخشع لذكر الله وما نزل من الحقّ، وتعاهد ربّها بالسّير على درب الحسين الذي هو درب الرّسول وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين.

وتبقى عاشوارء بعزائها وحُزنها وكثرة بكائها وإحياء ذكراها والاعتبار بمواقفها وابطالها، خالصةً للشيعة المخلصين الذين يتقيّدون بالسنة النبوية الصحيحة وما فعله الأئمة الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم.

وتبقى أعمال العامّة من الشيعة محل نقد النّاقدين وإثارة المشاغبين الذين يصطادون في الماء العكر ليُشوّهوا عقائد الشّيعة ويفصلوهم عن أهل البيت ويكفّروهم بذلك.

والحمد لله الذي جعلنا من الشّيعة المستبصرين الذين اهتدوا إلى الحق من خلال البحث والتّحقيق، ولم يجعلنا من الشيعة المقلّدين.

فعلى القارىء الكريم أن يكون مثالياً فيتقيّد بالسنّة النبوية الصحيحة المنقولة عن الأئمة الطاهرين من أهل البيت سلام الله عليهم أجمعين[1].

---

(١) لا يخفى أن هناك كثيراً من العلماء كالسيد محسن الأمين (قده) واليوم سماحة السيد القائد علي خامنئي، سماحة آية الله السيد محمد حسين فضل الله، وكثير من العلماء، أفتوا بعدم جوازها، أما القائلين بها فالمراد الضرر ومراعاة بعض الأمور حتى قال أحد العلماء ان السيوف التي كان يشهرها الشيعة في وجه الظالمين، تستخدم اليوم لضرب رؤوسهم، حتى أن الإنكليز وزعوا مجموعة من السيوف لبعض المواكب! وهي وإن جاءت من شعوب آسيا والهند، حيث هناك توجد جماعات تمارس شبيه هذه الأمور في طقوسها، فكانوا عندما يجتمعون في كربلاء، يبدي كل موكب طريقته في التعبير فضلاً عن أن مختلف الجاليات سكنت كربلاء واستمرت في تقليد آبائها مما أعجب الآخرين!.

الأمر الذي أصبح عندهم جزءاً من شعائر عاشوراء وله مقدماته وشروطه... الخ.

فضلاً عن أن بعض المحبين للحسين عليه السلام يظنون أن قضية الحسين عليه السلام تموت إذا لم توجد دماء... الخ

ولقد كان للضغط السابق وأخيرها من العثمانيين، والسلطات الجائرة في العراق التي تمنع العسكري والموظف والعامل بل وتحاسبه إن لم تعدمه إذا ذهب إلى كربلاء يوم عاشوراء، من أسباب الاقبال عليها بحرارة!

وهي الآن تقلصت بتنامي الوعي وفتاوى علماء الدين ففي الجمهورية الإسلامية تقلصت إلى ٩٨٪ وهكذا العراق ولبنان وبنسب متفاوتة في الهند وباكستان وغيرهم حسب البيئة التي تحيط بهم، وهي تعبير جهال وبسطاء الناس الذين يعتبرون أن قضية الحسين عليه السلام عندهم أكبر من فتوى زيد من العلماء!!!

الشّيعة واقامة الصلاة

من الطبيعي أن بعض الشبّان من «أهل السنة والجماعة» ينتقدون على الشيعة ما يُسمّونه «الفوضى في الصلاة وعدم الخشوع».

وذلك عندما يُصلّون مع اخوانهم من الشّيعة في المناسبات والمؤتمرات فإذا ببعض المصلّين عند الشّيعة، لا يهتمون بإقامة الصّفوف وتسويتها ورصّها رصاً مُحكماً حتى لا تبقىٰ فرجاتٍ بين المصلّين.

فكثيراً ما يُلاحظ أن الصّف الأوّل لم يكتمل بينما مجموعات كُبرى تُصلّي خلف الإمام في غير انتظام ولا اهتمام بالصفّ الأوّل ولا بصاحب الجنب.

كما يُلاحظ أيضاً أنّ بعض المصلّين عند الشّيعة يدخلون المسجد، أو يخرجون منه أثناء الصّلاة فيمرّون بين المصلّين القائمين وبينهم وبين القبلة، وهو في حدّ ذاته يقطع الصلاة على المصلي عند «أهل السنّة والجماعة».

والحق يقال أن إقامة الصلاة عند «أهل السنّة والجماعة» فيها

نظام اكثر منها عند الشيعة.

فإذا صلّيتَ مع «أهل السنة والجماعة» فإنك ترى الإمام وقبل الشروع في الصلاة والدخول فيها ـ يلتفتُ إلى المصلّين ويأمرهم بتسوية الصّفوف قائلاً لهم: «اسْتووا رحمكم الله، سَوّوا صفوفكم ولا تتركوا فرجات للشيطان فإنّ تسوية الصفوف من إقامة الصلاة».

فترى المصلين يتراصّون حتّى تَتلامس مناكبهم وتتلاحم أجسامهم ويتسابقون لتعبئة الفراغ[1].

---

(١) هذه الأمور صحيحة واقعية، إلا أننا نجد أن المساجد السنية تبنى بشكل ضخم وتغدق عليها الأموال الداخلية والخارجية، والاهتمام بالزخرفة والنقوش، ومن ثم اهتمام علمائهم بالاكثار من الوعظ فبينما هم يركزون على الوعظ والإرشاد نجد عدم الاهتمام الجدي بالطهارة، والتحرز من النجاسة وهي موجودة في مذاهبهم وخاصة الحنبلية، كنت أظن مثلاً أن لبس الذهب عند السنة جائز للرجال لكثرة ما أجد منهم من يفعل ذلك وتبين أن كل مذاهبهم تحرمه!.
الصلاة خلف كل بر وفاجر، قد يكون في الصف الأول الحاكم الكافر العلماني ومرتزقته فهذا هو الشيطان بعينه!!
بينما الشيعة، ترى أن المساجد لله... وأنها متاريس لكل المسلمين، وان بناء المسجد ذاتي، وبسيط، وبلا قيود، واهتمامهم الدقيق بألا يتنجس المسجد، وله أحكام كثيرة يعظ بها علماؤهم الناس، ثم ان هذه المشكلة يمكن حلها بمحاضرة أو تعليق نشرات علماً أن المساجد مثلاً في بغداد والمحافظات غيرها في الريف مثلاً، كذلك وضع المساجد الشيعية في لبنان وسوريا وإيران وغيرها بأحسن حال!
ثم ألسنا مدعوين (بالتيسير لا بالتعسير وعدم التنفير)!
فكم أجد من شباب السنة لا يدخلون المساجد، إما لأنه صُدم وطرد أو لتلك الطقوس الكهنوتية!!!

فإذا قُضيتْ الصلاة فلا يسمحون لأنفسهم ولا لأحدٍ بالمرور أمام مسلم قائم يصلّي ولو نافلة، لأنّهم يعتقدون حسب روايات يروونها في صحاحهم بأنّ الذي يمرّ أمام المصلّي يقطع عليه صلاته ويُفسدها، وفي بعض الروايات أن الذي يمرّ أمام المصلّي هو شيطان يجب دفعه ومقاومته.

بينما لا يهتمّ الشيعة بهذه التّربية أثناء الصلاة وقد صلّيتُ وراء أئمّة متعدّدين من الشّيعة وأغلبهم من المراجع وفي بلدان متعددة فلم أرَ واحداً منهم يلتفتُ إلى المصلّين وراءه قبل بدء الصلاة لتنبيههم على تسوية صفوفهم وتعبئة الفراغ بينهم. كما لم أرَ واحداً منهم ـ سواء كان إماماً أو مأموماً ـ ينهى عن المرور أمام المصلّي.

نعم اقتنعتُ بأنّ مذهب أهل البيت لا يقول بقطع الصلاة بمرور أحد أمام المصليّ، لا عقلاً ولا نقلاً لأن مُبطلات الصلاة معروفة عند الشّيعة والسنّة وليس منها المرور بين يديّ المصليّ.

فهذا البخاري نفسه يخرجُ في صحيحه أنّه ذُكر عند عائشة ما يقطعُ الصلاة إلاّ الكلب والحمار والمرأةُ، فاستنكرت عائشة ذلك وقالت: شبّهتمونا بالحمر والكلاب، والله لقد رأيتُ النبي صلى الله عليه وآله وسلم يُصلّي.وانّي على السرير بينه وبين القبلة[1]. . .

= ونحن نرى أن المهم دخول الناس إلى المسجد ومن ثم يتربى فيه، لا أن نقوم ونصرخ عليه لمجرد أنه مرّ من أمامي!

فلنتعامل بالأخلاق الإسلامية الحضارية، لا بالتعصب البدوي المتخلف.

(١) صحيح البخاري ج ١ ص ١٣٠ باب من قال لا يقطع الصلاة شيء من كتاب الصلاة.

وهذا دليل قويّ وحجة مُقنعة بأن الصلاة لا تُقطع ولا تبطل بمرور شيء بين المصلّي وبين القبلة حتى عند «أهل السنة والجماعة»[1].

ولكن ليس كلّ جائز محمود، وإذا كان المسلم يحتاط لعدم تخطي رقاب المُصلّين كي لا يدوسها بقدميه وهي ساجدةٌ لربّ العالمين، فهو أمرٌ مستحبٌ ومندوب وهو تربية أخلاقية يُقرّها العرف العام ويُحبّذُها الإسلام لما فيها من وقارٍ واحترام للمصلّي الذي يناجي ربّه معتقداً بأنّه بين يدي خالقه وأقربُ ما يكون منه في تلك الحالة،

---

(١) هذا شبيه مسألة بناء المساجد أو الصلاة مع وجود قبور، فالمسألة مبنية على قاعدة (سد الذرائع) أي خشية أن تتطور المسألة إلى عبادة صاحب ذلك القبر، وحيث أننا لم نجد ومنذ (١٤١٦) سنة أحداً من المسلمين عبد قبراً!

فعلى أساس هذه القاعدة الاحترازية الاحتياطية، خرّب بعض السنة قبور أوليائهم أو عزلوها بحائط وسور عالي، وقاموا وبالخصوص الوهابية بالتشنيع على الشيعة، كيف يجعلون القبور وسط المساجد.

حتى أن أحد أصدقائي كان في الحجاز، فاجتمع عليه مجموعة من مختلف البلدان الإسلامية قائلين له كيف تجعلون من قبور أئمتكم مساجداً!!

فما دام المرور ليس من قواطع الصلاة عند الفريقين، وهم إذ يعتمدون على مدرسة الحديث بالأخذ بأي خبر كان مقابل مدرسة الرأي (الأرئيتيون) فهذا مردود عليهم ولا يلزم أي مسلم، ولا يمكنهم أن يفرضوه أو يحكموا به على الآخرين، فضلاً عن اتهامهم وأذيتهم للمسلمين بسبب قواعد تافهة!!

هذا يذكرني بحادثة أن أحدهم كان يعمل المنكر في مسجد، فوجد شخصاً بصق على الأرض، فقام وضربه كيف تبصق في المسجد، فرد عليه الثاني وضربه قائلاً عملك للمنكر أشد أم بصقي على الأرض؟!!

فهل اهتم هؤلاء، بالطهارة، والسجود على ما يصح السجود عليه، ولبس الذهب للرجال، والجلود الأجنبية، والوقوف بين يدي الله تعالى وبطونهم ملأى باللحوم غير الذكية وو... الخ.

وإذا بإنسان يُفسدُ عليه خشوعه.

ألم ترَ أن رسول الله صلى عليه وآله وسلم نهى عن الجلوس في الطّرقات لما فيها من احراج للمارّة خصوصاً منهم النّساء اللاتي يتحرّجن من المرور بشارع يجلس فيه الرّجال.

وما دمنا نتكلّم عن الحق ونتوخاه في كل أبحاثنا وقد علّمنا القرآن الكريم بأن الله لا يستحي من الحقّ.

فالحق نقول بأن على الشيعة أن يستفيدوا من اخوانهم «أهل السنّة والجماعة» من هذه التربية الأخلاقية التي تُعطي للمصلّين حُرمةً وقداسة، ـ ما داموا واقفين أو راكعين أو ساجدين بين يدي ربّ العالمين.

وقد قلتُ هذا الكلام لبعض أئمّة الشّيعة، فاعترفوا بقصورهم من هذه الناحية، واعترض عليَّ أحدهم بأنّ هذه المسائل هي من القشور والفائدة في اللب!.

قلتُ: ليستْ هي قشور وإنما هي تنظيم يُشعر بالهيبة والوقار ويجلب لنا احترام الآخرين، وديننا هو دين النّظام يحبّ التنظيم ويكره الفوضى، ألم يقلْ سبحانه وتعالى: ﴿**حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين**﴾ «البقرة/ ٢٣٨» ألم يقل ﴿**إن الله يحب الذين يُقاتلون في سبيله صفاً كأنّهم بنيانٌ مرصوصٌ**﴾ «الصف/ ٤» حتى سميتْ تلك السورة بسورة الصفّ لمَا للصفِّ عند الله من قيمةٍ بالغة وعناية كُبرى.

ولعلّ مشكلة الشّيعة التاريخية بخصوص صلاة الجماعة أوجدتْ عندهم بعض التساهل والتسامح فيها، وذلك للظروف القاسية التي

مرّوا بها عبَر التّاريخ.

فكان من الصّعب عليهم أن يُصلّوا بإمامة «أهل السنّة والجماعة» الذين اجتهدوا في أحكام الصلاة من ناحية ودأبوا على سبّ عليّ وأهل البيت أثناء الصلاة من ناحية أخرى.

كما أنّهم تحاشوا اقامة الصلاة في جماعة مخصوصة لأن ذلك يعني إتهامهم بالرّفض وبالتالي القضاء عليهم.

فكانوا كثيراً ما يصلّون مع «أهل السنّة والجماعة» تقيّةً وينسحبون فور انقضاء الصلاة ولعل أكثرهم يعيد صلاته عند الرجوع إلى البيت.

ولعلّنا نستنتجُ من هذا أيضاً بأن المُخالفين لأهل البيت وشيعتهم تسمّوا «بأهل السنّة والجماعة» لأن الأغلبية السّاحقة من المسلمين اتبعتهم وصلّتْ بصلاتهم وفي جماعتهم بينما انقطع الشّيعة يصلّون خلف إمامهم فكانوا قلّةً قليلة كالبقعة البيضاء في الثوب الأسود، بعد بروزهم كفرقة خصوصية.

كما أنهم وبعد ظهورهم كفرقة إسلامية مستقلّة بفقه أهل البيت، شددوا على أنفسهم في تحرّي الصلاة وراء الإمام العادل العالم الزاهد احتراماً للنصوص الواردة في ذلك من ناحية وكردّ فعل على «أهل السنّة والجماعة» الذين يجوّزون الصلاة وراء كلّ برّ وفاجرٍ من ناحية أخرى.

وهذا أيضاً أثّر في صلاة الجماعة عند الشّيعة فترى بعضهم إذا دخل مسجداً لا يعرف إمامه، ينفردُ بصلاتِه في إحدى الزّوايا ولأنه لا يعرف الإمام فلا يثق فيه.

بينما أفرط «أهل السنّة والجماعة» في القول بجواز الصلاة وراء كلّ برّ أو فاجرٍ، وقد سبق لنا أن تحدّثنا عن صلاة عبدالله بن عمر وراء يزيد بن معاوية وكذلك وراء الحجّاج بن يوسف الثقفي وكذلك وراء نجدة الحارجي. وكل هؤلاء متجاهر بالفسق والفجور.

كذلك فَرّط الشّيعة في القول بعدم جواز الصلاة وراء أي إنسان إلا إذا عُرفَ بالعدالة والتقوى عند المأمُوم نفسه، فبعضهم لا يكتفي بأنْ يَرى عشرات المصلّين يصلّون خلفه بإمامته، حتى يتيقن بنفسه من عدالته وثقته، عند ذلك يُصلّي وراءه وبإمامته.

وهذا كلّه من باب الإحتياط في الدين والاهتمام باداء الصلاة على أحسن الوجوه التي يرضاها الله سبحانه.

وكأن الشّيعي يتصوّر بأنّ صلاته غير مقبولة شرعاً إذا كانتْ وراء إمام مجهول الحالْ، وكأن الله سبحانه كلّفه بالتحرّي الدقيق في أمور الدين[1]

---

(١) اضافة إلى ما ذكر من الأمور، أذكر شيئاً حدثني به أحد مسؤولي الجمهورية الإسلامية في ايران: أنه وأصحابه كانوا يتمنون لو يستلمون مرافق الدولة ومنها التلفزيون والاذاعة. . الخ

ولكن بعد نجاح الثورة اصطدموا بعقبات كثيرة في الواقع!

الشيعة كما ذكر إنهم انحسروا طويلاً عن الساحة، فكانت فتاواهم كثيرة الاحتياط والتشديد فتراهم مثلاً يهتمون بمقدمات الصلاة كالطهارة من النجس والدقة بالغسل والوضوء حتى أنك لا تجد مسجداً يخلو من بعض الوسواسيين في الطهارة والقرءاة وعدد الركعات وهكذا!!

هذا في الواجبات والعبادات، فيضع البعض شروطاً لإمام الجماعة وكأنها شروط للمرجع، فضلاً عن الحساسية من مطلق إمام!

ولكن أغلب العلماء المتأخرين ومنهم سماحة المرجع السيد محمد حسين فضل الله كثيراً ما يردّ ويُشكل على هذه الدقة **في دورسه ومحاضراته، فالغد** =

ولسان حاله يقول: ﴿وتحسبونه هيّناً وهو عند الله عظيم﴾ «النور/ ١٥».

وأنا أعتقد بأنّ الإسلام هو دين الفطرة والفطرة هي أوسط الأمور قال سبحانه وتعالى:

﴿وكذلك جعلناكم أمّة وسطاً﴾ «البقرة/ ١٤٣».

وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم «خير الأمور أوسطها، فلا إفراط ولا تفريط».

فقول «أهل السنّة والجماعة» المُبالغ في التّساهل إلى درجة السّماح بالصلاة وراء كلّ برّ وفاجرٍ هو إفراطٌ.

وقول الشّيعة المُبالغ في التشدّد إلى درجة أنّهم لا يجوّزون الصّلاة إلا وراء الإمام العادل الفريد من نوعه، هو تفريطٌ.

والإسلام يقف من الطّرفين موقف الوسط فلا يُوافق القائلين بقبول الإمام الفاجرِ، كما يشترط في عدالة الإمام أنْ يكون غير متجاهر بالفسق. وهو كافٍ ليصلّى خلفه.

ولأن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كان دائماً يوصي أصحابه والمسلمين بقوله: «يسّروا ولا تُعسّروا، بشّروا ولا تنفّروا» كما يقول دائماً: «لا تشدّدوا على أنفسكم فيشدّد الله عليكم كما فعل

= غير الأمس!!!

وهذا نتيجة الحرص وزيادة في الاحتياط وكمال الأعمال، أما كله ماشي، الوضوء كيفما كان، الصلاة خلف البر والفاجر، الاستهتار باصابة النجاسات للبدن والثوب... وكله ماشي، فلا احتياط وبالتالي كل شيء مقبول! فهذا أمر يجب الوقوف عنده.

ببني إسرائيل».

وما دمنا نتحدث عن الشدّة والتشدّد فلابأس بذكر ما يفعله بعض المصلّين من المتشدّدين الذين تراهم أثناء الوضوء يتحوّلون تحت المصباح ويقلّبون أيديهم ومرافقهم وبين الأصابع للتحرّي من أن تكون بقعة بقدر رأس الإبرة لم يمسّها الماء فيعيدون الوضوء أحياناً لمجرّد الشك (مع أن الشك عند الشيعة لا يقطع اليقين) ثم تراهم إذا جاؤوا إلى الصلاة وبدأوا قراءة الفاتحة فإذا بألسنتهم تتلكأ وتتعثر ولا يقدرون على التلفّظ فيعيدون «ولا الضّالين» أربع أو خمس مرّات وتتكرّر معهم هذه الحالة في كلّ ركعة.

وقد حضرتُ مرّة مع أحدهم وندمتُ أنْ صلّيت خلفه لأن الصلاة باتت مملّة بتلك الطريقة، وصارحتُه فيما بعد وقلتُ له بمحضر مجموعة من الأصدقاء قول الأمريكي الذي أسْلم ثم كتب كتاباً قال في مقدّمته: «الحمد لله الذي عرّفني الإسلام قبل أن أعرف المسلمين» وأضفتُ قائلاً: «لو عرفتُ هذا النمط من الشّيعة لنفرتُ منهم ولم أكلف نفسي عناء البحث».

فالإسلام دين اليُسر ودين السهولة والمرونة ولا أقصد بذلك التنازل في أحكام الشرع كلاَّ، أعوذ بالله من ذلك، وأنا ناقمٌ على المذاهب الذين قالوا في دين الله بآراءهم.

ولكن عندما ترى التّشديد كلّه من اجتهادات البشر تنفرُ نفسك من الدّين[1].

---

(١) الشيعة تقول صلي بصلاة أضعفهم، أي مراعاة الشيخ الكبير والعاجز، ولكن بعض الناس ولكثرة احتياطهم يتوخون الكمال في العبادات في الوضوء =

وأنت تقرأ قول الله تعالى ﴿وما جعل عليكم في الدّين من حرج﴾ «الحج/٧٨» وقوله: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يُريد بكم العُسر﴾ «البقرة/ ١٨٥».

ثم تنظر إلى أفعال هؤلاء وأقوالهم فإذا بالدّين يصبح كابوساً ومشقّة لا يطيقه الإنسان، وإذا بك بعد ذلك يداخلك الشك ويجد الشيطان إلى قلبك سبيلاً.

وإن أخطر الأمراض هو أنْ يصبح المسلم كثير الشك والوسواس فلا يدري كم صلّى ولا متى صلّى فيعبث به الشيطان في كل عبادة وقد يتعدّى ذلك المرض إلى المعاملات أيضاً فتصبحُ حياته بعد ذلك جحيماً لا يُطاق، أعاذنا الله وإياكم من ذلك.

والطهارة لما يقرأ عن أئمتهم عليهم السلام، بأنهم لا يتوضؤن إلا بالماء الطاهر ولا يلبسون إلا من حلال، ولا يحملون حتى محمل السيف من جلد غير معلوم التذكية، وإذا وقف بين يدي الله تعالى ارتعدت فرائصه واصفر لونه.. الخ

لذلك يرى فقهاؤنا لأمثال هؤلاء، الذين يعيشون هذه الحالات أنهم مرضى ويزجرونهم عن هذه الوساوس، وإن العالم الذي يريد أن يفعل ذلك فلا يقرب الجماعة ولا يفتي بأمثال هذه المسائل!

كما هو رأينا في الذين خرجوا عن جادة الشريعة من المتصوفة والسلفية، وغيرهم فالذي يريد أن يمارس هذه الأمور: إما أن يمارسها في بيته وعلى نفسه أو ينعزل عن الناس لأن هذه وساوس ونفثات شيطان، وديننا دين اليسر واللاحرج ودين الحياة الحضاري لكل البشرية!!!

الشّيعة وصلاة الجمعة

من الأمور الهامّة التي يثيرُها أهل السنة وينتقدون من أجلها شيعة أهل البيت في كلّ المناسبات إهمال صلاة الجمعة وعدم إقامتها. والبعض منهم يتشدّد ويذهب إلى تكفيرهم من أجل ذلك عملاً بالحديث النبويّ الشريف الذي يروونه وهو قول الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم من ترك الجمعة ثلاثاً فقد نبذ الإسلام وراء ظهره كما يروون أنّه صلى الله عليه وآله وسلم سُئل عن تارك الجمعة فقال: «هو في النار».

ونحن إتّباعاً للحقّ نقول بأنّ الشّيعة يختلفون في ما بينهم في مشروعيتها في عصر الغيبة أعني غيبة الإمام المهدي «عجل الله فرجه» وفقهاؤهم انقسموا بين قائل بوجوبها في كل وقت وقائل بأنها لا تجبُ إلا بشروطها ومن شروطها أن يقيمها الحاكم العادل.

ومع ذلك فالحق أنني وقبل استبصاري لمذهب أهل البيت ارتحت كثيراً للشيخ الخالصي الذي كان يُقيم صلاة الجمعة في مسجد الإمام الكاظم ببغداد، فكنت في بعض الأحيان أسافر من النجف أو

من كربلاء إلى بغداد للمشاركة في صلاة الجمعة هناك.

وكم كنتُ أتعجبُ في ذلك الوقت لشجاعة الشيخ مهدي الخالصي[1] الذي كان لا يعبأ بنقد الناقدين من بعض العلماء الذين لا يرون وجوب الجمعة فكان يؤمن بوجوبها ويُقيمها على أحسن الوجوه وقد لاحظتُ في ذلك الوقت أعني سنة ثمانية وستين وتسعمائة وألف اكتظاظ الناس المُصلّين في مسجده والتفافهم حوله بكل احترام وتقدير.

كما تعجّبتُ أيضاً لأولئك المشنّعين عليه من أجل إقامة صلاة الجمعة وقلتُ في نفسي كيف ينتقصُ هؤلاء عالماً اجتهد فأقام الصلاة التي أمر الله سبحانه إقامتها بقوله: **﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله﴾** «الجمعة/ ٩».

وكنتُ أردّدُ هذا القول على بعضهم مُدافعاً عن الشيخ الخالصي

---

(١) يذكر أن والده الشيخ محمد الخالصي، ذهب إلى المرجع السيد الخوئي في النجف بشأن صلاة الجمعة مستدلاً بالآية **﴿إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة﴾** أطرق السيد الخوئي قليلاً وقال له من المنادي؟

فلم يحر جواباً وقفل راجعاً إلى الكاظمية مستمراً على اقامتها!

كذلك يروى أن (أبا حنيفة) كذلك يرى أنها لا تقام إلا بوجود حاكم عادل!!!

علماً أنها الآن تقام في الجمهورية الإسلامية وتدعو لاقامتها في مختلف الدول الأخرى وفي سورية ويدعو لها سماحة السيد فضل الله في لبنان وغيرها!!!

وإلا أي جمعة تلك التي تقام تحت حكم الظالم، وتكون الخطبة تحت اشرافه، بل وتعيين أئمة المساجد حسب مزاجه من الذين يسبّحون بحمد السلطان ونظامه!!!

وملتمساً له في ذلك كلّ الحجج والبراهين فإذا بالبعض منهم يُفصحُ لي بسرّه المكنون وبالعداوة التي استفحلت في قلوب الشيعة الذين ما عرفوا التشيّع لأهل البيت إلا عن طريق العاطفة والمحبّة فقط.

فقال لي بعضهم بأنّ الشيخ الخالصي لا ينادي في الأذان وفي الإقامة بالشهادة الثالثة، وقُلتُ: وما الشهادة الثالثة؟ فقالوا: أشهد أنّ عليّاً وليُّ الله.

وبتُّ ليلتي أتساءل بيني وبين نفسي إن كان ذلك يوجب اسقاطه والطعن عليه، وبحثت كثيراً كما قرأت كتب أبيه الشيخ الخالصي الكبير، فما رأيت إلاّ العلم والورع والحرص على وحدة المسلمين الذي اعتبره بعضهم في ذلك الوقت تزلّفاً لأهل السنّة والجماعة.

ولكنني ورغم محاولة البعض تنفيري منه والإبتعاد عنه كنْتُ كلما زرت الكاظمية صلّيتُ خلفه يوم الجمعة واستمعتُ إلى خطبه واستفدتُ منها كثيراً، وكلما جالستُه واستمعتُ لحديثه استهواني ولكن بقيتُ متحفظاً محترزاً مبرراً ذلك بأنّ الشيعة يعرفونه أكثر منّي، هذه واحدة. والثانية: أنني بقيتُ متحيّراً بين الاجتهادين القائلين بوجوب الجمعة وعدمه.

وقلتُ لا يمكن لي معرفة ذلك إلاّ إذا كنتُ في درجة الاجتهاد، غير أنني وبعد انتصار الثورة الإسلامية في ايران واقامة الجمهورية الإسلامية هناك أُقيمت صلاة الجمعة من أول يوم وعملت الجمهورية الإسلامية وبذلت كل الجهود لتوحيد المسلمين، وعند ذلك عرفتُ قيمة الشيخ الخالصي وتيقنتُ من اخلاصه وصدقه في دعوته. وبقيت أتمنى رؤيته حتى هذا اليوم ولعل الله سبحانه يجمعني به في أسعد الأوقات

وأقربها انه على جمعهم إذا شاء قدير.

وبعد هذا فالشّيعة لا يزالون إلى اليوم بين مقيم لصلاة الجمعة وبين تارك لها ينتظر ظهور الإمام المهدي «عجل الله فرجه».

وإنني أتمنى من كلّ قلبي أن تُقام صلاة الجمعة في كل قرية وفي كلّ مدينة من بلاد الشيعة لما فيها من أجر وثواب وفوائد عديدة لا يعلم قيمتها إلا الله سبحانه.

وقد ناديتُ في العديد من المحاضرات في الجاليات الإسلامية الشيّعية في كل البلدان التي زرتها بوجوب إقامتها تأسياً بالجمهورية الإسلامية وقائدها العظيم وعملاً لتأليف القلوب وعقد عُرى المحبّة والالفة بين المسلمين جميعاً سنّةً وشيعة.

ونسأل الله العلي القدير أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته ويؤلّف بين قلوبنا لنصبح بنعمته إخواناً إنه سميع مجيب الدعاء.

التّدخين في أماكن الصّلاة

كثيراً ما ينتقدُ «أهل السنّة والجماعة» على الشّيعة تدخينهم في المساجد، ويقولون بأنّ ذلك منكراً من أعمال الشّياطين.

والحقّ يقال أنّها ظاهرة تكاد تكون عامّة عند الشّيعة فإذا دخلت مساجدهم لأقل مرّة فسوف تصدمك تلك الظاهرة.

وأتذكّر أنّني صُدمتُ بذلك أوّل مرّة واستغربتُ ذلك منهم واستنكرتُه عندما زرت النجف الأشرف، وسألتُ بعض علمائهم عن ذلك فأجابوني بأجوبة لم أقتنع بها حتّى الآن.

فالبعض يقول: ليس التدخين حراماً ولا مكروهاً لعدم وجود النّص عليه من الله ورسوله والأئمة الأطهار . والقياس عندنا باطل.

والبعض يقول بأننا لا نُدخّن في المساجد وإنما ندخّن في الحسينيّات وهي ليستْ من المساجد.

وعلى الجواب الأوّل كما ترى أنّه لا بمكن أن يُسلّم المسلمُ بأنّ كلّ شيء لم يرد فيه نصّ فهو حلال. لأن النّصوص منها ما هو عامّ

ويشمل كل الخبائث المحرّمة كقوله تعالى:

﴿قل إنما حرّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾ «الاعراف/٣٣» أو كقول الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم: «كل مُسكر حرام» وقوله: «لا ضرر ولا ضرار».

ومنها ما هو خاص يعيّنُ المحرَّم بذاته كقوله تعالى **﴿ولا تقربوا الزّنا﴾** «الاسراء/ ٣٢» **﴿ولا تقتلوا النفس﴾** «الاسراء/ ٣٣» **﴿ولا تأكلوا الرّبا﴾** «آل عمران/ ١٣٠» أو كقول الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم: «من غشّنا فليس منّا» و «من كذب عليّ فليتبوّأ مقعده من النّار».

وعلى هذا فإنّ السجائر لم تكن موجودة على عهده صلى الله عليه وآله وسلم ولا على عهد الأئمة الطاهرين من أهل البيت عليهم السلام. فلا يمكن في هذه الحال أن يرد فيها نصّ عينيّ من الله أو من رسوله أو من الأئمة الأطهار كما هي الحال في كثير من المحرمات الحالية التي شملتها النصوص العامّة كاليانصيب وسباق الخيل والألعاب التي يُكسب من ورائها أموال بدون عرق جبين.

وإذا كان الأمر كذلك فإنّ التّدخين يشمله قول الله تعالى: **﴿ولا تبذّر تبذيراً * إن المبذّرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربّه كفوراً﴾** «الإسراء ٢٦/ ٢٧».

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «التّبذير هو أن تصرف درهماً واحداً في ما لا ينفعكَ».

فأي تبذير هو أكبر من أن يصرف الإنسان ماله في أشياء مُضرة بصحته ومهددة لحياته.

كما يشمل التدخين قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم «لا

ضرر ولا ضرار» فأي ضرر هو أكبر مما أثبته الطبّ والعلم اليوم في أنّ المدخّنين مهددين بالسّرطان وبالغدة (ضيق التنفس) وإن مادة النّيكوتين التي تحتوي عليها السّجائر مخدّرة لا يكاد المدخن يتخلّص منها إلا بالعلاج المستمرّ.

وقد عرف خطورة التدخين علماء الاجتماع في الدول الحضارية المتقدّمة فمنعوا التدخين في كلّ القاعات العمومية والمراكز الحكومية وحتى في الطائرات والقطارات والسيّارات، وقد عمدت الحكومة البريطانية أخيراً إلى منعه حتى في الميترو وكذلك الحكومة الفرنسية.

لأن الطبّ الحديث أثبت بأن المدخّن علاوة على أنّه يضرُّ جسمه فهو يضرّ غيره من غير المدخنين الذين يضطرون لمجالسته أو تجمعهم به رحلة وقتية قصيرة، فعمد المسؤولون على منع التدّخين في القاعات العامّة وأجبروا المدخّن أن يخرج إلى خارج القاعة إن أراد التدخين، وذلك احتراماً لغير المدخّنين وحفاظاً على سلامة صحتهم.

وهذا هو ما قصدَه الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم بقوله: «لا ضررَ ولا ضرار» بل إنّ في قوله هذا منعاً على المدخنين أنْ يدخّنوا ولو كانوا منفردين، لأنّه يُحرّم على المسلم أنْ يضرّ نفسه كما يُحرّم عليه أن يضرّ غيره.

ألا ترى أن الإسلام يحرّم الانتحار، أي أن يقتُل إنسانٌ نفسه، ويعدّها الإسلام من الكبائر، فليس المسلم حُرّاً حتى في جسمه لأنّ جسمه ملكاً لله فلا يتصرّف فيه إلا بما يُرضي الله سبحانه.

وعندما نسمع اليوم بأن الدّول المتقدمة تمنع الخمر عن سائقي السّيارات في حالة القيادة لأنهم يتسببون في حوادث قاتلة وخطيرة كما

تمنع التدخين في المجالس العمومية لأنّ المدخنين يضرّون غيرهم، فإنما تعمل فقط بقاعدة «لا ضرار» وتُهملُ قاعدة «لا ضَررَ» باعتبار أن الحرّيات عندها مضمونة وأنّ الإنسان حرٌّ في جسمه يفعل فيه ما يريد على شرط أن لا يؤذي غيره.

أمّا الإسلام فلا يعترف بهذه الحرية المطلقة ولا يسمح للإنسان أن يفعل في نفسه إلا ما أحلّه الله له ضمن الحدود التي رسمها الشّرع ولذلك قال تعالى: **﴿ولا تلقُوا بأيديكم إلى التهلكة﴾** «البقرة/ ١٩٥» وقال رسوله صلى الله عليه وآله وسلم «لا ضرر ولا ضرار».

ونحن لو سلّمنا جدلاً لهؤلاء المدخنين من المسلمين الذين ينفون وجود النصّ على تحريمه، لا نسلّم لهم بإباحة التدّخين داخل المساجد، وأماكن الصلاة التي جُعلتْ للعبادة ولاجتماع المسلمين، فلا بدّ أن يحترموا غيرهم من غير المدخنين.

وهنا يأتي الإشكال على الجواب الثاني وقولهم بأن التدخين لم يكن في المساجد وإنما هو داخل الحسينيّات.

وللتعريف بالحسينيّات نقول لمن لا يعرفها، بأنّها أماكنٌ شُيّدتْ عند الشيعة وأوقفت على اسم سيدنا الحسين عليه السلام، وفيها تُقام ذكرى الموالد والوفيات للأئمة الأطهار وكذلك عزاء عاشوراء وعيد الغدير وتقام فيها الحفلات للمناسبات العديدة في الأفراح والأتراح.

وهذه الحسينيات مفروشة بالزّرابي والسجّاد الثمين وفيها محراب للصلاة في أغلب الأحيان.

فإذا قال الشيعي بأن التدّخين يجوز في الحسينيّة لأنّها ليست مسجداً، قلنا: هذا اعتراف منك بأنّ التدخين لا يجوز في المساجد

هذا أولاً.

أما ثانياً: فإن كلّ مكان يُصلّى فيه يُسمّى مسجداً ولو حضرنا في أي مناسبة داخل أي حُسينية سواء في مأتم أو في فرح لوجدنا المجلس مليء بذكر الله والصلوات على محمد وآل محمد فهل يليقُ بمجلس يُذكر فيه اسم الله واسم رسوله والأئمة الأطهار تحفّه الملائكة بأجنحتها وتستغفر للذين آمنوا، أنْ يدنّس بالروائح الكريهة المضرّة للبشر فضلاً عن الملائكة.

وإنّني شخصياً أستغربُ من المراجع عند الشيعة الذين يُحرّمون اللعب بالشطرنج ولا يُحرّمون التدخين وشتّان بين ضرر كلّ منهما.

أو أن يُحرّم أحد المراجع الكبار عند الشيعة على مُقلّديه أن يدخّنوا «التُنباك» اجتهاداً منه لإسقاط الشركات البريطانية التي كانت تُروّجُه، ولا يحرّم التدخين على مُقلديه ولو بالاجتهاد أيضاً ليمنعهم من الأمراض الفتاكة والتبذير المقيت الذي يمقته الله سبحانه!!.

وإنّني كثيراً ما كنتُ ناقماً على هذا الوضع وكثيراً ما أثرتُ هذه المسائل مع بعض العلماء فلم أجد من عنده الجرأة الكافية لمنعه وتحريمه[1]. لا عند الشيعة ولا عند السنّة.

---

(١) من العلماء الذين أفتوا بتحريمه سماحة الفقيه آية الله السيد محمد حسين فضل الله، من آية تحريم الخمس ﴿**ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما**﴾ أي كلما كان اثمه أكبر من نفعه فهو حرام، أي مستنبطاً القاعدة في حرمة الدخان كما الخمر وأمثاله!.
إذاً فهي معللة فأفتى (حفظه الله) بالاحتياط الوجوبي، إذ هناك عدد كبير من المؤمنين والعلماء قد أدمنوا الدخان بحيث يصعب عليه أو يتأذى إذا تركه!!.
أما في المساجد ولمن اعتاد عليها، ربما المسلم الجديد الذي أسلم في =

وادكر ان الشهيد الصدر رضوان الله عليه لم يكن يدخن أبداً وقد سألته عن التدخين فقال: «أنا لا أُدخّن وأنصحُ كل مسلم أن لا يُدخّن». . . ولكني لم أسمع منه التّحريم صراحةً.

ويقال أنّ بعض المراجع حرّمه «أي التدخين» على المبتدئين وكرّهه للمدخّنين وبعضهم يُحرّمُه ولكن لا يجرؤ على التصريح بذلك، خوفاً أن يُتّهم بأنه يعمل بالقياس.

وأقول: على المراجع أن يقولوا فيه قولاً صريحاً ولا يخشون في الله لومة لائمٍ، وعليهم أن يُحرّموه ولو اجتهاداً منهم ما دام فيه الضّرر والمضرّة وفيه التبذير والإسراف.

ألم نتفق من الأوّل بأنّ العالم المجتهد إذا أصاب فله أجران وإذا أخطأ فله أجرٌ واحدٌ، على شرط أن يكون اجتهاده في ما لا نصّ فيه من الله أو من رسوله.

فعلى فرض أن التّدخين ليس فيه نصّ صريح ولا يشمله قول الله

الغرب يعتبره تقييداً لحريته بل وحتى المسلم، فضلاً عن الطريقة التي ذكرت في معاملتهم مع المدخن، وقد يكون من الجهل بأسلوب الدعوة بالكلام المنفي، فقد ورد عن الحسن و الحسين عليهما السلام أنهما وجدا رجلاً شيخاً لا يحسن الوضوء، فلم يعنّفاه بل قالا له يا شيخ انظر أينا يتوضأ صحيحاً، وعندما انتهيا قال والله لوضوئكما أحسن وأصح من وضوئي!.

فصحح الشيخ وضوءه، فلنتعلم من أهل البيت عليهم السلام خلق الدعوة وحكمتها. . . الخ

بينما نرى أن الشباب تستهويهم محلاّت القمار والتسلية والسينما لأنهم يمارسون حريتهم فيها!!

وهكذا بالنسبة للسني الذي يلبس الذهب أو لا يعتني بأمور النجاسة والطهارة، (بالحكمة والموعظة الحسنة) وبالمجادلة بالتي هي أحسن!!

﴿ولا تبذر تبذيراً﴾ «الاسراء/٢٦» ولا قول رسوله «لا ضرر ولا ضرار» فالمجال إذن مفتوح أمام العلماء والمراجع ليجتهدوا فيه ويحرّموه لضرره وما يسبّبه من أمراض مُهلكة.

أمّا أن يسكت العلماء والمراجع لأنّ الناس لا يقبلون ذلك، فهذه مشكلة.

أو أنّهم يخافون من ردّة فعل المدخّنين فلا يقولون حتى بكراهته وقد سمعتُ بعضهم يجهد لإقناعي بأنّ فيه فوائدٌ كثيرة، وهذا أمرٌ خطير له أبعاده وقد شجّع شبّان المسلمين الذين يعرفونه على مداومة التّدخين.

وفي حين نرى الجمعيّات الخيريّة والمؤسسّات الاجتماعية في العالم الملحد تموّل الحملات الدعائية ضد التّدخين والمدخّنين وتمنع حتى الإعلانات الاشهاريّة للتّدخين، وتعرض على مصانع السّجائر أن تكتبُ عليها عبارة «الانتحار» لتنفير النّاس منها.

نرى في المجتمعات الدّينية الإسلامية إقبالاً على التّدخين وتشجيعاً عليه حتّى أن النّساء عندهم يحملن علب السّجائر في المحافل والمجالس العبادية.

وإذا فتح الصبي عينيه على أمّه وهي تدخّن ثم على أبيه وهو يدخّن، فسوف يقلّدهم قبل أن يقلّد المرجع الدّيني، وإذا شبّ على حبّ التّدخين وتخدّر بالسّجائر فسوف يكون من العسير اقناعه بتركها في الكبر وخصوصا وقد تعوّد رؤية أبيه خاصة إذا كان يدخن في أماكن الصلاة.

ولو يعرف المسلمون ماذا يخسرون من أموال في التدخين وماذا

يرادُ بهم من خلاله، لأخذتهم الصّاعقة.

وعلى سبيل المثال فقط، وبعمليّة حسابيّة بسيطة نرى خطورة الموقف.

في العالم اليوم مليار من المسلمين، وإذا أخذنا خمسهم فقط باعتبار أن العائلة التي تتكوّن من خمسة أفراد ليس فيها غير مدخّن واحدٍ فإننا سنجدُ مائتي مليون مُدخّن.

وإذا حسبنا نفقة المدخنين يوميّاً باعتبار أنّ المدخّن يصرف دولاراً واحداً وهو أقل ثمن للسّجائر العادية وللعلبة الواحدة، ولا نتكلم عن الذي يدخن علبتين أو ثلاثة ولا على الذي يصرف دولارين أو ثلاثة على علبته المفضّلة التي تعوّد عليها.

فإننا سنجدُ العمليّة كالآتي.

٢٠٠ مليون مُدَخّن × دولار واحد = ٢٠٠ مليون دولار يوميّاً. وإذا ضربنا هذا المبلغ اليومي على مدى سنة واحدة فستكون العملية كالآتي: ٢٠٠ مليون دولار × ٣٦٥ يوم = ٧٣٠٠٠ مليون دولار في كلّ سنةٍ.

ففي أحسن الظروف وعلى أقل تقدير يُبذّر المسلمون في كل عامٍ ٧٣ مليون دولار في التدخين ليشتروا به أمراضاً فتّاكة.

وإذا أضفت إلى ذلك المبالغ التي يصرفها المسلمون للمعالجة من أثر التدخين ـ كالسرطان وضيق التنفس وإصابة الرئتين والذبحة الصدرية وتسوّس الأسنان واللثة وغير ذلك ـ فسوف تخرج بمبالغ خياليّة لا يُصدقها العقل. ولو وفّر المسلمون على أنفسهم تلك الأموال

المبذرة لمدّة عشر سنوات فقط، لكانت لهم جنّة على الأرض ولما بقي فيهم فقير، ولما استحقوا أن يمدوا أيديهم لاستجداء الكفّار، ولقضوا على الفقر والجوع والأمراض والتخلّف، ولاشتروا بها التكنولوجيا الحديثة وتقدّموا في كل الميادين.

وخلاصة القول بعد هذا العرض أنّ على المسلمين أن يُحرّموا على أنفسهم ما يضرّهم ولا ينفعهم، ولو لم يرد في ذلك نصٌّ، فإنّ دينهم يأمر بذلك ويحثّهم على الابتعاد عن كلّ ما هو مضرّ وغير نافع **﴿ويحلّ لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث﴾** «الاعراف/ ١٥٧».

وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى أصحابه عن أكل الثُوم يوم الجمعة لئلا يتأذّى المصلّين برائحته الكريهة مع ما في الثوم من فوائد صحية وطبية لا تخفى على أحدٍ ومع أن رائحة الثّوم لا تقاسُ نسبيّاً برائحة التدّخين لأن أكل الثوم لا ينطلق من فيه بخارٌ يملأ الفضاء ويتنفسه الآخرون كما هي الحالة في التدخين.

ومع ذلك فقد نهى عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم عملاً بقاعدة لا ضرار، فالذي يأكل الثوم ينتفع به حتماً ولكن يكره له أكله يوم الجمعة لئلا يؤذي غيره برائحته.

أضف إلى كلّ ما سبق بأن الذي يتأذّى برائحة الثوم فهو لا تؤذيه إلا رائحته الكريهة ولا يُسبب له ذلك مرضاً ولا عدوى كما هي الحالة في التدخين. ومع ذلك نهى عنه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فهل في ذلك عبرة لأهل العقول؟!.

وإذا كان المجتهدون يُحرّمون اللّعب بالورق واللّعب بالشطرنج

ولو لم يقصد من وراءه الميسر والقمار، ويُحرّمون الغناء والموسيقى اللّهوية وبعض الأشياء الأخرى التي لم يرد فيها نصٌ صريح لا في كتاب الله ولا في سنّة رسوله كالمصافحة مثلاً فحبذا لو أنهم يُحرّمون ما فيه ضرر المسلمين وأمراضهم.

أمّا إذا أصر بعض الشيّعة على إباحة التدخين وعدم تحريمه، فليحترموا غيرهم من غير المدخنين وليحترموا أماكن الذّكر وأماكن الصلاة كما يفعل إخوانهم من «أهل السنّة والجماعة» وما عليك إلاّ أن تجرّب بنفسك.

فلو دخلت مسجداً «لأهل السنّة والجماعة» وفي يدك سيجارة فسوف تُمنع من ذلك فوراً وسوف ينكرون عليك أشدّ الإنكار وربّما يؤذيك بعضهم.

وهذا لعمري ـ التدخين ـ شيء يمقته الله ورسوله لأنّه يمقته العقل والفطرة والمنطق.

وهو أيضاً ما نفّر كثيراً من «أهل السنّة والجماعة» الذين زاروا بلاد الشّيعة ورجعوا ينتقدون ولم يعرفوا من التشيّع إلاّ تلك المظاهر المزرية، ولذلك أقول دائماً صدق الإمام جعفر الصادق عليه السلام عندما كان يقول لشيعته:

«كونوا لنا دُعاة بأعمالكم لا بأقوالكم، كونوا زيناً لنا ولا تكونوا شيناً علينا» فكم من عملٍ يراه الرّائي فيُنفّره وتشمئزّ نفسه ولا يتقبّل بعده أي كلام ولو كان حقّاً. وما يقال على بعض الشيعة في هذا الصدد يقال أيضاً على بعض السنّة.

وأقول أخيراً، لا بدّ من الإصلاح، والرجوع للحقّ فضيلة، ولا

يغترنّ امرؤٌ أن يقول: هل يمكن اصلاح ما أفسدتْه القرون العديدة؟.

نعم يمكن ذلك، فإن العناية إذا صدقتْ والدّواعي إذا توفرتْ فستُشفى الأمّة من هذا الداء العُضَال ولو على الأمد البعيد بحول الله تعالى.

أشهد أنّ علياً وليُّ الله[1]

بقي هناك بعض الإنتقادات الأخرى والتي لا تستحق التشنيع

---

(١) الأذان في الإسلام عبارة عن إعلام الناس عن دخول وقت الصلاة، فليس فيه نص كما في القرآن الكريم الذي لا يجوز زيادة أو نقصان حرف منه!

كما لا يجوز ذكر (الشهادة الثالثة) في الصلاة لأنها عبارة توقيفية لا يجوز فيها ذلك!.

أما مسألة الأذان فإن كتب السنّة تارة ترى أن الأذان لم يكن موجوداً وأن عبدالله بن زيد الأنصاري سمعه بالمنام فقصّه على النبي صلى الله عليه وآله فأقره النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليه وأمثاله.

ولعل هذا الذي دفع الخليفة عمر عندما كان نائماً فأيقظه المؤذن بالقول (الصلاة خير من النوم) فاستحسنها عمر وقال اجعلوها في الأذان!

كما أن بلالاً الحبشي المؤذن الأول في الإسلام كان حرف (الشين) يظهر عنده (سين) فكان يقول أسهد، فلما بلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم: سين بلال شين عندنا!

وعندما كنت ذات مرة في الشام، مررت من الجامع الأموي في وقت صلاة العشاء سمعت أذانات جماعية، وبألحان قريبة للتواشيح وتبتدىء مجموعة من حيث تنتهي الأخرى!.

فلماذا الحساسية إذا ذكر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب؟!

ولنتحدث بالبدعة الحسنة أو غير الحسنة فلا داعي لها لما قدمنا أن هناك اختلافات وألوان، رغم أنهم يبالغون، وثبّتوا جزئية (الصلاة خير من النوم)!!

ونحن لا نقول كونها جزء في الأذان!

فإنَّ الأذان إعلام يعلن ويُعلم عن دخول الوقت، ما دام ضمن هذه الحدود الغير مبالغ فيها، ولا تضر بالإسلام والمسلمين فلا يُوجد مشكلة اساسية.

بقي هناك بعض الإنتقادات الأخرى والتي لا تستحقّ التشنيع والتهويل والتي هي عند الشّيعة قديماً وحديثاً تذكر على سبيل الاستحباب والتبرّك.

وذلك كزيادة جزء في الأذان والإقامة بقولهم: «أشهد أنّ عليّاً وليّ الله» فهم مجمعون على أنّ ذلك ليس جزء من الأذان ولا جزء من الإقامة ولم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومجمعون أيضاً على القول بأنّه يبطلُ الأذان والإقامة إذا قيل بنيّة الجزئية. (هذا ما يقوله علماء الشّيعة ومراجعهم).

وما دام الحق هو رائدنا وقول الله ورسوله هو قولنا ورضاهما هو هدفنا ومُبتغانا، وما دمنا نواجهُ نقد بعض العلماء من اخواننا فلا بدّ أن نستحسن من غيرنا ما نستحسنُه من أنفسنا وأن نستقبح منها ما نستقبحهُ من غيرنَا.

وإذا كنّا في ما سبق من أبحاث انتقدنا عمر بن الخطّاب واستكثرنا عليه زيادته في الأذان فصل «الصلاة خير من النوم» وحذفه منه فصل «حيّ على خير العمل».

وقلنا بأنّ ذلك باطلاً ولا يصحّ شرعاً لأنه بدعةٌ لم تكن موجودة على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولم نقتنع بقول «أهل السنّة والجماعة» بأنّ ذلك يذكر استحباباً في صلاة الفجر فقط عندما يكون الإنسان في أعزّ نومه وألذّ راحته فيقالُ له: «الصلاة خيرٌ من النوم» لحثّه على القيام والإستعداد لأداء فريضة الصلاة. مع العلم أنّه كلام جميل، يحاول تبرير المسألة والدفاع عنها.

غير أننا رفضناه لأنّ النصوص لا تخضع للآراء والأهواء وما

تشتهيه الأنفس. وقلنا: «ما لم يفعله رسول الله فهو بدعة».

وعلى هذا نقول للشّيعة أيْضاً نفس الكلام ونحتجّ عليهم بنفس الحجّة فلا يمكن أن تكون الباءُ عندنا حرف جرّ وعند غيرنا همزة وصلٍ!.

وعلى هذا نعترف بأنّ جزء «أشهد أنّ عليّاً ولي الله» هو زَائدٌ لأنّه لم يقلْهُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يأمر به ولم يفعله الأئمّة الطّاهرون من أهل البيت عليهم السلام.

ولو فعلوه أو أمروا به لوجدنا لذلك بعض المخارج والتّعليلات، ولو فعلوه أو أمروا به، لما جاز لعلماء الشّيعة ومراجعهم أن يُبطلوا الأذان والإقامة إذا ذكر ذلك الفصل بنيّة الجزئيّة كما تقدم ذكره.

والإنصاف والعدل يقتضي منّا أن نقول كلمة الحقّ، لا أنْ نستنكر على «أهل السنّة» بشيء ونأتي نحن مثله **﴿أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب﴾** «البقرة/ ٤٤».

وقد قال لي قائل منهم: يا أخي لا تخلط بين «الصلاة خير من النوم» وبين «أشهد أن عليّاً ولي الله»!.

قلتُ: وما الفرقُ؟ فالصلاة خيرٌ من النّوم حقّاً، وعليّ ولي الله حقّاً، ولكن هي أجزاء أُضيفتْ وما فعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال: ولكن ولاية الإمام علي نزل بها القرآن وأنت نفسك

اعترفت بذلك في كتابك الأوّل «ثم اهتديت».

قلتُ: فاللّوم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي لم يجعلها في الأذان رغم نزول القرآن بها، فليس كلّ ما نزل به القرآن يؤذن به للصلاة!!

وليس اعترافي أنا بنزولها في القرآن يُكسبها شرعيّة الإضافة في الأذان أو الاقامة!.

فهل يصحّ أن يؤذّن أحدٌ بقوله مثلاً «أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أنّ آدم صفوة الله، وأشهد أنّ نوحاً نبيّ الله، وأشهد أنّ إبراهيم خليل الله، وأشهد أنّ موسى كليم الله، وأشهد أنّ عيسى روح الله، وأشهد أنّ محمّداً حبيب الله؟ فكلّ هذا صحيح لأنّه نزل به القرآن».

ولكن لا يجوز لنا أن نُؤذّن به لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم علّمنا كيفية الأذان بالشّهادتين فقط فقال، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمداً رسول الله، فعلينا أن نمتثل لقول الله تعالى: ﴿**وما أتاكم الرّسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾ «الحشر/ ٧».

صحيح أن بعض العلماء من الشّيعة لا يذكرون في الأذان ولا في الإقامة بأنّ عليّاً وليّ الله، وقد صلّيت مع بعضهم ولم أسمعهم يذكرونه وقد يذكرون ذلك في قلوبهم فذاك أمر آخر.

ولكن هناك من الشّيعة الذين يشكّكون في إخلاص وعقيدة من لا يذكر ذلك في الأذان والإقامة.

اقتنع خصمي والحمد لله وإنْ صارحني بأنّه لا يقدر على تركها لأن لسانه تعود على ذلك منذ نعومة أظافره.

أقول قولي هذا وأنا على يقين مِن أنّ بعض الشيعة سوف لا يُعجبهم هذا، لأن الإنسان بطبعه عدوّ ما جهل ولأن رضى النّاس غايةٌ لا تُدركْ[1].

وأنا كما قدّمتُ في هذا الكتاب لا أبحثُ عن رضى أحدٍ من النّاس مهما علتْ قيمتُه، بقدر راحة الضّمير ورضى الله سبحانه وتعالى ورضى رسوله صلى الله عليه وآله وسلّم ورضى أئمتي وسادتي من عترة النّبي وعلى رأسهم الإمام علي عليه السلام.

وفي قرارة نفسي بأن الإمام علي عليه السلام راضٍ عن الدعاة لهداية الناس أكثر من رضاه على بعض شيعته ومُحبيه الذين يشهدون له في كل أذان وفي كلّ إقامة بأنّه ولي الله، ولكن في المقابل لا يفعلون شيئاً لهداية النّاس لتلك الولاية واقناعهم بالحقيقة، بلْ إنّهم قد ينفّرون النّاس ويصدّونهم عن الوصول إليها من حيث لا يشعرون.

وهل سيفرح الإمام علي عليه السّلام إذا شهدنا له بالولاية ووقفنا كالعقبة في وجه من يبحث عن الحق؟ كلاّ وألف كلاًّ.

---

(١) البدعة كما قلنا ما ثبت وجُعل جزءاً من (١٨) جزء وحدد الصلاة خير من النوم أما ما يستحب من مقدمات مثل (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا) أو ايصالها (بالصلاة والسلام عليك يا رسول الله) فهذه والشهادة لعلي بالولاية لله تعالى، وأمرة المؤمنين، يأتون به عملاً بأدلة عامة تشمله لاستحبابها، على أن الكلام القليل من سائر كلام الآدميين لا يبطل به الأذان! إذا لم نعتبر هذه الأمور جزءاً من الأذان أو الاقامة.

كثيرا ما كنت اجادل المعاندين بالتي هي أحسن، فأجدُ عندهم حاجزاً نفسيّاً يمنعهم من مواصلة البحث للوصول إلى الحق فأُحطم ذلك الحاجز بكلّ جُرأةٍ وقلبي مطمئن من أجل مواصلة البحث والوصول للهدف المنشود، فإذا بالمعاند يتدّرج معي ويحطّم الحواجز النّفسيّة، وفي أغلب الأحيان وبنسبة ثمانين بالمائة يستبصر ويهتدي إلى ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وولاية الأئمّة من ولده.

كنتُ مرّةً في «پونة» و «جبل پور» بالهند، والتقيتُ مجموعة كبيرة من الطّلبة السّوادنيين هناك وخلال سهرة واحدة لامستُ منهم صدق النيّة وصفاء النّفس لمعرفة الحقيقة، وكان أغلبهم يعترضون على معتقدات الشّيعة في خصوص العصمة[1] التي يثبتونها للأئمة

---

(١) لماذا نستنكر مسألة عصمة أهل البيت عليهم السلام بينما نقول به لعموم الأمة كما في قضية الاجماع، وعصمة أهل الحل والعقد، يقول الفخر الرازي في تفسيره (وثبت ان كل من أمر الله بطاعته على سبيل الجزم وجب أن يكون معصوماً عن الخطأ، فثبت قطعاً ان أولي الأمر المذكور في هذه الآية لا بد ان يكون معصوماً، ثم نقول: ذلك المعصوم اما مجموع الأمة أو بعض الأمة... وجب ان يكون ذلك المعصوم الذي هو المراد بقوله ﴿وأولي الأمر﴾ أهل الحل والعقد من الأئمة، وذلك يوجب القطع بأن اجماع الأمة حجة)! تفسير سورة النساء، الآية (٥٩) ص ١٤٤.

ولا يخفى ان الأغلب من هؤلاء اي أهل الحل والعقد هم الذين اعطوا الشرعية لمعاوية بن ابي سفيان، وابنه يزيد شارب الخمور وقاتل الحسين (ع) بن علي بن أبي طالب وسبعة عشر من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكل موبقات معاوية وابنه وحكم الوليد وغيرهم، ومن ثم مبايعة العباسيين وفيهم أبو العباس السفاح، والمنصور وغيرهم.

واما من كان من أهل الحل والعقد عنده تقوى فقد أُبعِد أبفي على الحياد، رغم ان السكوت فيه ما فيه!

فلماذا نستكثر على أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم العصمة التي =

ويعترضون على الشهادة لعلي بالولاية في الأذان وعلى الغلو" في حب الأئمة.

فقلتُ لهم بالحرف: «يا إخوتي في الله وفي الإسلام، أنا لا أفرض عليكم العصمة ولا أعتبرها هي الهدف للوصول إلى الحق وإن كنتُ شخصيّاً أُؤمن بها، ولكني سوف أتحاشاها كُليّاً لأثبت لكم بأنّ القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة يفرضان على كل مسلم أن يكون شيعيّاً يتولّى محمد رسول الله وأهل بيته الطّاهرين.

فأنتم غير مطالبين بإثبات العصمة والإعتقاد بها، لتصِلوا إلى الهدف المنشود وهو مُوالاة أولياء الله ورسوله والبراءة من أعداء الله ورسوله.

كما أنّكم لستم مُطالبين بأن تشهدوا بولاية علي في الأذان، ولستم مُطالبين بالاعتقاد بكلّ ما يرويه الشّيعة في علي وأولاده ممّا تعتبرونه غلوّاً ومبالغة.

فالإمام عليّ عليه السّلام هو أكبر قدراً وأعظم شأناً من أن تُثبت له فضيلة تعدّ من المعجزات ونقول بأن الله سبحانه ردّ له الشّمس لأن صلاة العصر فاتته، أو أن الأرض طويتْ له فسافر من المدينة إلى المدائن ليغسّل سلمان الفارسي ويرجع من يومه وهي مسافة شهور في ذلك العصر.

فهذه رواياتٌ تتعلّق بالمعجزات الغيبيّة، والمسلم في حلّ منها

= أيدتها الآيات، ومواقف ومناسبات أكّد النبي صلى الله عليه وآله لهم ذلك الفضل ونقول بها على عموم العامة وسوادها؟!!.

إن شاء آمن بها فلا تزيد في إيمانه، وإن شاء كذّبها فلا تنقصُ من إيمانه.

ولكنْ نحن مُطالبون بالاعتقاد بأنّه وصيّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأفضل الخلق بعده، وقد استخلفه على أمته قبل موته.

وعلينا أن نُثبت بأنّ أمير المؤمنين عليه السلام هو باب مدينة علم رسول الله وليس في الأمة أعلم منه على الإطلاق، أن نُثبتَ بأنّه أشجع الصّحابة وأصدقهم حين البأس وبسيفه وشجاعته استقام دين الإسلام.

أن نُثبتَ أنّه أسبق النّاس للإسلام وأخلصهم له في كلّ المواطن وأنّه ضحّى بكلّ شيء في سبيل مناعة الإسلام وبقائه بعد محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم. وإنّ اتّباعه واجبٌ على كل مسلم.

أن نُثبتَ بأنّه الوحيد الذي عمل على إحياء الكتاب والسنّة بعدما كادا أن يُقبرا.

أنْ نُثبتَ بأنّه أزهد خلق الله فى الدنيا وأقربهم إليه في كل حركاته وسكناته.

أنْ نثبتَ بأنّه أعدل الناس وأقومهم عند الله وقد حارب الناكثين والقاسطين والمارقين للحفاظ على الإسلام وأهله.

أن نثبتَ بأن محمداً هو الأول وعليٌّ هو الثاني وهما أفضل خلق الله تعالى.

نعم علينا أن نُثبتَ كلّ ذلك من الكتاب والسنّة النبويّة الصحيحة والتاريخ الصحيح ونُقيم عليه الأدلة الواضحة والبراهين المقنعة التي لا تُدفع.

أمّا أن نتغنّى بأنّ الله خلق محمّداً وعليّاً قبل أن يخلق آدم بمائة ألف عام، أو أنّ كلّ الأنبياء والمرسلين قد توسّلوا إليه سبحانه بحق محمّد وعلي وفاطمة والحسنان أو أنّ ساق العرش مكتوب عليها «علي ولي الله» هذا بحث آخر، فهذا لا يفيدنا شيئاً ولا يوصلنا إلى الهدف المنشود ولا نقدر على أن نُقنع به غيرنا ما دمنا لا نملك على إثباته أي دليل علمي، وإذا توقّفنا على اثبات الرّوايات المعجزة أو على إثبات العصمة والشهادة لعلي بالولاية فسوف يصرّ كلّ منّا على موقفه ويتعصّب له، لأن أهل السنّة يروون في أبي بكر وعمر أكثر مما يروي الشّيعة في علي وأولاده وسيضيع الوقت في الجدال العقيم والبحث البيزنطي وسيتهم «أهل السنّة والجماعة» الشّيعة بالغلوّ في الأئمة وسيردُّ عليهم الشّيعة بأنّ كلّ ما أوردوه في الأئمّة هو واردٌ في صحاح «أهل السنّة» أنفسهم ثم يتّهمُ الشّيعة «أهل السنّة والجماعة» بأنّهم غالوا في الخلفاء الثلاثة خاصة وفي الصحابة عامّة، وسيبقى الجدال عقيماً وبدون فائدة.

نحن اليوم أيّها الإخوة مطالبون بإقامة الحجّة والدليل العلمي، وأنا لا أُحدّثكم إلا بالدليل العقلي والنّقلي الذي أثبته التاريخ والواقع وما اتفق عليه المسلمون كافة سنّةً وشيعة. والله نسأل أن يُوفقنا جميعاً إلى الحق.

وبعد سهرة طويلة حتى مطلع الفجر من النقاش العلمي والجدال بالتي هي أحسن، استبصر أكثرهم إلى الحق وأقبلوا بكلّ قلوبهم على كتاب «ثم اهتديت»، وجاؤوا بعد يومين لتوديعي قبل سفري وهم يحمدون الله سبحانه أن هداهم إلى صراطه المستقيم، ويترجّون معرفة

واختلى بي أحدهم أظنه أمير الجماعة كما يسمّونه وقال لي بعد الشكر ومزيد الألطاف:

«لقد التقيتُ بالشيعة في مصر وفي السّودان وهنا في الهند ولم يقنعني واحدٌ منهم بمثل ما أقنعتني به».

قلت: إنّ كتاب «ثم اهتديت» أقنع الكثير من الباحثين وهذا من فضل الله عليَّ فأنا أحمده وأشكره.

فقال: أنا لم أقرأ بعد كتابك لأنني مشغول «بالامتحان ولا أقرأ أي كتاب إلاّ عندما أكون مرتاح البال».

قلتُ: فكيف أقنعتُك إذاً وأنت لم تقرأ الكتاب؟ قال: في سهرتنا، لمّا بدأت حديثك برفض العصمة وعلي وليّ الله وغير ذلك من أقوال الشّيعة، عند ذلك استهوانا حديثك لأنك خاطبت النّاسَ بما يفهمون، ولو تمسّكتَ بتلك الأقوال لانعدم الحوار ولفسدت السّهرة، ولكنك عرفت الحق وأرشدتنا إليه، ولو أنك تُلقِي محاضرة في السّودان في الشبّاب الجامعي فستشيّعهم كلّهم بهذه الطريقة وهذا الأسلوب.

شكرته على عواطفه وطلبتُ منه قراءة الكتاب وإرسال ملاحظاته إليَّ وتعانقنا وقلوبنا تنبضُ بولاء أهل البيت.

خاتمة البحث

هذه هي أهمّ الإعتراضات والإنتقادات التي يثيرونها دائماً حول مذهب الشّيعة الإمامية، والتي تستحق العناية والدّراسة من كلّ باحث ومحقّق يتوخّى الحقيقة في كل شيء، ولا يخشى في الله لومة لائم، ويقول الحقّ ولو على نفسه، ولو كان مُرّاً.

فالشّباب المثقّف من أُمّتنا الإسلاميّة اليوم، لم يعد يصدّق بالخرافات والخزعبلات والدّعايات التي تبثّها وسائل الإعلام من هنا وهناك ضدّ الشّيعة لتجعل منها فرقة التزمُّتْ والإرهاب أو مجانين الله كما يسمّونهم.

والمثقفون لا يصدّقون بكلّ ما يسمعون، ولكنّهم قد يتأثّرون بما يشاهدونه بأنفسهم في المحافل الشّيعية، أو ما يقرؤونه في كتب بعض المؤلّفين من الشّيعة فيبدو لهم غريباً ويطلبون لذلك توضيحاً أو تفسيراً.

وأنا بدوري أوضحتُ بعض الأخطاء (التي تصدر من بعض عوام

الشّيعة) إن صحّ التعبير، وإن لم تكن من الدين ولا هي من الضرورات التي تُبيحُ المحظورات وليس فيها إلا المضرّة أو تشتيت المسلمين.

وقد قرّرتُ فيما سبق من أبحاث ومن خلال الأدلّة والبراهين التي سجّلتُها في كتاباتي ونشرتُها بين المسلمين، بأنّ الشّيعة الإمامية هي أحقُّ الفرق الإسلاميّة بهذا الدّين في كلّ عقائده وتشريعاته، وهي الفرقة الناجية بإذن الله تعالى من كلّ الفرق، لا لشيء ولا لسواد أعينهم.

ولكنهم فقط لتمسكهم بالثقلين كتاب الله تعالى والعترة النبوية الطاهرة.

ولكن ذلك لا يمنعني من انتقادهم إذا رأيتُ فيهم إعوجاجاً أو رأيتُ في تصرُّفات البعض منهم مُنكراً، ورائدي في ذلك وشعاري دائماً «ليس بعد الحق إلا الضلال».

وقد يُصبح المعروفُ في بعض الحالات مُنكراً إذا تعدّى حدود المألوف المتعارف عليه بين النّاس من ذلك مثلاً: لمّا دعيتُ لمؤتمر إسلامي في الولايات المتحدة الأميريكية قام بعضهم بدعوتي إلى بيته لتكريمي وضيافتي وكنتُ أُلبي على مضض فيحضُر معي في الضيافة نخبة كبيرة من المدعوّين على شرفي فإذا بالمأكولات والمرطبات خيالية وإذا بالمصاريف تفوق بعض الأحيان آلاف الدّولارات.

وتتكرر في الغد أو في نفس اليوم ضيافة أخرى مماثلة فتشعر وكأنهم يتبارون، ويحضر فيها نفس الأشخاص وقد لا أكون مبالغاً إذا

قلتُ بأنّ أنواع المأكولات الغربية والشرقية تفوق العشرة، ومهما يأكل الآكلون فإنّ النصف من الطعام يبقى ليُلقى في مكب النفايات بدون شكٍ[١].

وهذا الطبع أو هذه العادة أصبحت من الضرورات عندهم، ومهما قيل في الكرم العربي وفي تكريم الضّيف ومهما استدلّ بعْضهم بآية ﴿**قلْ من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطّيبات من الرّزق**﴾ «الأعراف/ ٣٢» فإنني لا أقتنع بذلك وسوف أنتقد وأحاول بكلّ جهودي اقناع الناس بغير ذلك.

---

(١) نعم فقد تحوّل إلى عادة وعرف، تباري وتفاخر بعضهم البعض والضحية فيها الضيف، حيث قد يجامل وبذلك يرضيهم (لأن من أطعم الفم استحت العين) وإلا حتى هذا العالم أو المفكر (الضيف) الذي يُلفت نظرهم إلى مساوىء هذه السنّة قد لا يدعونه مستقبلاً، فما حال من هو دونه، حتى تتكون طبقية مقيتة تترفع على الفقراء وممنوع عليهم حضور مثل هذه الدعوات (غنيهم فيها مدعو، وفقيرهم فيها مجفو)! وحتى نتائجها السيئة إنما تقسّم الناس إلى طبقات، كذلك التأثير على فكر وعقلية (الضيف) عالماً كان أو مفكراً بأن يقرّهم على هذا أو يوجهون تفكيره عن الاهتمامْ بأمور المسلمين الحقة، إلى عالمهم وجوّهم.
مثلاً يدعوه المسلمون لكي يتبرع لمؤسساتهم، أو يبني جامعة أو يدعم مشاريعهم، فيغفل عن أمور المسلمين المهمة، خاصة إذا لم يظهر ويُعلم إسمه.
ومما يؤسف حتى أن أحدهم بلغ به البطر في العراق أنه مهما فعل بأمواله فلن تنفذ كثرتها، فسُلط عليه صدام ونفاه الى الخارج وصادر أمواله وفي المهجر سمعت من غني وحاج يقول: أنا لا أقتنع أن الشعب العراقي في مجاعة ما لم يصبحوا كالهنود الذين يموتون على الطرقات وتحملهم البلدية بالجملة!! فالإسلام لا يقوم إلاّ باتّباع الحق، والتأسي بقدوته السامية وتطبيقه الصادق الصحيح لا بالمظاهر والتبذير، والسفه والاهواء، فهذه قارونية فرعونية وليست محمدية علوية!!!

والذي يستدلّ بالقرآن على إباحة وتحليل الطيّبات من الرّزق ينسى أو يتناسَى قوله سبحانه وتعالى:

﴿وكلوا واشربوا ولا تُسرفُوا إنه لا يحب المسرفين﴾ «الأعراف/ ٣١» وقول الرّسول صلى الله عليه وآله وسلّم:

«نحن قوم لا نأكلُ إلاّ إذا جعنا وإذا أكلنا فلا نشبع» فأين نحن من تربية الإمام علي عليه السلام الذي روّض نفسه على الشعير اليابس وكان يختم جرابه خوفاً من أنْ يلتّ الحسنان كسرته بزيت أو سمنٍ.

فهلاّ يستحي المسلمون اليوم من ربّهم أنْ يبيتوا في فرش من الحرير وبطونُهم متخمة بشتّى أنواع المأكولات وإخوانهم من الشّيعة العراقيين يموتون جوعاً في المخيّمات السعودية ولا يجدون أبسط مقوّمات العيش الكريم والبسيط من الأكل.

وأنا بقدر ما أشكر هؤلاء الذين استضافوني وأكرموني ولكن من واجبي أن أذكّرهم بما هو أولى فإنّ الذكرى تنفعُ المؤمنين ومن واجبي أن أستنهض فيهم فعل الخير لله وفي سبيل الله، لا للشّهرة والسمعة والمُرَاءاة.

لأنّ الكثير من أغنياء المُسلمين الموسرين والذين يعيشون عيش الملوك إذا ما طُلب منهم مساعدة أو إعانة للفقراء والمعوزين تراهم يشُحّون ويقترون ويحسبون القُروش ويعدّون الدّراهم، ولكنّهم في شهواتهم ومصالحهم لا يبالون بالملايين ويبذُلون القناطير.

والغريب في الأمر أنّ أكثرهم فرَّ بدينه من بطش الحكّام الجائرين وهاجر إلى أمريكا أو إلى بريطانيا وليس في جيبه ما يكفيه لمدّة

أسبوع، فأغناه الله من فضله وأصبح من الموسرين وبسط الله لهم الرّزق فأصبحوا يملكون العقارات والمحلّات وملايين الدولارات، عند ذلك مثّلوا دور ثعلبة الذي كان فقيراً معدوماً فجاء يشتكي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويطلب منه أن يدعو الله له حتّى يغنيه من فضله لأنّه يريد أنْ يتصدّق على الفقراء ويكسبُ بذلك أجراً.

ودعا له النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصبح من الأغنياء الكبار، ولكنّه عندما طلب منه النبي صلى الله عليه وآله وسلم دفع الزّكاة نكص على عقبيه ورفض أن يدفع شيئاً من ماله. ونزل في شأنه قوله تعالى: **﴿ومنهم من عاهد الله لئن أتانا من فضله لنصدّقن ولنكونن من الصالحين * فلمّا أتاهم من فضله بخلُوا به وتولّوا وهم مُعرضون﴾** «التوبة/ ٧٥ ـ ٧٦».

نعم لا شك أنّ هناك من الأغنياء الذين ينفقون أموالهم بالّليل والنهار سرّاً وعلانيّة ولا يرجون إلا رحمة ربّهم ورضاه.

ولكن هؤلاء يُعدّون على الأصابع أمّا الأكثريّة السّاحقة فهم يُراؤون ويمنعون الماعون.

ومنهم أيضاً الذين أعطاهم الله من فضله ووسّع عليهم لينفقوا ممّا جعلهم مستخلفين فيه وليكون في أموالهم حقٌّ معلوم للسائل والمحروم، فتراهم يحجّون في كلّ عام وبين الحجة والأخرى يعتمرون مرّتين أو ثلاثة، ولستُ مبالغاً إذَا قلتُ بأنّ منهم من حجّ بيت الله الحرام عشرين مرّة واعتمر أكثر من أربعين وهو يفتخرُ بذلك أمام النّاس ويقول لا يمكن أن يفوتني الحج في كلّ عام.

وهؤلاء في الشيعة كثيرون لا يُعدّون، ولا يحسـ[illegible] الأ[illegible]

فتراهم ينزلون في أفخم الفنادق ويأكلون أشهى الأطعمة ويركبون في الدرجة الأولى، أضف إلى ذلك أنّهم بعد ذلك يزورون العتبات المقدّسة للأئمة الأطهار عليهم السلام.

والغريب أنّ هؤلاء إذا رأيتهم كيف يأكلون وماذا يرمون في القمامة من الفضلات لقلت في غير تردّد بأنهم أبعد ما يكونون عن الآداب الإسلاميّة والأخلاق الإنسانية.

صحيح أن الحجّ مستحبّ بعد حجّة الإسلام المفروضة ولكن ألا يفهم هؤلاء أنّ الله يأمرهم قبل كلّ شيء بنجدة عباده المساكين والمعوزين واليتامى والبائسين المنكوبين.

ألم يقل لهم سبحانه في كتابه العزيز وكأنّه يقصدهم بالذّات: **﴿ليس البرّ أن تولّوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكنّ البرَّ من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيّين وآتى المال على حبّه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسّائلين وفي الرّقاب. . . ﴾** «البقرة/ ١٧٧».

فليس البرّ أيها المسلمون أن تولّوا وجوهكم في كلّ عام إلى الحجّ أو إلى زيارة العتبات، فالحجّ واجبٌ ومستحب والزيارة كذلك ولكن أن يُصبح عادة في كل عام إلى ثلاثين وأربعين مرّة بينما إخوانكم يموتون جوعاً فهذا ما لا يرضاه الله أبداً[١].

ألم يقلْ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم:

---

١ مسؤولية هؤلاء على العلماء المفكرين أو الواعظين والداعين، وأنهم سوف يتركون ذلك، ليلتزموا بإسلامهم وخط أهل البيت، وليتركوا كل ذلك فلا إفراط ولا تفريط، ويتوبوا لرشدهم، ويعودوا لإسلامهم، لإبدال السيئات حسنات!

«أقربكم عند الله أنفعكم لعباده» ألم يقل صلى الله عليه وآله وسلّم: «من بات شبعان وجاره جائع بريء من ذمّة الإسلام».

ألم تفتخروا أيّها الشّيعة بأنّ إمامكم الأوّل بعد النبيّ هو علي بن أبي طالب وسُمّيتُم شيعة لأنكم اقتديتم به؟ ألم يقل إمامكم علي عليه السلام: «ألاَ وإنّ لِكُلٍّ مأْمُوم إمَاماً يَقْتَدِي به، وَيسْتَضِيءُ بنُورِ عِلْمِهِ، ألاَ وإنّ إمَامَكُم قَد اكْتَفَى مِنْ دُنْياهُ بِطِمْرَيْهِ، وَمنْ طُعْمِهِ بقُرصَيْه... فوالله مَا كَنَزْتُ مِنْ دُنْياكُمْ تِبْراً، ولا ادخَرْتُ من غَنَائِمِها وفْراً... ولو شِئْتُ لاهتدَيْتُ الطَّريقَ إلى مُصَفَّى هَذا العَسَلِ، ولُبَابِ هذا القَمْحِ، وَنسَائِجِ هَذا القَزّ، ولكن هيهَاتَ أنْ يَغْلِبَني هَوَايَ، ويقُودَني جَشعي إلى تخيُّر الأطْعِمَةِ، ولعلّ بالحجازِ أو اليمامةِ من لا طَمَعَ لَهُ في القُرْصِ، ولا عهْدَ لَه بِالشّبَعِ، أو أبيتُ مِبْطَاناً وحَوْلي بطونٌ غَرْثَى وأكبادٌ حرَّى؟...

... فما خُلِقْتُ ليشغلني أكْلُ الطّيّباتِ، كَالبَهيمةِ المربوطَةِ، هَمُّهَا عَلَفُهَا، أو المُرسلةِ، شُغلُهَا تَقَمُّمُهَا...

... إليكِ عَني يا دُنيا. فَحبْلُكِ على غَارِبكِ، قد انسلْلتُ من مَخالِبكِ، وأفْلتُّ من حَبائِلكِ، واجتَنَبْتُ الذَّهَاب في مَدَاحِضِكِ.

أينَ القرونُ الذينَ غَرَرْتِهم بمدَاعبِكِ، أينَ الأممُ الذين فتَنْتِهِمْ بزخَارِفِكِ؟ ها هم رَهَائِنُ القُبورِ، ومضامينُ الُلحودِ...

اغْرُبي عَنّي! فوَالله لا أذل لَكِ فَتَسْتذِلّيني، ولا أَسلَسُ لكِ فَتقُودِيني...

طُوبَى لِنَفسٍ أدّتْ إلى ربِّهَا فَرْضَهَا، وعَرَكَتْ بجَنْبِهَا بُؤسَهَا،

وهَجَرتْ في اللَّيل غُمْضَهَا، حتّى غَلَبَ الكَرَىٰ عَلَيْهَا، افْتَرَشَتْ أَرْضَهَا، وتوسَّدَتْ كَفَّهَا في مَعْشَرٍ أسْهَرَ عُيونَهُمْ خَوفُ مَعَادِهِمْ، وَتجَافَتْ عن مَضَاجِعِهِمْ جُنوبُهمْ، وَهَمْهَمْتْ بِذكْرِ ربّهم شِفاهُهُمْ، وتَقَشّعتْ بِطُولِ اسْتِغْفَارِهم ذُنُوبُهُمْ ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الله ألاَ إنَّ حزبَ الله هم المُفلِحُونَ﴾.

فاتق الله يا ابن حُنيفٍ ولتكفِفَ أقْراصُك، ليَكُونَ مَن النّارِ خَلاصك»[1].

وهذا الكلام موجَّهٌ أيضاً إلى كلّ من تَشيّع لعلي عليه السلام واتخذه إماماً بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وإذا أكّدنا في الأبحاث السّابقة بأنّ الشّيعة هم الذين تمسكوا بالكتاب والعترة، فما أحرانا أن نمتثل لأوامر الكتاب والعترة، فهما يأمران بتعظيم شعائر الله لأنها من تقوى القلوب وإن احترام صلاة الجماعة داخل المساجد وخارجها وتنظيمها والعمل على تقديسها بأن لا تُلوّث بالسّجائر بل يحرص على تطييبها بالطّيب والعطور فكلّ ذلك من شعائر الله[2].

---

(١) كتاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى عامله على البصرة عثمان بن حنيف الأنصاري لمّا بلغه أنه دُعي إلى وليمة قوم فمضى إليها. نهج البلاغة شرح محمد عبده ص ٥٥٨.

(٢) من الملاحظ بشكل عام ان المصلي يقف للصلاة بالثياب التي يلبسها ولا يهمّه الامر، مرتبّة أو نظيفة، المهم ان تكون طاهرة، فالله عز وجل لا مشكل معه، ولكن إذا اراد أن يقابل احداً فانه يلبس له أفخر الثياب، خاصة إذا كان من المهمّين، فتكون النتيجة بان الشخص الذي قابله المصلي اهم من الله عز وجل عنده وإن كان المصلي لا يلتفت الى هذه المسألة، كل منا يسأل نفسه: إذا كان في بيته يلبس ثياب النوم التي لا يسمح للاجانب ان يروه بها لانه يعتبر =

ما أحرانا أنْ نتقشّف فلا نبذّر أموالنا في ما لا ينفعنا ولا نُسرف في الأكل والملذّات واخوتنا المؤمنين يموتون جوعاً. ما أحرانا أن نفكر في نفع عباد الله وإنقاذهم من الضّلالة بدل أن نحجّ أربعين مرّة ونعتمر ثمانين، ونفكّر بأن تلك الأموال لو صُرفتْ في طبع الكتب وإيصالها هديّة إلى الأقطار الإسلامية التي لا يعرفون عن أهل البيت شيئاً يذكر ولا يسمعون عن الشّيعة إلاّ الأراجيف، لكانتْ سبباً في استبصار الملايين الضالين والذين يبحثون عن الحقيقة، ولكان أجرُها عند الله أكبر من حجة مُستحبة غير مفروضة يأتي صاحبها طمعاً ليغفر الله له ذنوب السنة الماضية، فقد قال صلّى الله عليه وآله وسلم «مداد العلماء أفضل عند الله من دماء الشهداء».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «الله الله في صلة الأرحام فإنها عند الله أفضل من عامة الصلاة والصيام».

ما أحرانا أن نُفكر بمستقبل المسلمين في العالم والذين يواجهون مؤامرة الإبادة والمحق في كل بقاع الدّنيا.

= ذلك إهانة لهم، يصلي بهذه الثياب أم لا؟

علينا ان نلتفت جميعاً نحن بين يدي من نقف؟ يجب ان نتعامل مع الله جل وعلا على انه موجود حاضر معنا ﴿**وهو معكم اينما كنتم**﴾ «الحديد/ ٤» نقف بين يديه في كل اوقاتنا وخاصة في الصلاة فنلبس افخر الثياب ونتعطر، كي نكون ظاهراً في حالة مقبولة عنده، وبعد الانتهاء من الظاهر يجب ان نبدأ بتطهير الباطن ليتحقق السير الى الله عز وجل.

ولا بأس بمراجعة المستحبات بخصوص لباس المصلي وآدابه خاصة بالنسبة للمؤمنات، مثلاً ان تلبس ثوباً ابيضاً وأن تلبس زينتها وتكون على أفضل حال، فهذه من الامور التي تشعرنا بوجود الله عز وجل.

وأنا بعد كلّ هذا ومن خلال تجربتي الشخصية التي بلغت من العمر خمسة وعشرين عاماً كان معظمها نقاشاً وجدالاً مع المثقفين وغير المثقفين من «أهل السنّة والجماعة» عرفتُ وتحققْتُ بأنّ التّنازل عن بعض المعتقداتِ التي لا علاقة لها بجوهر الإسلام، هو السّبيل الوحيد للوصول للهدف المنشود.

فكم من معاندٍ قويّ الشّكيمة، لا يفضّلُ على أبي بكر وعمر أحداً من الناس، أصبح بعد الاستبصار يتمنّى لو أنّ الإمام علي قاتلهم وأراح المُسلمين منهم.

وكم من معترض شديد المراس مُنكرٍ للعصمة ويعتبرها من مغالاة الشّيعة، أصبح بعد الاستبصار يقول بها أكثر من الشّيعة أنفسهم.

نعم كلّ هذا كان يتوقّف ويجرّ للعداوة والبغضاء لو أنّني أصررتُ على القول «بالعصمة» أو «الشهادة بأن عليّاً ولي الله» في الأذان، أو القول بأنّ عليّاً خيرُ البشر فمن أبى فقد كفر.

وأنا على يقين بأنّ المسلمين سيقتربون من بعضهم ويتوحّدون إذا عمل كلّ من الشّيعة و «أهل السنّة» على التنازل كلّ من جهته وبما لا يمسُّ العقيدة في شيء.

فلو تنازل «أهل السنّة والجماعة» عن قولهم بعدَالة الصّحابة كلّهم أجمعين والتي ليستْ هي من الدّين في شيء لأراحوا إخوانهم الشّيعة من عناء البحث والكتابة لإثبات العكس.

ولوأن الشّيعة تنازلوا عن قول «أشهد أن عليّاً ولي الله» والتي

ليست هي جزءاً من الأذان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لأراحوا إخوانهم من «أهل السنّة والجماعة» الذين يشنّعون عليهم ويتهمونهم بالمغالاة والمُبالغة، ويصدّون أنفسهم عن البحث والتحقيق من أجلها.

أفلا يعتبر المسلمون «سنّة وشيعة» بما فعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم يوم صلح الحديبية، وكيف أنه تنازل للمشركين عن كلّ شيء ولم يُعاندهم في شيء، لأنه عرف أن في عنادهم وعدم التنازل لهم عقبةٌ للهداية والوصول إلى الحقّ.

ـ قالوا له: نحن لا نعترف بأنك رسول الله، أنت محمد بن عبدالله!.

ـ قال: نعم أنا محمّد بن عبدالله لا تكتب يا علي محمد رسول الله.

فإذا قال قائل من الشّيعة «كيف نتنازل عن أنّ عليّاً هو وليّ الله وهو حقٌ، والسّاكت عن الحق شيطان أخرس».

قلنا، كما تنازل محمد بن عبدالله صلّى الله عليه وآله وسلم للمشركين عن صفته «رسول الله» حتى لا يجعل بينه وبينهم حاجزاً ويستميلهم للهداية، وهو رسول الله، قبل المشركون بذلك أم لم يقبلُوا شهدوا بذلك أم لم يشهدوا. ﴿**وكفى بالله شهيداً**﴾ «النساء/١٦٦».

وكذلك عليّ هو وليّ الله حقّاً، شهد بذلك الناس أم لم يشهدوا فلا تزيد شهادتهم في قيمته ولا ينقص إنكارهم من فضله شيئاً[١].

---

(١) أكّدنا أنه لا يوجد أحد من العلماء ممن يقول بأن (الشهادة للإمام علي) هي =

. . . .

= جزء من أجزاء وفصول الأذان والإقامة، ومخطىء تمام الخطأ من يسميها بدعة حسنة إنما هي الشهادة لعلي بالولاية لله تعالى، وإمرة المؤمنين، وللمظلومية والغبن والطمس التاريخي الجائر الذي وجه ضد واضع حجر الإسلام بعد النبي صلى الله عليه وآله، علماً وجهاداً، كما هي صفات طالوت في القرآن الكريم، حيث طلب بنو اسرائيل من نبيهم أن يبعث لهم ملكاً يقاتلون معه **﴿وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا أنّى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة في المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم﴾**

هذا وغيره مما ملأ الخافقين، واعترف به القاصي والداني، والفضل ما شهدت به الأعداء؟! فلماذا لا نتحسس من البدع واقعاً، كرفع (حي على خير العمل) منْ الأذان من قبل عمر بن الخطاب. عن عكرمة قال: قلت لابن عباس: أخبرني لأي شيء حذف من الأذان (حي على خير العمل) قال (أراد عمرُ أن لا يتكل الناس على الصلاة ويدَعوا الجهاد فلذلك حذفها من الأذان)!

راجع في كل ذلك، سنن البيهقي ج ١ ص ٥٢٤ ـ ٥٢٥، السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٠٥، سعد السعود ص ١٠٠، ميزان الاعتدال للذهبي ج ١ ص ١٣٩، لسان الميزان ج ١ ص ٢٦١، نيل الأوطار للشوكاني ج ٢ ص ٣٢، كنز العمال بهامش مسند أحمد ج ٣ ص ٢٧٦، كنز العمال ج ٤ ص ٢٦٦، الروض النضير ج ٢ ص ٤٢!

ووضع عمر (الصلاة خير من النوم)!

فهذا مما يدل على أن لا يعجب المسلمون، من هذه الزيادة والنقصان لأن السنة لا يرون ان الأذان والإقامة مما شرعه الله تعالى بوحيه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا مما ابتدأ به النبي صلى الله عليه وآله وسلم صادعاً به عن الله عز وجل كسائر النظم والأحكام!!!

وأنه عبارة عن طيف في المنام رآه بعض الصحابة، بعدما احتار النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين أن يدعو بالناقوس، أو بالضرب بخشبتين... الخ

راجع: سنن أبي داود ج ١ ص ٣٣٥ السيرة الحلبية ج ٢ ص ٩٣، صحيح الترمذي ج ١ ص ٣٥٩، الموطأ ج ١ وشرحه للزرقاني ج ١ ص ١٢٠ ـ ١٢٥ سنن البيهقي ج ١ ص ٣٩٠، سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٥٤، البداية والنهاية =

وكانتْ نتيجة تنازل محمد بن عبدالله صلى الله عليه واله وسلم في صلح الحديبية نتيجة خياليّة لم يتصورها واحد من الصّحابة أبداً

= ج ٣ ص ٢٣٢، المواهب اللدنية ج ١ ص ١٧، منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج ٣ ص ٢٧٣، تبيين الحقائق للزريعي ج ١ من ص ٩، الروض. الأنف ج ٢ ص ٢٨٥، حياة الصحابة ج ٣ ص ١٣١، كنز العمال ج ٤ ص ٢٦٣، سنن الدارقطني ج ١ ص ٢٤١ وغيرها!

فإذا كان الأذان عندكم غير مشروع، وتجيزون بل وأسقطتم ووضعتم، وحتى لو وضعتم في صلاة الظهر (الصلاة خير من الغداء) وغيره لأصبح ذات صبغة شرعية فتألفونه كما ألفتم غيره، بينما تستنكرون على من أجمع أن الأذان والإقامة هو ما أوحاه جبريل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بتمام فصوله!

ـ نعم علينا جميعاً ان نستنكر لو حصل ما ينافي الأذان مثل ذلك الذي سمعوه يؤذن (يقولون أن محمداً رسول الله) فاستغرب المسلمون وذهبوا إلى إمام المسجد، فقال لهم: لم أجد من يؤذن لي فاستأجرت يهودياً، وهو لا يؤمن بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم!!!

ـ أما التحسس من ذكر أمير المؤمنين عليه السلام وأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا نقول بكونه جزءاً، ولا على حساب اسقاط أو اضافة أجزاء ثابتة على الأذان الذي أوحي بواسطة جبرائيل عليه السلام إلى النبي في منامه صلى الله عليه وآله وسلم وهو كيقظته عندنا في أقسام التلقي للوحي!

وعليه، تغنوا بالأذان، وأذّنوه على شكل تواشيح ومجاميع، وضيقوا وأسقطوا، مادام أنه غير مشترع وأنه حلم من بعض الصحابة، ولكن بشرط وحسب قاعدتكم في (سد الذرائع) لا تبالغوا فيه حتى لا تغلوا في المخالفة والمعصية!

ـ فالشيعة قالت بالاجماع أن الأذان هو بوحي من الله ولذلك لا ترى جواز الزيادة والنقصان فيه، وإلاّ اعتبر من تشريع البشر مقابل الله تعالى وهو محرّم عندنا.

وليست المسألة (كالشهادة لأمير المؤمنين عليه السلام) إلا على نحو الاستحباب العام، والولاء لولي الله.

فكان فتحاً مُبيناً بعد عامٍ واحدٍ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً طوعاً وكرهاً بدون عناء ولا قتّال.

فإذا كان لكم في رسول الله أُسوة حسنة ويدّعي كلّ منكما (الشيعة وأهل السنّة) أنكما تعملان بكتاب الله وسنّة رسوله، فاقتدوا بأفعاله يا أولي الألباب.

﴿وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً إن الله غفورٌ رحيم﴾ «الحجرات ١٤».

الشّيعة وأهل السنّة يردّون على الوهابية

أمّا بخصوص التّشنيع والتّهويل والتّكفير الذي تُثيره الوهابيّة ضد أتباع أهل البيت من أجل التوسّل بالنبي وأهل بيته الأئمة الأطهار والتمسّح بأثارهم للتبرّك بها وشدّ الرّحال لزيارة مراقدهم، فهو أمرٌ جديد ما كان يعرفه الشيّعة ولا يعرفه أهل السنّة والجماعة وقد دأب المسلمون من أيام النبي صلى الله عليه وآله وإلى يومنا هذا على التبرك والتوسّل والاحتفال في كل بقاع الدنيا وفي كل بلاد المسلمين قاطبة ولم ينكر ذلك إلاّ الوهّابية الذين ظهروا بمذهبهم الجديد في القرن الرّابع عشر للهجرة.

وكان من الطّبيعي جدّاً أن يخالف الوهابية كلَّ المسلمين في هذه العقيدة ليظهروا بمظهر التجديد ودعاة التوحيد أوّلاً وثانياً ليبرروا كره المسلمين ومعارضتهم لبدعهم[١]:

---

(١) لا زالت قبور الأئمة والأولياء، قائمة في مختلف بلدان العالم الإسلامي، بل وقد ظهرت مراقد أثناء الحفريات مما اضطر حتى الدول العلمانية والكافرة كما في نظام العراق، بحيث عجزت الحكومة وآلاتها من إزالتها بعد ظهور كرامات لهذه القبور مما اضطر الحكومة إلى إلغاء المشروع أو تغيير الطريق!.

=

والحق يقال أنّه لم يُبتَلى المسلمون بمثل ابتلائهم بالوهابيّة في هذا القرن[1] لعدة أسباب منها:

= وكذلك في لبنان وكثير من المناطق الإسلامية في العالم، بل بالعكس نجد أن الناس تنسب هذا المقام إلى ولي أو نبي أو من ينتسب إلى أهل بيت النبوة. وكونه أحد أولياء الله تعالى ومن الصالحين الذين يلتمسون عندهم الوسيلة والبركة، وليقتدوا بهم لما رأوه من عظم الشأن وظهور الكرامات!

حتى يأتي فريق من العلماء ويحققون فينسبون هذا القبر إلى صاحبه الطاهر العابد!

ولم نسمع يوماً في أي مكان أن الناس تعبد هذه القبور لذاتها، بل لأنهم قدوة وأبواب ومن شعائر الله وأهل الله وأهل بيت نبيه صلى الله عليه وآله وسلم!.

(١) ينسب مذهب الوهابية إلى محمد بن عبد الوهاب... بن وهيب التميمي، ولد سنة (١١١١) وتوفي سنة (١٢٠٧) وأخذ في أول عمره عن كثير من علماء مكة والمدينة، وكانوا يتفرسون فيه الضلال والأضلال، وكان والده، يذمه ويحذر الناس منه، وكذا أخوه (سليمان بن عبد الوهاب) أنكر عليه ما أحدثه وألف كتاباً في الرد عليه!.

وكان أول أمره مولعاً بمطالعة أخبار مدعي النبوة، كمسيلمة، وسجاح، والأسود العنسي، وطليحة الأسدي وأمثالهم..! راجع أمراء البلد الحرام للشيخ أحمد بن زيني دحلان، وكشف الارتياب في اتباع محمد عبد الوهاب للسيد محسن الأمين العاملي!

فنشأ منحرفاً مشككاً بل وحاقداً، وهذا كأمثاله مثل (كمال اتاتورك)، وبعض رؤساء الدول الإسلامية، الذين يدعون الحاكمية بالوقت الذي تتلقفهم الماسونية وتحتضنهم المخابرات العالمية، فغذاة العميل البريطاني في العراق (مستر هنفر) كما جاء في مذكراته، بأن هيأه وسانده لتحقيق طموحه بالاستيلاء على الحجاز، وأمثال هؤلاء هم أشد من أسلافهم كالخوارج مثلاً لأن أولئك إنما انطلقوا نتيجة شبهة أما هؤلاء فهم مستخدمون وعملاء لدى أعداء الإسلام!

=

* **أولاً**: أن دعوتهم دعوة باطلة ولكنهم ألبسوها لباس الحق فتراهم يُحرّمون التوسّل ويُعاقبون عليه بدعوى أنّه شرك بالله والله سبحانه يقول: ﴿**فلا تدعوا مع الله أحداً**﴾ «الجن/١٨» وهي بالضبط دعوة الخوارج الذين كفّروا الإمام علي بن أبي طالب وقالوا له: «ليس الحكم لك يا علي إنما الحكم لله».

فقال سلام الله عليه: «إنها كلمة حق يراد بها باطلاً».

ومعنى ذلك أنّ مقولة الخوارج: «إنما الحكم لله» هي في الحقيقة مقولة حقّ ولكنهم أرادوا بها باطلاً عندما أردفوها بقولهم: «ليس الحكم لك يا علي» لأنّه من الثابت أنّ الحكم لله وحده وليس لأحد من النّاس، إلا أن الله سبحانه وتعالى جعل حكمه يظهر على يد رسوله الذي لا ينطق الهوى ومن ثم على يد أوليائه الذين عيّنهم رسول الله صلى الله عليه وآله ليحكموا بين الناس بالحقّ الذي شرّعه لهم.

فالسّلطة التشريعية هي لله وحده وليست لأحد غيره والسّلطة التنفيذية هي للنّاس يتداولونها بينهم وهذا لعمري أمرٌ طبيعي يفهمه كل العقلاء، فكيف غاب عن الصحابة حتى يقولوا: «ليس الحكم لك يا علي».

ويكشف لنا أمير المؤمنين عليه السلام بأنّهم يعرفون الحقّ ولكنهم يريدون الباطل بإثارتهم هذه الشّبهة.

= ومن الطبيعي أن دعوته الضالة لم تستهوِ إلاّ الأعراب المتخلفين كما هو مسيلمة الكذاب ورهطة، في مقابل دعوة الحق لرسول الله وأهل بيته وأتباعه!
لذلك لم تنتشر دعوته بالاقناع بل بالغدر والغزو والتنكيل والمعاهدات المشبوهة ونقض العهود للوصول إلى مآربه الشيطانية!!!

فالله سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز﴿وَإنْ حكمتَ فاحكم بينهم بالقسط﴾ «المائدة/ ٤٢».

﴿إنّ الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين النّاس أن تحكموا بالعدل. . .﴾ «النساء/ ٥٨».

﴿إنّا أنزلنا إليك الكتاب بالحقّ لتحكم بين النّاسِ بما أراك الله. . .﴾ «النساء/ ١٠٥».

﴿يا داود إنّا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق﴾ « صَّ/ ٢٦».

﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتّبع أهواءهم﴾ «المائدة/ ٤٩».

﴿فلا وربّك لا يؤمنون حتّى يُحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً ممّا قضيتَ ويسلِّموا تسليماً﴾ «النساء/ ٦٥».

﴿إنّا أنزلنا التَّوراة فيها هدىً ونورٌ يَحكُمُ بها النَّبيّون. . .﴾ «المائدة/ ٤٤».

ويتضح لنا من هذا البيان ومن خلال الآيات البيّنات من القرآن الكريم بأنّ دعوة الخوارج هي دعوة حق ولكنهم ما أرادوا بها غير الباطل واثارة الفتنة لدى البسطاء من الناس الذين لا يعرفون مقاصد الشريعة.

كذلك فإنّ دعوة الوهابيّة دعوة حق ولكنّهم ما أرادوا بها إلا الباطل ليموّهوا على بسطاء العقول الذين لا يعرفون مقاصد الشّريعة بأنهم وحدهم الموحّدون وغيرهم مشركون لأنهم يدعون مع الله غيره من العباد.

هي دعوة حق عندما يقولون: قال الله تعالى: ﴿وأنّ المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً. . .﴾ «الجن/١٨».

﴿قل إنّما أدعو ربّي ولا أشركُ به أحداً. . .﴾ «الجن/٢٠».

ولكنهم يريدون الباطل عندما يحرّمون التوسّل إليه سبحانه برسوله محمّد صلى الله عليه وآله وسلم أو بالأئمة الأطهار من عترته ويموّهون على الناس بأنّ ذلك شركٌ بالله.

وواضحٌ بأن هناك فرقٌ بين الذين يعتقدون بأن لله أنداداً ينفعون ويضرّون فيجعلون لكلّ شيء آلهة فهذا إله الخير وذاك إله الشرّ وهذا إله السلم وذاك إله الحرب وإله الحب وإله الخمر الخ. . .

وبين الذين يعتقدون بأن الله واحدٌ لا شريك لَه لا رَادَّ لحكمه ولا معقّب له وأن الله سبحانه هو الذي أعطاهم حقّ التوسل إليه بأنبيائه وأوليائه.

هذا هو الفرق بين العقيدتين، الشرك والتوسّل وهذا هو وجه الاتفاق بين الفريقين الخوارج والوهّابية قال الخوارج «لا حكم إلا لله»، وقالت الوهابية «لا توسل إلا بالله» قال الخوارج «لا حكم لك يا علي!».

وقالت الوهابية: «لا وسيلة لك يا محمّد!».

وفي القولين باطلٌ مستورٌ بلباس الحقّ.

وكما أنّ الحكم هو لله وحده ولكن الله سبحانه شرّعه لعباده ليحكموا فيما بينهم بالحق والعدل.

كذلك فإنّ الوسيلة هي لله وحده ولكنّ الله سبحانه شرّعها لعباده

ليتخذوا رُسلَه وأولياءَه وسيلةً إليه وهذا واضحٌ في الشريعة الإسلامية وفي كلّ الشرائع السّابقة أيضاً باعتبار أنّها كلها من مصدر واحدٍ وأن الدّين عند الله الإسلام[1].

---

(١) إن منشأ شبهة الوهابيّة في حكمهم بشرك جميع المسلمين، واستحلال دمائهم وأموالهم كما فعلوا في مكة والمدينة والعراق وغيرها من البلاد الإسلامية، بسبب زعمهم أنهم يعبدون القبور بتعظيمهم لها بالتقبيل، والطواف، والتمسك، وبناء القباب والاسراج وغير ذلك!!!

مع العلم أن هناك أحاديث كثيرة عند الشيعة والسنة في جواز طلب الشفاعة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وغيره في دار الدنيا لأمور الدنيا والآخرة، فعن عبدالله بن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم [ما من رجل يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفعهم الله فيه] صحيح مسلم باب الشفاعة يعلق السيد محسن الأمين (قده): يلزم أن يكون الأربعون من أعراب نجد (الوهابية) حتى تتقبل شفاعتهم!

وعن صحيح مسلم أيضاً عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم [ما من ميت يموت يصلي عليه أمة من الناس يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلاّ شفعوا فيه]!

وهذا على رأي الوهابية شرك، لأنه كما يدّعون مخالف لقوله تعالى ﴿**فلا تدعوا مع الله أحدا**﴾ نعوذ بالله من هذا البهتان العظيم على رسوله الكريم صلى الله عليه وآله!!!

وكثير من الأحاديث بخصوص الشفاعة، والعلماء قالوا بعدم الفرق بين الميت والحي!

كالسمهودي الشافعي، عالم المدنية في كتابه ـ الوفا بأخبار المصطفى ـ ج ٢ ص ٤١٩ كما عن الحاكم، وصحح اسناده عن عمر بن الخطاب، قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال الله يا آدم وكيف عرفت محمّداً ولم أخلقه قال يا رب، لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت فيَّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله. . . قال الله تعالى صدقت يا آدم انه لأحب الخلق إليَّ إذ سألتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك] قال ورواه الطبراني، والبيهقي بإسناد صحيح، في =

فكلّ ما تستدلّ به الوهابيّة من الايات القرآنية ليس له أي مدلول في تحريم التوسّل والدعاء إليه سبحانه بعباده المقرّبين وكل الآيات إنما وردتْ ردّاً على المشركين من الإنس والجنّ الذين كانوا يقولون على الله شططاً وكانوا يعبدون آلهة متعدّدة ظنّاً منهم أنها تقرّبهم إلى الله زلفى.

ولا ينطبق قول الوهابيّة على الأمة المحمّدية التي سمّيت أمة التوحيد وأمة الإخلاص لانتفاء الشرك عنها وهم يرددون صباح مساء سورة الإخلاص والتوحيد: **﴿قل هو الله أحد، الله الصّمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن لّه كفواً أحد﴾** «الإخلاص».

هذا وقد أشار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى هذه الحقيقة بقوله: «إنّني والله ما أخاف عليكم أنْ تشركوا بعدي ولكني أخاف عليكم أن تنافسوا فيها»[1].

= كتابه (دلائل النبوة)، وفي أحاديث أخرى أن آدم ونوح توسلوا بالخمس من أهل العبا.

قوم بهم غفرت خطيئة آدم　　　وهم الوسيلة والنجوم الطلّع

وإلى هذا التوسل أشار الإمام مالك بقوله للمنصور (ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله تعالى) والسامري الحنبلي، والكرماني الحنفي وعلماء الشافعية قائلون بحسن التوسل والتشفع به صلى الله عليه وآله وسلم بعد موته، والإمام الشافعي توسل بأهل البيت عليه السلام بعد موتهم، وتوسل بالإمام أبي حنيفة بعد موته، وأقر أهل المغرب على توسلهم بالإمام مالك بعد موته، وأحمد توسل بالشافعي وهكذا!

هؤلاء هم علماء وفقهاء الإسلام، فمن يكون الأعرابي الجلف.

(١) صحيح البخاري ج ٧ ص ٢٠٧ في باب الحوض وقول الله تعالى **﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾** من كتاب الرقاق.

وهو كما نرى دليل قاطع على انتفاء الشّرك عن الأمة المحمدية، وهو دليل أيضاً بأنّ الأمة ستتنافس على الدنيا وحب الكراسي، فترتدّ على أدبارها وتحكم بغير ما أنزل الله سبحانه وتعالى وهو ما يجرّ إلى الظلم وإلى الفسق وإلى الكفر ، ولكنه لا يجر أبداً إلى الشّرك.

وقد أقرّ ربّ العزّة والجلالة هذه الحقيقة في كتابه العزيز بقوله تعالى في سورة المائدة وهي آخر ما نزل من القرآن:

﴿ومن لّم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ «المائدة/ ٤٤».

﴿ومن لّم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظَّالمون﴾ «المائدة/ ٤٥».

﴿ومن لّم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾ «المائدة/ ٤٧».

وهذا ما وقع في الأمة الإسلامية بعد نبيّها وحتى يومنا هذا إذ أدخلوا في الشريعة ما ليس منها من الأحكام الوضعية البشرية باجتهاداتهم الخاصّة وبدّلوا بذلك أحكام الله، والله سبحانه لا يحكم عليهم بأنهم مشركون بل يقول أنهم كافرون وظالمون وفاسقون.

وكلّنا يعلم بأن الرؤساء والملوك في الدول الإسلامية والعربيّة قد يحكمون بما يخالف كتاب الله ومع ذلك لا نقول عنهم بأنّهم مشركين، لأنهم يؤمنون بالله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله.

بل اننا نتعدّى المسلمين إلى غيرهم من اليهود ومن النّصارى الذين يقيمون التوراة والإنجيل لنقول بأنهم غير مشركين إذا وحدوا الله

ولم يجعلوا له ولداً.

قال سبحانه وتعالى:

﴿وكيف يحكّمونك وعندهم التَّوراةُ فيها حُكمُ الله ثم يتولّون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين﴾ «المائدة/ ٤٣».

﴿وليحكُمْ أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لّم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾ «المائدة/ ٤٧».

فالأمرُ واضحٌ ولا يتطلّب مزيداًمن التوضيح.

* **ثانياً**: احتلال الوهابيّة للأماكن المقدّسة عند كل المسلمين على اختلاف ألوانهم ولغاتهم وجنسيّاتهم، فمكة المكرّمة فيها بيت الله الحرام الذي يحجّ إليه المسلمون في كلّ عام لإنجاز فريضة تعدّ من أركان الإسلام، والمسلمون يتلهفون بشوق لا مثيل له للطواف بالبيت العتيق والوقوف بالمشعر الحرام والسّعي بين الصفا والمروة والوقوف بعرفة وكل هذه الأماكن تعيش في وجدان كلّ مسلم ويتمنى زيارتها ولو مرّة في حياته.

والمدينة المنوّرة فيها المسجد النبوي الشريف الذي حوى جثمان الرّسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وفيها من الآثار التي يقدّسها المسلمون الشيء الكثير، من محراب الصلاة ومكان المنبر والروضة المطهّرة وضريح أبي بكر وعمر وفيها أيضاً البقيع تلك المقبرة التي حوت قبور الصحّابة وأزواج النبيّ ومراقد أهل البيت وفيها أيضاً المزارات المعظمّة عند المسلمين ومنها جبل أحد ومقبرة الشهداء هناك والمساجد المأثورة كمسجد القبلتين ومسجد قباء.

وقد استغلّ الوهّابيون هذه الشعائر أيّما استغلال، مادّيا معنويا، وروّجوا لمذهبهم الجديد بشتى الوسائل بالترّغيب والتّرهيب وخصوصا في الموسم الذي يجمع ملايين الحجيج فتعقد المؤتمرات والندوات ويعمل عملاؤهم على نشر الوهابيّة من خلال الاتصال المباشر بشتى الطوائف والفرق والأفراد والجماعات. أضف إلى كل ذلك وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية وهي قوية جدّاً عندهم ولها تأثير كبير في نفوس الحجيج الذين تركوا النقاش والجدال وتفرّغوا لعبادة الله وحده.

* **ثالثاً**: الثّراء الكبير من العائدات النفطية وكثرة آبار البترول ومناجم الذّهب والحركة الاقتصادية المستمرة بدون توقّف من الزوار في موسم الحج وفي العمرة في سائر أيام السّنة.

كل ذلك ساعد الوهابيّة على الانتشار في أرجاء العالم فقد حصّصوا مبالغ طائلة إلى أئمّة المساجد الذين استمالوهم وتألّفوا قلوبهم بالمال في كلّ بقاع الدنيا وقد شيّدوا لهم في كل عاصمة من العواصم العربية والإسلامية مسجداً أو عدّة مساجد، تعمل على نشر المذهب الجديد وأنشأوا مدارس وكليات وجامعات يتخرّج منها المبشرون للوهابيّة والذين ينتشرون في كل بقاع الدّنيا وهم يعملون ليلاً ونهاراً على تحويل النّاس إلى المذهب الجديد.

كما أنشأوا مطابع متعددة ودور كثيرة للنّشر والتوزيع وموّلوا أكثر من مائة صحيفة ومجلّة ونشرة يومية وأسبوعيّة وشهرية.

وأغدقوا ملايين الدولارات على بعض المرتزقة من الكتّاب

والمؤلّفين ليكتبوا لهم ما يريدون في تأييد مذهبهم وتكفير من يخالفهم.

كما طبعوا ملايين من المصاحف وبعض الكتب التي تؤيّد مذهبهم ووزّعوها في أنحاء المعمورة مجاناً كهدية وقد وصل بهم الأمر بعد نفور النّاس منهم عقيب حرب الخليج أن أصبحوا يوزّعون الحليب والرّطب على الزوّار في شهر رمضان ثم يهدون إليهم بالمطار معلبات كبيرة من ماء زمزم مكتوب عليها هدية خادم الحرمين، بينما كانوا من قبل يمنعون الحجيج من حمل ماء زمزم داخل الطائرة.

* **رابعاً**: العلاقات الدولية التي امتازت بها الوهّابية من خلال ارتباطها الوثيق بالولايات المتحدة الأمريكية وما لهذه الأخيرة من تأثير مباشر وغير مباشر على كلّ الدول العربية والإسلامية بل وعلى سائر العالم بعد سقوط الإتحاد السوفياتي.

ولا يخفى على أحد أنّ مصالح الولايات المتحدة الأمريكية محفوظة ومضمونة في الشرق ودول الخليج من طرف الوهّابية وخصوصاً بعد سقوط الشاه في ايران وقيام الجمهورية الإسلامية وتهديدها بضرب كل المصالح الأمريكية في المنطقة.

كما لا يخفى على ذوي العقول أنّ الوهّابيّة هي العين اليُمنى لأمريكا كما أنّ اسرائيل هي عينها اليُسرى ولكنّها «أي أمريكا» تأخذ من الوهابيّة كل شيء وتعطي لإسرائيل كل شيء.

تأخذ من الوهابيّة لأنّها تصرف جهوداً كبيرة للحفاظ عليها وضمان عرشها الملكي داخل الأسرة المعروفة وتمويل الطاقات الهائلة

من المخابرات لبقاء النظام الوهابيّ والقضاء على كلّ من يُناوئه أو يعاديه.

وتعطي لإسرائيل، لضمان الأصوات الانتخابية التي يسيطر عليها اللوبي اليهودي داخل الولايات المتحدة الأمريكية وفي كل الدول الأوروبية أيضاً.

وهذا بحث آخر يتطلب كتاباً مستقلاً، ولكن الذي يهمّنا في هذا البحث أنّ الوهابيّة ومن خلال ارتباطها بأمريكا أصبحت مُهابة لدى الدول العربية والإسلامية في كل أنحاء العالم، فبينما تُغلق المساجد أبوابها بعد الصّلاة في بعض الدّول العربية والإسلاميّة خوفاً من بعض المشاغبين الذين يستغلّونها لنشر أفكارهم، فإنها تُفتحُ على مصراعيها لدعاة الوهابيّة الذين يُلقون فيها ما شاؤوا من المحاضرات التي تروّج لأفكارهم.

وقد اكتسبت الوهابيّة هذه الشرعيّة بما تُغدقه على تلك الدّول من الهبات والمساعدات والقروض وتمويل بعض المشاريع الإنمائية، فكيف لا تخضع تلك الدول الفقيرة لشروط الوهابيّة التي قد لا تتعدّى نشر المذهب أو منع الكتب والمجلّات التي تفضح مخططاتهم.

وهذا ما حدث حتّى في فرنسا الدولة القويّة المتحضرة والتي تزعم أنها تُدافع عن الحرّيات وحقوق الإنسان وحرّية التّعبير وهي التي دافعتْ عن سلمان رشدي وتبنّتْ كتابه، نراها في نفس الوقت تمنع كتاب «تاريخ آل سعود» الذي يفضح حقيقة الوهابيّة وتجمعه من المكتبات العمومية لأنّ المملكة السعودية أنقذت فرنسا من الإنهيار الاقتصادي الذي مُنيتْ به سنة أربع وثمانين وتسعمائة وألف فقدّمتْ

لها سبعمائة مليون دولار وقيل أكثر من ذلك بكثير وأصبح في باريس وحدها مئات المساجد التي تروّج للوهابيّة بينما يُغلقُ مركز أهل البيت بدعوى أنه يتبنّى التزمّت والإرهاب وأصبح البوليس الفرنسي يُلاحق كل من ينتمي لخط أهل البيت بينما تترعرع الوهابيّة وأتباعها بعزّ ودلال.

أضف إلى ذلك رابطة العالم الإسلامي التي أسّستها المملكة السّعودية والتي تجمع كل الرّؤساء والملوك العرب والمسلمين وما لها من نفوذ وتأثير في سائر دول العالم هذا غيض من فيض وهو ظاهر، أمّا ما يجري وراء الكواليس فالله وحده يعرف خطره، ولذلك أكرر بأن المسلمين ما رأوا بلاءً أشد من الوهابيّة.

شُبهة الخوارج في الماضي وشبهة الوهابية في الحاضر واحدة

لقد أثار الخوارج في الماضي شبهة الحاكميّة لله وحدَه وأثار الوهابيّة في الحاضر شبهة العبودية لله وحده وليس هناك مجالٌ للطعن في دعوتهما إذا كانت مجرّدة وبدون قرينة.

أمّا إذا كانت الدعوة مقرونة بشبهة سياسيّة أو مصلحية لمخالفة الغير في ما يعتقد، عند ذلك تصبح الدّعوة باطلة مزيّفة بلباس الحق.

أمّا دعوة الخوارج فقد قُبرتْ من أوّل يوم لأنّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فضحها وكشف عن حقيقتها المزيّفة بقولته الحكيمة: «إنها كلمة حق يراد بها باطل».

ثم أنّ الإمام سلام الله عليه شمّر عن ساعديه وحاربهم حرباً لا هوادة فيها امتثالاً لوصيّة أخيه وابن عمّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقضى عليهم وعلى دعوتهم الباطلة إلى يوم يبعثون..

وأمّا دعوةُ الوهابيّة فقد قويت واستفحلتْ وانتشرت بمساعدة

الإنكليز أولاً ثم بتأييد أمريكا والغرب ثانياً وذلك لحاجة في نفس يعقوب يعرفها المحلّلون والمثقّفون من الأمّة مع العلم بأنّ أمريكا بصفة خاصّة والغرب بصفة عامّة يحاربون الإسلام ويعتبرونه الخطر الوحيد ضد معتقداتهم ومصالحهم[1] وقد رأيناهم كيف تعاضدوا وتعاونوا على محاربة الجمهورية الإسلامية وحاولوا ولا يزالوا يحاولون القضاء عليها بشتّى الوسائل العملية والدعائية، وقد صرّح بعض من رؤسائهم بأنهم أعطوا كل الأسلحة الفتّاكة وكل الخبرات إلى عميلهم صدام للقضاء عليها، وعندما باؤوا بالفشل وقويت المعارضة

---

(١) ويسمونه الخطر الأخضر، القادم من الشرق أي الوجود الإسلامي، فمن أيام الغزو الاستعماري والنهب للبلاد الإسلامية مستمر من قبل انكلترا، وفرنسا، وإيطاليا، وأمريكا، وغيرها..

ثم ولدت أفاعي تسمت بأسماء أخرى مثل: الانتداب، والحماية، والوصاية وكل هذا لا يكفي والظاهر الآن ان هذه مرحلة الحضانة.

وما تبعه من الهيئات العالمية لحماية مصالح الدول الكبرى:

١ ـ عصبة الأمم المتحدة التي نشأت عقب الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨ م).

٢ ـ هيئة الأمم المتحدة عقب الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥).

٣ ـ حلف شمال الأطلنطي انشىء عام (١٩٤٩) وغيرها حتى حلف بغداد وأخيراً لتتبلور السياسة الأمريكية، بعدما كانت ولا زالت تطالعك بتمثال الحرية، لكن الحرية يجب أن تكون على الطريقة الأمريكية التي أصبحت أداة بيد الصهيونية العالمية!

وتسعى لإرضاء الصهاينة ولو علىٰ حساب إذلال وتدمير البنيات التحتية، والاقتصادية والحضارية للعرب، ونهب خيراتهم وجعلها في خدمة إسرائيل اللقيطة!

ونحن نرى اليوم عملية التسابق بين الكثير من الأنظمة العربية من يكون السبّاق للفوز بالرضا الاسرائيلي، وكأنهم اشتبهوا في تفسير ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾.

لعراقية في الداخل والخارج خاف هؤلاء من أن تتكرّر تجربة الإمام الخميني داخل العراق الذي يمثل الشّيعة أكثر من ثلثيه وأن تلتحم ثورة العراق بالثورة الإيرانية، عند ذلك لعبوا لعبتهم القذرة بمسرحية احتلال الكويت وحرب الخليج لا للقضاء على النظام الصدّامي كما يزعمون ولكن للقضاء على الشعب العراقي الذي يمثل الشيعة أكثر من سبعين بالمائة من سكّانه وهو ما وقع فعلاً فالكويت رجعتْ أفضل مما كانت والنظام الصدّامي أقوى من ذي قبل ولكن الشعب العراقي المظلوم هو الذي دُمّر تدميراً كلياً فأصبح يبيع أثاثه ولباسه ليشتري قوت يومه.

وخرجت الوهابيّة منتصرة في كل ذلك على كل الشّيعة في العالم خصوصاً وأنّ المخطط عمل على إذلال الشّيعة وتهجيرهم إلى المخيمات السّعودية ليلقوا هناك أصناف التعذيب والتقتيل والإهانات.

وصدق الله العلي العظيم إذ يقول: ﴿**ولن ترضى عنك اليهود ولا النّصارى حتّى تتّبع ملّتهم..**﴾ «البقرة/ ١٢٠».

وإنّنا نرى اليوم اليهود والنّصارى والمتمثّلين بأمريكا والدول الغربية يُلقون بالمودة إلى الوهابية أو أنهم راضون عنها لأنها ألقتْ إليهم بالمودّة وهم في نفس الوقت ـ ناقمون ساخطون على الشّيعة في لبنان وفي العراق وفي إيران بل وحتّى في فرنسا فهم يسخّرون كل وسائل الإعلام الدعائية للتشويه بهم والتشنيع عليهم واتّهامهم بالإرهاب والتعصّب والأصولية[١].

---

(١) طبعاً، هم لا يريدون بالأصولية الرجوع لأصل الإسلام كما يفهمه المسلمون فذلك مزيّة ولكنّهم يفهمون منها القرون الوسطى عهد الظلم والظلام عندهم يعني التخلّف والجهل والاستبداد بالرأي.

وقد نجحتْ وسائل الإعلام الدعائية المموّلة من الوهابية في تفريق الشّيعة وضرب بعضهم ببعض والتشكيك في معتقداتهم والتركيز على بعض الأمور السلبيّة التي يقوم بها بعض الجهلة في عاشوراء، ثم الطعن الصريح على كبار المراجع والتشكيك في عدالتهم ونزاهتهم واتهامهم بأنّهم تركوا أموال المسلمين لأولادهم يتصرفون فيها تصرّف السفهاء.

وقد نجحت وسائل الإعلام الدعائية في شراء ضمائر لعناصر شيعيّة بارزة ليحملوا راية الضّلال والإضلال ولم يمضِ زمان على الشيعة أخطر من هذا الزمان، يجب ان يتدارك الشّيعة المخلصون الأمور بعين البصيرة فإنهم مهدّدون، لكن صبرهم وإخلاصهم يبشر بالخير. قال تعالىٰ: ﴿**وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إنَّ الله مع الصّابرين**﴾ «الأنفال/ ٤٦».

وكما قدّمنا بأنّ شبهة الخوارج قامت على مقولة الحاكمية لله وحده فإنّ شبهة الوهابيّة قامتْ هي الأخرى على مقولة العبودية لله وحده ورغم أنّ المقولتين متشابهتين إلاّ أنّ مقولة الوهابيّة أقوى من مقولة الخوارج الذين اعتمدوا على الحكم، وقد مارسه قبل عليّ بن أبي طالب أبو بكر وعمر وعثمان وحكموا بما شاؤوا من أحكام تخالف في مجموعها نصوص القرآن والسنّة ولم يعارضهم أحد أو على الأقل لم يسجّل لنا التاريخ معارضة تستحق الذّكر. وقد ألف النّاس أحكام الخلفاء وقبلوها على أنّها امتداد لأحكام الله تعالى متأوّلين ما شاء لهم التأويل ولكلّ ذلك لم تجد مقولتهم تأثيراً في نفوس العامّة من المسلمين الذين تبنّوا نظريّة السّقيفة القائلة باختيار

النّاس لمن يحكمهم ولا يؤمنون باختيار الله.

ثم أنّ الآيات التي يستدلون بها لتأييد نظريّة السّقيفة وتسمّى آيات الشّورى وكذلك قوله ﴿**أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأولي الأمر منكم**﴾ «النساء/ ٥٩» يستدلّون بها على وجوب طاعة الحاكم الذي هو من البشر.

كما أن الأحاديث النبويّة التي يستدلّون بها على وجوب السّمع والطاعة للحاكم كثيرة جداً.

ولكل ذلك فإنّ مقولة الخوارج وشبهتهم التي ألقوها محكومٌ عليها بالإعدام عند المسلمين حتّى ولو لم يفضحها علي بن أبي طالب لأنّها غريبة عليهم وعلى مفهوم الحكم عندهم. وبالتّالي لن تلْقَ رواجاً أبداً خصوصاً عند الطّامعين بالحكم من الأمويّين والعبّاسيين وما أكثرهم.

أمّا شبهة الوهّابية فقد اعتمدتْ على مقولة العبوديّة لله وحده، فمن من المسلمين من لا يرغب بل لا يعتقد بوجوب ذلك وهم يقرأون دائماً: قول الله جلّ وعلا: ﴿**وما أُمروا إلاّ ليعبدُوا الله مُخلصين له الدّين حُنفاء ويقيموا الصّلاة ويؤتوا الزّكاة وذلك دين القيّمة**﴾ «البيّنة/ ٥».

وقد استغلّت الوهّابية تصرّف بعض الجاهليين في عصور الإنحطاط التي كثرت فيها الشعوذات والمشعوذين والدجّالين الذين غذّاهم الاستعمار وجعلتْ منهم الحجّة القاطعة على تكفير المسلمين واتّهامهم بالشرك واستباحة قتلهم في حروب دامية وهجومات متكررة على أماكن آمنة استولت عليها بالقوّة والقهر.

ونحن إذَا تأمّلنا في حجّتهم التي يعتمدون عليها وهي قوله سبحانه وتعالى: **﴿وأنّ المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً﴾** «الجن/ ١٨». لوجدنا أنها تشبه مقولة الخوارج بأن الحاكمية لله وحده. فالله سبحانه وتعالى يقول: **﴿ما لهم مّن دونه من وليٍّ ولا يشرك في حُكمِهِ أحداً﴾** «الكهف/ ٢٦».

ورغم أنّ الآية الكريمة تفيد بأنّ الله لا يُشركُ في حكمه أحداً غير أن الآيات العديدة الأخرى تعطي حقّ الحاكمية للإنسان وقد ذكرنا البعض منها وفسّرنا بأنّه لا تناقُضَ ولا اختلاف بين الآيات وإنّما المقصود بأن الحاكمية التشريعيّة لله وحده وليست لأحدٍ غيره ولو كان هذا الغير نبي أو رسول وقد أوضح الله ذلك بقوله في رسوله الكريم: **﴿ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثمَّ لقطعنا منه الوتين * فما منكم مّن أحدٍ عنه حاجزين﴾** «الحاقة/ ٤٤ ـ ٤٧».

أمّا بالنسبة للحاكمية التنفيذية فقد جعلها الله لأنبيائه ورسله والخلفاء من أوليائه والأئمة الذين اصطفاهم وبهذا البيان والتفسير يستقيم معنى الآيات.

كذلك بالنّسبة للآية الكريمة التي تمنع على الإنسان أنْ يدعوَ مع الله أحداً هناك آياتٌ أخرى عديدة تعطي للإنسان حقّ الوسيلة والتوسّل إليه سبحانه بأنبيائه ورسله وأوليائه.

ولا تناقض ولا اختلاف بين الآيات وإنّما المقصود في الأولى هو العبودية والربوبيّة، فلا تكون إلاّ لله وحده، أمّا بالنّسبة للآيات الأخرى فقد أعطى الله حقّ الوسيلة والشفاعة لديه لرسله وأوليائه.

ولتوضيح هذه المسألة الغامضة عند الوهابيّة وعند بعض

المسلمين الذين تأثّروا بالوهّابية لا بأس بذكر محاورة طريفة دارت بيني وبين أحد علماء الوهابيّة ولما فيها من الفوائد أذكرها كما وقعتْ:

في سنة ثلاثة وثمانين وتسعمائة وألف كنتُ أحضّر أطروحة عن حقوق المرأة في الإسلام ومن خلال مطالعاتي لبعض المجلاّت فوجئت بأن المرأة المسلمة في جزر القمور هي القوّامة على الرّجل فهي التي تبني بيتها وتجهّزه وإذا تزوجت تأتي بزوجها إلى منزلها وإذا طلّقته طردته من بيتها، وهي التي تشتغل في الأسواق ودور الزوج يقتصر على الصيد في البحر أو العمل في الحقل وجلب البضاعة إليها فتتولّى بنفسها عملية البيع والشراء، ففي جزر القمور النّساء قوّامات على الرّجال ولله في خلقه شؤون.

سافرت إلى هناك في رحلة شاقةٍ وأنا على علم بأنّ فرنسا أعطت استقلال ثلاثة من تلك الجزر واحتفظت بجزيرة حتّى الآن، وأن القمور كدولة فتيّة إنخرطت في جامعة الدول العربية التي قامت بمساعدتها ومن ضمن تلك المساعدات أرسلتْ بعثات تعليمية من أساتذة تونسيين وغيرهم لتعليم اللغة العربية لطلبة العلوم الذين هم في معظمهم عرب من أصل يمني يقال عنهم الحضارمة وفيهم سادة من النسل الشريف يتكلمون العربية إلى جانب الفرنسية واللغة المحلية. ولا يعرفون غير مذهب الشافعي.

التقيت في المطار بأحد الأساتذة التونسيين الذي عرفته قبل عشرين عاماً في إحدى ملتقيات الشباب، عرفني وعرفتُه دعاني للنزول في بيته لأنّ زوجته وأولاده سافروا إلى تونس وبقي وحده، قبلتُ

دعوته ونزلتُ عنده.

خلال إقامتي تعرفتُ على السيّد مفتي الجمهورية وقاضي القضاة وتحادثتُ معهم في مواضيع متعدّدة واطمأنّوا إليّ وأحبّوني لمّا عرفوا أنّي من أتباع أهل البيت، واشتكوا إليّ ما يلقونه من جفاء واحتقار من علماء الوهابيةّ الذين أخذوا يتوافدون عليهم بأعداد كبيرة وبالأموال والكتب وقد نجحوا في تحويل أغلبية الشبّان إلى صفّهم لأنهم فقراء يعيشون تحت الصفر فأصبح الأولاد ينقمون على آبائهم الذين كانوا بالأمس القريب يحترمونهم ويقبّلون أيديهم ورؤوسهم ويقومون احتراما لهم إذا مرّرا بهم، وهي آدابٌ ورثوها عن آبائهم جيلاً بعد جيل، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقّر كبيرنا ويعرف لعالمنا حقّه» وقد قال الشاعر:

قـف للمعلّـم ووافـه التّبجيـلا كـاد المعلّـم أن يكـون رسـولاً

غير أنّ علماء الوهابيّة علماء السّوء كما قال عندما جاؤوا إلينا ما كان همّهم إلاّ محاربة هذه العادات الطيّبة والآداب النّبيلة التي تربّينا عليها فكان الرّجل منّا وهو متزوج وله عدة أولاد يقبّل رأس والده ويديه ويطلب رضاه ودعاءه.

أمّا الآن فإنّ أبناءنا أصبحوا يُحاربوننا وينقمون علينا ويتّهموننا بالشّرك لأن تقبيل الأيدي والإنحناء أمام أي شخص هو بمثابة السّجود لغير الله وهو محض الشرك وأصبحت هناك جفوة ونفور بين الآباء والأبناء من يوم دخول هؤلاء إلى بلادنا فلا حول ولا قوة إلا بالله.

دعاني مفتي الجمهورية ذات يوم لمصاحبته لتدشين مسجد جديد تمّ بناؤه في جزيرة «موروني» فصاحبته إلى جانب قاضي القضاة واسمه

عبد القادر الجيلاني، ولما وصلنا إلى المسجد وكان مليئا بالضيوف وبالنّاس قدّمني مفتي الجمهورية إليهم جميعاً.

وطلب منّي إلقاء كلمة بالمناسبة فنزلتُ عند رغبته واستجبتُ شاكراً على هذا التبجيل.

وألقيتُ كلمةَ ركّزتُ فيها على مودّة أهل البيت وعظيم شأنهم عند الله تعالى ووصية الرسول بهم وأنّ حبّهم إيمان وبغضهم نفاق كما بيّنتُ فضلهم وفضائلهم وخدماتهم الجليلة التي قدّموها للإسلام والمسلمين وختمتُ الكلمة بالتعريج على سعة علومهم التي ملأت الدنيا واستفاد منها علماء الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها وقلتُ: لولا أهل البيت عليهم السلام لما عرف النّاس معالم دينهم.

وقد استدعى السيد مفتي الجمهورية أحد العلماء عندهم وأوقفه إلى جانبي فكان يترجم كلّ فقرة أقولها.

بعد نهاية الكلمة انهال عليّ الناس يقبلونني ويسلّمون عليّ ويترحّمون على والديَّ.

وغاظ ذلك أحد علماء الوهابيّة عرفته من لحيته السلفية ومن لباسه السعودي إذ تقدّم إليّ مصافحاً وهو يقول:

ـ اتّق الله يا شيخ نحن نحب أهل البيت ولكنّك بالغتَ كثيراً في حبّهم وتقديسهم..

قلتُ: أسأل الله سبحانه أن يميتني على ذلك.

قال: أنتَ من ضيوفي إن شاء الله!

قلتُ تهرّباً: أنا من ضيوف السيد مفتي الجمهورية قال: غداً إذن..

قلت: غداً أنا ضيف عند الأساتذة التونسيين.

قال: كلّهم أصدقائي وسنلتقي عندهم.

محاورة مع أحد علماء الوهابيّة

أعلمني صديقي الأستاذ التونسي بأنّ صديقه السّعودي سيأتي في الغد لإجراء محاورة علمية معي وقال بأنه استدعى لذلك مجموعة من الأساتذة ليشاركوا في الحوار ليستفيد الجميع وقال بأنّه هيأ الغداء فاليوم هو يوم عطلة الأسبوع وعندنا الوقت الكافي وكم نحن مشتاقون لمثل هذه المجالس ثم أضاف: ونحن نريدك منتصراً فلا تخجّلنا، لأنّ هذا السّعودي «ماكِلْنَا بقرعة»[١].

وفي الساعة الموعودة توافد على البيت الأساتذة ومعهم العالم الوهّابي وكان مجموعهم سبعة أضفُ إليهم صاحب البيت وشخصي الحقير فصار المجلس يضمّ تسعة أشخاص.

بعد أكل سريع ودردشة أثناء الأكل قد لا يخلو منها مجلس بدأنا الحوار وكان موضوعه المطروح التوسّل والوساطة بين العبد وربّه.

---

(١) هو تعبير شائع عند العامة في تونس ومعناه يتكلم وحده ولا يترك لنا فرصة للكلام.

كنتُ من القائلين بالتوسّل إليه سبحانه وتعالى بأنبيائه ورسله وأوليائه الصّالحين وأن الإنسان قد يحجب دعاءه كثرة الذنوب والإنشغال بالدنيا فيستشفع إلى الله سبحانه بأوليائه وأحبابه .

قال: هذا شرك وأن الله لا يغفر أن يُشرك به. .

قلتُ: وما دليلك على أنه شركٌ بالله؟

قال: ﴿**وأنّ المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً**﴾، «الجن/ ١٨»، هذه آية صريحة في تحريم الدعاء لغير الله فمن دعا غير الله فقد جعل له شريكاً ينفع ويضرّ، والنّافع والضّار هو الله وحده.

إستحسن بعض الحاضرين كلامه وأراد تأييده فاستوقفه صاحب البيت قائلاً:

مهلاً، مهلاً، لقد دعوتكم لا للجدال ولا للمباراة وإنّما دعوتكم للإستماع لهذين العالمين، فهذا التونسي عرفته من قديم ولكنّي فوجئتُ بأنه شيعي يتبع أهل البيت، وهذا صديقنا السعودي وكلّكم تعرفونه وتعرفون عقيدته، فما علينا إلاّ الاستماع إليهما وإلى ما يدليان به من حجج إلى أن يفرغا من بحثهما ويستوفيا ما عندهما بعد ذلك نفسحُ المجال للنقاش ليشارك فيه كل من أراد.

شكرناه على هذا الأسلوب وهذا اللطف، وواصلنا الحديث فقلتُ:

أنا أوافقك على أنّ الله سبحانه هو وحده النّافع والضارّ ولا أحد غيره ولا يخالفك أحدٌ من المسلمين في ذلك، إنّما اختلافنا في التوسّل فالذي يتوسّل برسول الله مثلاً يعرف أنّ محمّداً لا ينفع ولا

يضرّ ولكنّ دعاءه مستجاب عند الله فإذا سأل محمدٌ ربّه قائلاً: اللهم ارحم هذا العبد، أو اغفر لهذا العبد أو اغني هذا العبد فإنّ الله سبحانه يستجيبُ له والرّوايات الصحيحة الواردة في هذا المعنى كثيرة جداً منها أنّ أحد الصحابة كان أعمى فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وطلب منه أن يدعو الله له ليفتح بصره فأمره الرسول بأن يتوضّأ ويصلّي لله ركعتين ثم يقول اللهم إني أتوسّل إليك بحبيبك محمّد إلاّ ما فتحت بصري ففتح الله بصرَهُ.

وكذلك ثعلبة ذلك الصحابي الفقير المعدوم الذي جاء للنبي وطلب منه أن يسأل الله له الغنى لأنه يحبّ أن يتصدّق ويكون من المحسنين وسأل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم ربّهُ فاستجاب له وأغنى ثعلبة فأصبح من الأغنياء حتّى ضاقت بأنعامه أرجاء المدينة فلم يعد يحضر الصّلاة، ومنع إعطاء الزكاة والقصة معروفة ومشهورة عند النّاس كافة.

كذلك كان النبي يوماً يصفُ لأصحابه نعيم الجنّة وما أعدّه الله سبحانه لسكّانها فقام عكاشة فقال: يا رسول الله أدعو الله أن يجعلني منهم.

فقال رسول الله: اللهمّ اجعله منهم، فقام آخر فقال: وأنا يا رسول الله فقال: لقد سبقك بها عكاشة.

ففي الرّوايات الثلاثة دليل قاطع على أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جعل نفسه واسطة بين الله والعباد.

قاطعني الوهابيّ بقوله:

ـ أنا أستدل عليه بالقرآن الكريم وهو يستدل عليَّ بالأحاديث

الضعيفة التي لا تُسمن ولا تغني من جوع قلتُ: القرآن الكريم يقول: ﴿يا أيُّها الّذين آمنوا اتَّقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة﴾ «المائدة/ ٣٥».

قال: الوسيلة هي العمل الصالح!

قلتُ: آيات العمل الصّالح كثيرة ومحكمة ففيها يقول سبحانه: ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ «البقرة/ ٢٥» ولكن في هذه الآية قال: ﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾ «المائدة/ ٣٥» وفي آية أخرى قال: ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربّهم الوسيلة﴾ «الإسراء/ ٥٧».

وهانين الآيتين تفيد ان البحث عن وسيلة يُتوسل بها إليه سبحانه وذلك مع التقوى والعمل الصالح ألم ترَ أن الله قال: ﴿يا أيّها الّذين آمنوا اتّقوا الله﴾ «المائدة/ ٢٧٨» فقدّم الإيمان والتقوى على ابتغاء الوسيلة؟.

قال: أكثر العلماء يُفسّرون الوسيلة بالعمل الصالح قلتُ: دعنا من التفسير وأقوال العلماء. ما رأيك لو أثبتُ لك الوساطة من القرآن نفسه؟.

قال: مستحيل إلاّ أن يكون قرآن لا نعرفُه!

قلتُ: أعرف ماذا تقصد، سامحك الله ولكنّي سوف أثبتُ ذلك من القرآن الذي نعرفه جميعاً، ثم قرأتُ ﴿قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنّا كنّا خاطئين * قال سوف أستغفرُ لكم ربّي إنّه هو الغفور الرّحيم﴾ «يوسف/٩٧ ـ ٩٨» فلماذا لم يقُل سيدنا يعقوب نبي الله لأولاده: استغفروا الله وحدكم ولا تجعلوني وسيطاً بينكم وبين خالقكم بلْ أقرّهم على تلك الوساطة فقال: سوف أستغفر لكم ربّي فجعل نفسه بذلك وسيلة إلى الله لأولاده؟!

أحسّ الوهّابي بحرج لدفع هذه الآيات البيّنات التي لا مجال للتشكيك فيها ولا لتأويلها فقال: ما لنا وليعقوب وهو من بني إسرائيل وقد نُسخت شريعته بشريعة الإسلام.

قلتُ: سأعطيك الدليل من شريعة الإسلام من شريعة نبي الإسلام محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: نستمع إليك.

فقلت: **﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم* ولو أنّهم إذ ظّلمُوا أنفسهم جاءُوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرّسول لوجدوا الله توّاباً رّحيماً﴾** «النساء/ ٦٤».

فلماذا يأمرهم الله بالمجيء إلى الرّسول ليستغفروا عنده ثم يستغفر لهم الرّسول، فهذا دليل قاطع على أنّه صلّى الله عليه وآله وسلم هو واسطتهم إلى الله ولا يغفر الله لهم إلاّ به.

فقال الحاضرون: هذا دليل ما بعده دليل، وأحسّ الوهابيّ بالهزيمة فاستطرد يقول:

ـ ذاك صحيح عندما كان حيّ ولكن الرّجال مات منذ أربعة عشر قرناً.

قلتُ مُستغرباً: كيف تقول عن رسول الله رجّال مات؟! رسول الله حيّ وليس بميّتٍ.

فضحك من قولي مستهزءاً قائلاً: القرآن قال له: **﴿إنّك ميّتٌ وإنّهم مّيّتون﴾** «الزمر/ ٣٠».

قلتُ: والقرآن نفسه يقول: **﴿ولا تحسبنّ الّذين قتلوا في سبيل**

الله أمواتاً بل أحياء عند ربّهم يُرزقون﴾ «آل عمران/ ١٦٩» وقال: **﴿ولا تقولوا لمن يقتلُ في سبيل الله أمواتٌ بل أحياءٌ ولكن لاّ تشعرون﴾** «البقرة/ ١٥٤».

قال: هذه الآيات تتكلّم عنِ الشهداء الذين يقتلون في سبيل الله ولا علاقة لها بمحمّد.

قلتُ: سبحان الله ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله أأنْت تنزلُ بمرتبة النبيّ محمد حبيب الله إلى درجة هي أقل من رتبة الشّهيد، وكأنّك تريد أن تقول بأن أحمد بن حنبل مات شهيداً فهو حيّ عند ربّه يُرزق ورسول الله ميّتٌ كسائر الأموات؟!

قال: هذا ما يقوله القرآن الكريم.

قلتُ: الحمد لله أن كشف لنا عن هويّتكم وعرّفنا على حقيقتكم بألسنتكم وقد حاولتم جهودكم طمس آثار الرسول ووصل الأمر بكم ان حاولتم إعفاء قبره كما أعفيتم البيت الذي وُلد فيه.

وهنا تدخَّل صاحب البيت ليقول لي: لا نخرج عن دائرة القرآن والسنّة وهذا ما اتفقنا عليه.

اعتذرتُ وقلتُ: المهمّ أنّ صاحبنا اعترف بالوسيلة في حياة النبي ونفاها بعد وفاته فقال الحاضرون جميعاً: وهو كذلك وسألوه من جديد: أنتَ وافقتَ بأنّ الوساطة كانت جائزة في حياة النبيّ؟

أجاب: كانتْ جائزة في حياته وهي غير جائزة الآن بعد وفاته.

فقلت: الحمد لله، لأول مرّة تعترفُ الوهابيّة بالوسيلة وهذا فتح كبير.

واسمحوا لي بأن أضيف أنّ الوسيلة جائزة حتى بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

قال الوهّابي: والله لا يجوز، ذلك من الشرك.

فقلتُ: مهلا ولا تتسرّع وتقسم فتندم على ذلك.

قال: هات الدليل من القرآن.

قلت: أنت تطلب المستحيل لأنّ نزول الوحي إنقطع بوفاة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فلا بد من الإستدلال من كتب الحديث.

فقال: نحن لا نقبل الحديث إلا إذا كان صحيحاً أمّا ما يقوله الشيعة فلا نعتبره شيئاً.

قلتُ: هل تثق في صحيح البخاري وهو أصح الكتب عندكم بعد كتاب الله؟

قال مستغرباً: البخاري يقول بجواز الوسيلة؟!

قلتُ: نعم يقول بذلك ولكنكم مع الأسف لا تقرأون ما في صحاحكم ورغم ذلك تعاندون تعصّباً لأرائكم فقد أخرج البخاري في صحيحه أنّ عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعبّاس بن عبد المطّلب فقال: اللهمّ إنّا كنّا نتوسّل إليك بنبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم فتسقينا وإنّا نتوسّل إليكَ بعمّ نبيّنا فاسقنا، قال فيسقون»[1].

ثم قلتُ له: هذا عمر بن الخطّاب وهو عندكم أعظم الصّحابة

---

(١) صحيح البخاري ج٤ ص ٢٠٩ في باب مناقب جعفر بن أبي طالب قبل مناقب قرابة رسول الله من كتاب بدء الخلق.

ولا شك عندك في إخلاصه وقوة إيمانه وحسن عقيدته فإنّكم تقولون: لو كان نبي بعد محمد لكان عمر بن الخطاب، وأنتَ الآن بين أمرين لاَ ثالث لهما، إمّا أن تعترف بأنّ التوسّل هو من صميم الدّين الإسلامي وقول عمر بن الخطّاب إنّا كنا نتوسل إليك بنبيّنا، وإنا نتوسّل إليك بعمّ نبيّنا هو إقرارٌ بالتوسّل في حياة النبيّ وبعد حياة النبيّ، وإمّا أن تقول بأنّ عمر بن الخطاب مشرك لأنه جعل العبّاس بن عبد المطلب وسيلته إلى الله والعبّاس كما هو معلوم ليس بنبيّ ولا إمام وليس هو من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً.

أضف إلى ذلك أنّ البخاري وهو إمام المحدّثين عندكم الذي أخرج هذه القصة معترفاً بصحّتها ثم أضاف بقوله: كانوا إذا قحطوا استسقوا بالعبّاس فيسقون ويعني بذلك أنّ الله يستجيب لهم.

فالبخاري والمحدّثين من الصحابة الذين رووا هذا وكل أهل السنّة والجماعة الذين يعتقدون صحة البخاري كلّهم عندكم مشركون؟!.

قال الوهّابي: لو صحّ هذا الحديث فهو حجّة عليك قلتُ: وكيف يكون حجةً عليَّ؟!

قال: لأن سيدنا عمر لم يتوسّل بالنبيّ لأنه ميّتٌ وتوسّل بالعباس لأنه حيّ.

قلتُ: إنّ عمل وقول عمر بن الخطّاب ليس عندي بحجة ولا أقيم له وزناً وإنّما استعرضت هذه الرواية للإستدلال بها على موضوع البحث وهو إنكارك وإنكار كل علمائكم التوسّل واعتباره شركاً بالله.

وإنّي أتساءل لماذا لم يتوسّل عمر بن الخطاب أثناء القحط بعلي بن أبي طالب الذي هو من محمد كمنزلة هارون من موسى ولم يقل أحدٌ من المسلمين بأنّ العبّاس أفضل من عليّ ولكن هذا موضوع آخر لا يهمّنا في هذا البحث ونكتفي بالقول بأنكم الآن تعترفون بالوسيلة بالأحياء فهذا بالنّسبة إليَّ انتصارٌ كبير أحمد الله عليه أن جعل حجتنا هي البالغة، وجعل حجتكم هي الباطلة وإذا كان الأمر كذلك فإني سأتوسل الآن بحضوركم.

كنتُ جالساً فوقفتُ وتوجّهت جهة القبلة قائلاً: اللهمّ إنّا ندعوك ونتوسّل إليك بعبدك الصّالح الإمام الخميني.

فإذا بالوهابيّ يقفز منتفضاً ومستنكراً وهو يصيح أعوذ بالله، أعوذ بالله وخرج مسرعاً[1].

ونظر الحاضرون بعضهم إلى بعض قائلين: إن أمره عجيب، فكم كان يحتجّ علينا وينتقدنا وكنّا نظن أنه على خير كثير فإذا به أفرغ من فؤاد أم موسى.

فقال واحدٌ منهم إنّا لله وإنا إليه راجعون اللهمّ تبتُ إليكَ والتفتَ إلينا قائلاً: كم كنتُ متأثراً بأقواله وحتّى هذا اليوم كنتُ على رأيه من

---

(١) ذكرت مجلة البلاد اللبنانية في تقرير عن البوسنة قولهم: وقد التقينا بمدرّس اللغة العربية والقرآن الكريم في أحد مساجد المدينة (البوسنة) فأعرب عن قلقه من بعض الإجراءات التي تقوم بها بعض الدول الإسلامية، وأشار المدرس (جانيتني) إلى أن متطوعاً تونسياً إسمه أحمد طلب مني إلقاء محاضرة عن الوهابيّة!

وعندما رفضت ذلك هددني بالقتل، وقال كل من لا يعتنق الوهابيّة سيدخل النار!! مجلة البلاد ص ٣٥ العدد (١٩١).

أنّ التوسل هو شرك بالله، ولولا حضوري معكم لبقيت على ضلالة فالشكر لله ولكم.

﴿وقل جاء الحقّ وزهق الباطل إنَّ الباطل كان زهوقاً﴾ «الإسراء/ ٨١» صدق الله العلي العظيم

ردود النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم على الوهابية وضلالتهم

لاَ شكَّ بأنّ القرآن الكريم أقرَّ الوساطة والوسيلة بين الله وبين عباده ولم يحرّم ذلك ولا منع منه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بل ندب إليه وجعله مُباحاً.

وبما أنّ القرآن جعل من أفعال الرسول وأقواله وإقراره أسوة لنا نهتدي بها في سائر حياتنا اليومية فقال عزّ وجلّ: ﴿**لّقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة..**﴾ «الأحزاب/ ٢١».

وعلى هذا الأساس فإننا سوف نستدلّ بأفعاله وأقواله صلّى الله عليه وآله وسلم ولا نستدلّ بما أخرجه الشيعة في كتبهم ولا بما أخرجه السنّة في كل كتبهم فذلك سوف يفوق الإحصاء، ولكنّنا نكتفي بما أخرجه البخاري وحده في صحيحه ليكون الرد على الوهابيّة بالضربة القاضية فلا يتكلمون بعدها إن كانوا منصفين، وإلاّ فإنّ عنادهم وتعصّبهم الأعمى سوف يفضحهم عند كل المسلمين.

ونحن وبعد أن أثبتنا جواز التوسل ومشروعيّته من الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهّرة، نتعدّى إلى ما هو عند الوهابيّة أشدّ تشنيعاً وأشدّ استنكاراً من التوسّل: ألا وهو التبرك والتمسّح طلباً للشفاء والعافية ولقضاء الحاجات.

لأنَّ الوهابيّة وصل بهم الأمر أن يضربوا الحجّاج من أجل التمسّح والتبرك ويتّهمونهم بالشّرك من أجل ذلك.

الصحابة يتبرّكون بشعر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم

إنّه من نافلة القول أن نقول بأنّ فعل الصحابة هو حجّة على الوهابيّة لأنهم يؤمنون بعدالة الصحابة أجمعين. بل ويزعمون أنّهم على آثارهم مقتدون ويقولون عن أنفسهم بأنهم سلفيّون بمعنى أنّهم يتّبعون السّلف الصالح والصّحابة كلّهم صالحين.

أخرج البخاري في صحيحه عن مالك بن إسماعيل قال حدثنا إسرائيل عن عاصم عن ابن سيرين قال قلتُ لعبيدة: عندنا من شعر النّبي صلى الله عليه وسلم أصبناه من قِبَلِ أنسٍ أو من قِبَل أهل أنس.

فقال: «لأن تكون عندى شعرةٌ منه أحبُّ إليَّ من الدنيا وما فيها»[1].

---

(١) صحيح البخاري ج١ ص ٥١ باب الماء الذي يغسل به شعر الإنسان من كتاب الوضوء.

كما أخرج البخاري عن محمد بن عبد الرّحيم قال أخبرنا سعيد بن سليمان قال حدثنا عتاد عن ابن عون عن ابن سيرين عن أنسٍ أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لمّا حلق رأسه كان أبو طلحة أوّل من أخذ من شعره»[١].

فإذا كان أنس بن مالك الصحابيّ المشهور يحتفظ بشعر الرسول فيخصّ به بعض أهله وبعض أصحابه وإذا كان الصحابيّ يقول: «لأن تكون عندي شعرة واحدة من النبي أحبّ إليَّ من الدنيا وما فيها».

فهذا لعمري أقوى دليل على أنّهم كانوا رضي الله عنهم يتبرّكون بآثار النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبكل شيء يمتّ إليه.

وهذا لعمري ردٌّ على الوهابيّة الذين يضربون الحجّاج من أجل التبرّك بآثار النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد نقلتُ في كتاب «ثم اهتديت» تلك القصّة الطريفة التي سجّلها التاريخ عندما حاجّ عالم الشيعة ملك السعودية وقدم له مصحفاً ملفوفاً في جلد كهديّة فقبّله ووضعه على جبهته تعظيماً له.

فقال له العالم: لماذا تقبّل الجلد وتعظّمه؟

قال الملك: أنت قلتَ لي بأنه قرآن!

قال: القرآن بداخل الجلد وأنت ما قبّلت القرآن.

قال الملك: أنا عندما قبّلتُ الجلد كنت أقصد ما بداخل الجلد وهو القرآن الكريم.

---

(١) المصدر السابق.

فقال العالم: وكذلك نفعل نحن عندما نقبّل شبّاك الحجرة النبوية نحن نعلم أنه حديد لا يضرّ ولا ينفع ولكننا نقصد ما وراء الحديد وهو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

الصحابة والخلفاء يتبرّكون بآثار النبي بعد وفاته

لقد وجدتُ خلال البحث في هذا الموضوع أكثر من عشرين روايةٍ في كتب صحاح السنّة تفيد بأن الصحابة عامّة والخلفاء خاصّة كانوا يتبرّكون بآثار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولكنّي كما وعدتُ أكتفي برواية أو روايتين للبخاري فهو يبدو وكأنه متشدّد في مثل هذه الرّوايات.

أخرج البخاري في صحيحه في باب ما ذُكر من درع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعصاه وسيفه وقدحه وخاتمِهِ وما استعمل الخلفاء بعدَهُ من ذلك ممّا لم يذكر قسمتهُ ومن شعره ونعله وآنيتِهِ ممّا تبرّك أصحابه وغيرُهم بعد وفاته»[1].

---

(١) صحيح البخاري ج٤ ص ٤٦ باب دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الإسلام والنبوّة.

كما أخرج البخاري في صحيحه عن الزّبير قال لقيتُ يوم بدرٍ عبيدة بن سعيد بن العاص وهو مدجّج لا يُرى منه إلا عيناه وهو يكنّى أبو ذات الكرش فقال أنا أبو ذات الكرش فحملتُ عليه بالعنزة فطعنته في عينه فماتَ، قال هشام فأخبرتُ أنّ الزبير قال لقد وضعتُ رجلي عليه ثم تمطّأت فكان الجهد أن نزعتها وقد انثنى طرفاهَا قال عروة: فسأله إيّاها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فأعطاه إيّاها، فلمّا قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها ثم طلبها أبو بكر فأعطاه إيّاها فلما قبض أبو بكر سألها إياه عمرُ فأعطاه إيّاها فلمّا قبض عمرُ أخذها ثم طلبها عثمان منه فأعطاه إيّاها فلمّا قُتل عثمان وقعتْ عند آل علي فطلبها عبدالله بن الزبير فكانت عنده حتّى قُتِل»(١).

ملاحظة لا بد منها:

نلاحظ من خلال هذه الرّواية بأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم تبرّك هو نفسه بهذه العصا التي كان يملكها الزّبير ويلقى بها الأبطال في الحروب، فقد بارز عبيدة بن سعيد بن العاص وهو مدجّج يعني أنّه لبس لباس الحديد الذي يقيه طعن السّيوف والرّماح. فلا يُرى منه إلاّ عيناه وإذا بالزّبير يطعنه في عينه بهذه العصا فيموت، ثم يجهد نفسه حتّى ينتزعها من عينه.

حقاً إنها عصا عجيبة ولعلّها تكون من فصيلة عصا موسى عليه السّلام التي فلقت البحر لبني إسرائيل ﴿**فقلنا اضرب بعصاك الحجر**

---

(١) صحيح البخاري ج٥ ص ١٤ باب شهود الملائكة بدْراً من كتاب المغازي.

فانفجرتْ منه إثنتا عشرة عيناً﴾ «البقرة/ ٦٠» **﴿فأوحينا إلى موسى أن اضرب بّعصاك البحر فانفلق فكان كلّ فِرقٍ كالطّود العظيم﴾** «الشعراء/ ٦٣».

فسبحان الله الذي له في خلقه شؤون.

فلا نستغرب إذن أن يكون رسوّل الله صلى الله عليه وآله وسلّم قد طلب من الزبير أن يعطيه تلك العنزة ليتبرّك بها أو ليعلّم الناس بأنّ التبرّك جائز في شريعته وهذا الاحتمال قويّ جدّاً خصوصاً إذا عرفنا بأنّ الخلفاء من بعده كلّهم طلبوها وصاحبتهم إلى أن وصلت إلى عبدالله بن الزّبير وهو أحق بها لأنّها تركة أبيه.

هذا وإنّنا نجد في القرآن الكريم إشارات عديدة للتبرّك بالأشياء التي لها علاقة بالأنبياء والمرسلين فقد جاء في الذكر الحكيم: **﴿قال فما خطبك يا سامريُّ * قال بَصُرتُ بما لم يبْصُروا به فقبضتُ قبضةً مّن أثر الرّسولِ فنبذْتُها وكذلك سوّلت لي نفسي﴾** «طه/ ٩٥ ـ ٩٦».

ولعلّ السّامريّ الذي بصُر بما لم يبصر به بقية الصحابة عندما قبض قبضة من أثر الرسول حقّق بها بعض المعجزات فظنّ أن موسى ساحرٌ عليم وأنّ الآيات التي أظهرها أمام النّاس ما هي إلاّ سحر يقدر عليه من يمتلك أسبابه، لذلك نبذ قبضة التراب من أثر الرسول وسوّلت له نفسه أن يعود ببني إسرائيل إلى عبادة العجل والقصة تؤيّد ما ذهبنا إليه من إظهاره بعض الكرامات والمعجزات لبني إسرائيل حتّى اتّبعوه واغترّوا به.

كما نجد في القرآن الكريم إشارات أخرى للتبرّك والاستشفاء بآثار الأنبياء. قال تعالى في سورة يوسف: **﴿اذهبوا بقميصي هذا**

فألقوه على وجه أبي يأتِ بصيراً وأتوني بأهلكم أجمعين * ولمّا فصلت العيرُ قال أبوهم إنّي لأجدُ ريحَ يوسُفَ لولاَ أن تفنّدون * قالوا تالله إنّك لفي ضلالك القديم * فلمّا أن جاء البشيرُ ألقاهُ على وجهه فارتدَّ بصيراً قال ألم أقل لّكم إنّي أعلم من الله ما لا تعلمون﴾ «يوسف/ ٩٣ ـ ٩٦».

فالذي يُفهم من هذه الآيات أنّ نبي الله يعقوب كان أعمى قد كفّ بصره وأنّ ابنه يوسف بعث بقميصه وطلب من البشير أن يمسح به وجه أبيه كي يُشفَى من العمى ويرجع إليه بصره، وذلك ما وقع بالفعل.

ومع إيماننا الرّاسخ بأنّ الله سبحانه قادرٌ على ردّ بصر يعقوب بدون قميص يوسف، وقادرٌ على تفجير الماء من الحجر وفلق البحر بدون عصا موسى، وقادرٌ على إحياء المقتول بدونْ ضربه ببعض أجزاء البقرة[1].

إلا أنّه عزّ وجلّ جعل وسيلة وواسطة لذلك، لكي يفهم النّاس بأنّ الوسيلة والوساطة هي من سنّة الله في خلقه، وليست شركاً بالله كما يدّعي ذلك الوهابيّة وأتباعهم.

﴿هذا كتابنا ينطق عليكم بالحقّ إنّا كنّا نستنسخ ما كنتم تعملون * فأمّا الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات فيدخلهم ربّهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين * وأمّا الّذين كفروا أفلم تكن آياتي تُتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوماً مّجرمين﴾ «الجاثية/ ٢٩ ـ ٣١».

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: **﴿وإذ قتلتُم نفساً فادّارأتم فيها والله مخرجٌ ما كنتم تكتمون * فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلّكم تعقلون﴾** «البقرة/ ٧٢ ـ ٧٣».

النبي صلى الله عليه وآله وسلّم
يُقرّ التبرّك ويعلّمه لأصحابه

لاَ يغترنّ أحدٌ بقول بعض المنكرين بأن التبرّك إنّما هو بدعة أحدثها بعض الصحابة أو بعض التّابعين، وذلك لجهلهم بحقائق الأمور أو لتعصّبهم للمذهب الوهابيّ المحدث، فالمذهب الوهابيّ نفسه بدعة ويا لها من بدعة، تلك التي تتهم المسلمين بالشّرك لمجرّد شبهة باطلة اختلقتها الوهابيّة.

فلقد أقرّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم تبرّك أصحابه في العديد من المرّات ووافقهم عليه بل وندبهم إليه فأصبح الصّحابة بعد ذلك يتسابقون إليه.

أخرج البخاري في صحيحه عن آدم قال حدّثنا شعبة قال حدّثنا الحكم قال سمعتُ أبا جحيفة يقول: خرج علينا رسول الله صلّى الله عليه وسلم بالهاجرة فأُتِي بوضوءٍ فتوضّأ فجعل النّاسُ يأخذون من فضل وضوئه فيتمسحون به.

فصلّى النبي صلى الله عليه وسلم الظهر ركعتين والعصر ركعتين وبين يديه عنزةٌ وقال أبو موسى دعَا النبي صلى الله عليه وسلم بقدح فيه ماءٌ فغسل يديه ووجهه فيه ومجَّ فيه ثم قال لهما اشربا منه وافرغا على وجوهكما ونحوركما»[١].

كما أخرج البخاري في صحيحه حديثاً آخر أكثر وضوحاً من هذا لا بأس بذكره إتماماً للبحث.

قال البخاري: عن أبي موسى رضي الله عنه قال: كنتُ عند النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجعرانةِ بين مكّة والمدينة ومعه بلال فأتى النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم أعرابيٌّ.

فقال الأعرابيُّ: ألا تنجزُ لي ما وعدتني، فقال له أبشر.

فقال قد أكثرتَ عليَّ من أبشر. فأقبل النبيّ على أبي موسى وبلال كهيئة الغضبان فقال: ردَّ البشرى فاقبلا أنتمَا قالا: قبلنا، ثم دعا بقدح فيه ماءٌ فغسل يديه ووجهه فيه ومجَّ فيه ثم قال: إشربا منه وأفرغا على وجوهكما ونحوركما وابشرا.

فأخذا القدح ففعلا فنادتْ أمّ سلمة من وراء السّتر أن افضِلا لأمّكما فأفضلا لَها منه طائفةً»[٢].

هذه الرّوايات الصّحيحة في التبرّك لا تُثبتُ إقرار النبي فحسب

---

(١) صحيح البخاري ج١ ص ٥٥ باب استعمال فضل وضوء النّاس من كتاب الوضوء.

(٢) صحيح البخاري ج٥ ص ١٠٣ باب غزوة الطائف في شوال من كتاب المغازي.

بل تثبتُ بأنه هو الذي أمرَ به أصحابه بعد ما غسل فيه يديه ووجهه ومجّ فيه (أي تمضمض ثم أفرغ الماء من فيه) ثم قال لهما اشربا منه وأفرغا على وجوهكما ونحوركما وابشرا، بشّرهما بأنهما سيلقيان كل الخير ببركة هذا الماء الذي غسل فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجهه ويديه وفمه، حتى طلبت أم سلمة وهي زوج النبي أن يفضلا لها بعضه لتتبرّك به، فأين الوهابيّة من هذه الحقائق الدّامغة أم على قلوب أقفالها.

محمّدٌ بشرٌ لا كالبشرْ بل هو ياقوتٌ بينَ الحجر

مرّة أخرى نُحيّي الإمام البصيري قائل هذه الأبيات ومرّة أخرى نقف وقفة لنقول للنّاس كافّة بأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم هو جوهر المخلوقات ولا يقاس به أحد من ولد آدم فهو سيّدهم جميعاً.

ومهما قيل في صفاته البشرية إلاّ أن الله سبحانه طهّره من كلّ رجس وخبث وقد نقل المحدّثون من أنّ له خصائص لم تكن لغيره من البشر. والأمثلة على ذلك عديدة.

منها أنّ الذباب لم يقع عليه أبداً، ومنها الغمامة التي كانت تُظلّه، ومنها أنّ الأرض تبلع كل فضلاته، ومنها رائحة المسك الطيبة التي كانت تنبعث من جسده الشريف حتّى قال أبو بكر لما دخل عليه وهو مُسجّى «بأبي أنت وأمّي طِبْتَ حيّاً وميّتاً».

وإنّي عندما أقرأُ مثل الرّوايات التي قدّمتُها وأنا مؤمن بصحّتها

أفهم منها ما لا يفهمه غيري ولا أستنكر على أحدٍ أن يشربَ فضل غسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأنه بشر لا كالبشر بل هو ياقوتٌ بين الحجر.

فأي إنسان منّا لا تطاوعه نفسه فيشربَ من ماء غسل فيه أحدٌ وجهه ويديه وتمضمض فيه فبالإضافة على أنّنا نخشى الجراثيم والمرض الذي يتأتّى من الأوساخ والقذارات، فإن نفوسنا تأبى وتتقزز وخصوصاً إذا كنّا نرى بأعيننا ما حدث بالماء.

ولولا إيمانُنا بأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم منزّه عن الأوساخ والجراثيم والروائح الكريهة وأن جسده طاهرٌ مطهّرٌ، لما استوعبنا هذه الروايات.

ولولا إيمان بعض الصحابة المخلصين بهذه الحقائق لما تسابقوا لشرب فضل وضوئه صلّى الله عليه وآله وسلم إلى درجة أنهم كانوا يقتتلون عليه.

بل لقد عرف الصحابة المخلصون من حقائق النبي ما لم يعرفه غيرهم فلم يكتفوا بفضل وضوئه أو بالماء الذي يغسل فيه أعضاءه، فسوف نأتي على ما هو أشد على النّفوس البشرية تحمّله.

فقد أخرج البخاري في صحيحه قصّة طويلة نأخذ منها الموضوع الذي يهمّ بحثنا لأنّ القارىء يملّ التّطويل قال: ثم أن عروة جعل يرمقُ أصحابَ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بعينيه قال: «فوالله ما تنخّمَ رسول الله صلّى الله عليه وسلم نخامةً إلاّ وقعتْ في كفْ رجلٍ منهم فدلّك بها وجهه وجلدَهُ وإذا أمرهم ابتدروا أمرَهُ وإذا توضّأ كادوا

يقتتلون على وضوئه..»[1].

كما أخرج البخاري عن عروة عن المسور ومروان خرج النبي صلى الله عليه وسلم زمن حديبية فذكر الحديث «وما تنخّم النبيّ صلى الله عليه وسلم نُخامة إلا وقعتْ في كفّ رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده»[2].

وهذا ما يجرّنا للقول بأنّ الصحابة الكرام رضي الله عنهم ما كانوا ليفعلوا ذلك لولا سكوت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عليهم بل وإقراره إيّاهم على ذلك.

ولا شكّ بأنّ الصحابة رأوا من ذلك كرامات منها الصحّة والعافية ومنها الخير والبركة ومنها العلاج من الأمراض وطلب الشفاء. ولولا ذلك ما كانوا ليمسحوا وجوههم وجلودهم بنخامته.

وتأكيداً لما ذهبنا إليه نسوق هذه الروايات من صحيح البخاري ليتجلّى للنّاس زيف الوهابيّة. قال: «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهاجرة إلى البطحاء فتوضّأ ثم صلّى الظهر ركعتين والعصر ركعتين وبين يديه عنزةٌ وزاد فيه عونٌ عن أبيه أبي جحيفة قال كان يمرّ من ورائها المارّة وقام النّاس فجعلوا يأخذون يديه فيمسحون بها وجوههم قال فأخذتُ بيده فوضعتها على وجهي فإذا هي أبرد من الثلج وأطيب رائحة من المسك»[3].

---

(١) صحيح البخاري ج٣ ص ١٨٠ باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحروب من كتاب الشروط.

(٢) صحيح البخاري ج١ ص ٦٦ باب البزاق والمخاط من كتاب الوضوء.

(٣) صحيح البخاري ج٤ ص ١٦٥ باب صفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من كتاب بدء الخلق.

الاستشفاء ببركة النبي
صلى الله عليه وآله وسلّم

لاَ شكَّ بأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم كان يُبرىء المرضى بمسّه وبوضوئه وببصاقه وغير ذلك.

وقد أخرج مسلم في صحيحه وكذلك البخاري ما نصّه: عن سهل بن سعيد رضي الله عنه «سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول يوم خيبر لأعطينّ الرّاية رجلاً يفتحُ الله على يديه يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسولهُ، فبات الناس ليلتهم أيّهم يُعطي، فغدوا كلهم يرجوه، فقال: أين عليٌّ؟ فقيل يشتكي عينيه فبصق في عينيه ودعا له فبرأ كأن لم يكن به وجعٌ فأعطاه الراية فقال: أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم فوالله لأن يهدي الله بك رجُلا خيرٌ لك من أن تكون لك حمر النّعم»(١).

---

(١) صحيح البخاري ج٤ ص ٢٠ باب فضل من أسلم على يديه رجل من كتاب الجهاد والسّير.

كما أخرج البخاري قال: سمِعتْ السّائب بن يزيد يقول: «ذهبتْ بي خالتي إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله إن ابن أختي وقع فمسح رأسي ودعا لي بالبركة ثم توضّأ فشربتُ من وضوئه..»[1].

وعنه أيضاً سمعت جابراً يقول: «جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني وأنا مريض لا أعقِلُ، فتوضّأ وصبَّ عليَّ من وضوئه فعقلتُ وقلت: يا رسول الله لمن الميراث إنما يرثني كلالة، فنزلت آية الفراض»[2].

وإذا كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بهذه المكانة عند الله تعالى فهو يبرىء الأعمى ببصاقه ويبرىء المصروع الذي فقد عقله بماء وضوئه ويتمسّح الصحابة بنخامته فيمرّرونها على وجوههم وجلودهم طلبا للشفاء والعافية، وقد جاء في الأثر أنّ حذيفة بن اليمان كانت له صرّة يداوي بها المرضى فما من مريض وضع عليه صرّته إلا شُفِيَ فافتتن الناس به ووصل خبره للنبي صلّى الله عليه وآله وسلم فاستدعاه وسأله قائلاً: أفتّانٌ أنت يا حذيفة؟

فقال: كلا يا رسول الله، ولكنّني احتفظتُ بالحصية التي أثّرتْ في قدمك وجعلتها في هذه الخرقة فهي التي أداوي بها المرضى، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لو

---

(١) صحيح البخاري ج١ ص ٥٦ و٥٧ باب صبّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم وضوءه على المغمى عليه.

(٢) صحيح البخاري ج١ ص ٥٦ و٥٧ باب صبّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم وضوءه على المغمى عليه.

أحسنتم الظن في حجر لنفعكم»[1].

ليس المقصود من كل هذه الروايات أنّنا نركن لكلّ المشعوذين والدجّالين أو أننا لا نؤمن بالطبّ العلمي كيف ونحن دائماً نستدل بقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم «إلتمسوا له طبيباً فإنّ الله خلق الداء وخلق الدواء».

وليس معنى هذا أنّ المسلمين يعتمدون فقط على التداوي بالدّعاء والرقية والقرآن والتماس البركة إلى غير ذلك ممّا هو شائع في كل بلاد المسلمين.

ولكن استدلالنا به هو فقط لإقامة الحجّة على الوهابيّة الذين ينكرون كل هذه الأمور ويعتبرون أنّ الذين يقولون بذلك هم مشركون.

ثم أنّ للصحابة عذرهم في التبرّك والتوسّل بصاحب الرسالة عليه وآله أفضل الصلاة وأزكى السلام.

فقد عاشروه وشاهدوا منه المعجزات والخوارق التي بهرتهم وملأتْ نفوسهم أملاً ورهبة.

وقد سجّل أصحاب السّير والذين اهتموا بالمعجزات لنبيّنا صلّى الله عليه وآله وسلم كلّ ما سجّله كتاب الله المجيد من معجزات الأنبياء الذين سبقوه كعلاج المرضى والأكمه والأبرص والأعمى وإحياء الموتى وإنزال المائدة من السماء وتقليب الآيات الكونية والتكلم مع الحيوانات إلى غير ذلك.

---

(١) لا أذكر مصدر هذه الرّواية ولكنّي سمعتها من مشايخنا في تونس.

ونحن نكتفي بسياقة رواية أو اثنتين للبخاري ونترك للباحثين أن يطلعوا بأنفسهم على ما كتبه العلماء في هذا الصدد.

* عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال أتيَ النبيّ صلّى الله عليه وسلم بإناء وهو بالزّوراءِ فوضع يده في الإناء فجعل الماء ينبعُ من بين أصابعه فتوضّأ القومُ، قال قتادة قلتُ لأنسٍ كم كنتم؟ قال ثلاثمائة أو زهاء ثلاثمائة»[1].

* وعن جابر بن عبدالله قال عطش الناس يوم الحديبية والنبيّ صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوةٌ فتوضأ فجهش الناسُ نحوه فقال: مالكم؟ قالوا ليس عندنا ماءٌ نتوضّأ ولا نشربُ إلاّ ما بين يديك، فوضع يده في الرّكوة فجعل الماءُ يثور بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضّأنا.

قلتُ: كم كنتم؟ قال: لو كنّا مائة ألف لكفانا، كنّا خمس عشر مائة»[2].

* وعن علقمة عن عبدالله قال كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقلّ الماءُ فقال: اطلبوا فضلة من ماء فجاؤوا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل يده في الإناء ثم قال: حيّ على الطهور المبارك والبركة من الله، فلقد رأيتُ الماء ينبعُ من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولقد كنّا نسمعُ تسبيح الطّعام وهو يؤكلُ»[3].

---

(١) صحيح البخاري ج٤ ص ١٧٠ وما بعدها في باب علامات النبوة في الإسلام من كتاب بدء الخلق.

(٢) صحيح البخاري ج٤ ص ١٧٠ وما بعدها في باب علامات النبوة في الإسلام من كتاب بدء الخلق.

(٣) صحيح البخاري ج٤ ص ١٧٠ وما بعدها في باب علامات النبوة في الإسلام من كتاب بدء الخلق.

الوهّابية لها جذور تاريخيّة

إذا رجعنا إلى تاريخنا وتصفّحنا أحداثه الأليمة لاستوقفتنا بعض الأحداث لتوحي لنا من طرف خفيّ بأنّ للوهابيّة التي عرفناها في هذا القرن جذور قديمة بقدم الإسلام بقيت تظهر حيناً وتختفي أحياناً، تظهر مرّة بجرأة وتختفي أخرى برهبة وتقية، حتّى انتكس الإسلام وفجع في أركانه وأكبر رموزه وجاء الإستعمار ليغذّي هذا الفكر الجديد ويُقويه.

والهدف من وراء ذلك هو تحطيم تلك الهالة والتّقديس لصاحب الرسالة صلّى الله عليه وآله وسلم. والمسلمون حسب مفهوم الاستعمار يقدّسون شيئين إثنين وهما القرآن والسنّة، وهما المصدران الأساسيان للشريعة الإسلامية المستهدفة من قِبلهم.

وقد عرفوا بأن كلام الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأن الله سبحانه تكفّل بحفظه أمّا السنّة النبوية فهي عرضة للطعن والدسّ والوضع وإنّما وقع الإختلاف فيها من أول يوم غادر فيه رسول الله هذه الدنيا.

لكنّهم أدركوا بأنّ العلماء من الأمة تداركوا تلك السنّة فجمعوا منها ما ثبت صحته ووضعوا لذلك قوانين وضوابط تمنعها من الزيادة والنقصان.

فتفطّنوا إلى حيلة شيطانية خبيثة تمكّنهم من القضاء على المسائل الروحيّة التي تمثّل العامل الحركي النشيط في حياة المسلمين، ومتى ترك المسلمون الروحانيات، فإنهم سيقتربون من الماديّة الملحدة شيئاً فشيئاً ويصبحون غثاء كغثاء السّيل.

وفتّشوا عن شخص مسلم له من الطّموح الغير محدود واكتشفوا محمد بن عبد الوهاب الذي تنسب إليه الوهّابيّة، ونفخوا فيه من روحهم وأقنعوه بأنّه عالم عصره وأنّه عنده من العبقرية والذّكاء ما لم يكن عند الخلفاء الرّاشدين أنفسهم.

وأطلعوه على إجتهادات الخلفاء في معارضة النّصوص الصّريحة من الكتاب والسنّة، وبالخصوص معارضة عمر بن الخطاب للنبي في حياته. وأقنعوه بأنّ محمّداً بشر غير معصوم وقد أخطأ في عديد المرّات وأصلحه بعض النّاس فهذا دليل على ضعف شخصيّته.

ثم أطمعوه في الحكم والإستيلاء على الجزيرة العربية أولاً ثم العالم العربي والإسلامي ثانياً.

وقامت الوهابيّة على هذه المفاهيم وهي تحاول جهدها انتقاص شخصيّة الرّسول والتقليل من أهميته حتّى أصبح علماؤهم يقولون صراحة: الرجّال مات وقد قال كبيرهم: إنّ محمداً رمّة بالية لا تضرّ ولا تنفع وعصاي أفضل منه لأنها تضرّ وتنفع.

وقد قيلتْ عبارات شبيهة بهذه المعاني في زمن الحجاج بن يوسف الثقفي الذي قال: «تبّاً لهم إنهم يطوفون برمّة بالية ولو طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان لكان خيراً لهم».

وفي الحقيقة ما جرّأ الحجاج والفسّاق من بني أميّة على التطاول والإنتقاص من شخصية الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ جرأة عمر بن الخطّاب الذي قال بحضرة النبي: إن الرجل ليهجر وحسبكم كتاب الله.

وفي هذه المقولة بالذّات كل المعاني التي تحاول الوهابيّة جهدها تكريسها وترسيخها في عقول الناس فهم يقولون أنّ محمداً انتهى دوره ولم يعد إلاّ تاريخاً ومن توسّل به فكأنه عبده وأشركه في الربوبيّة.

وهذه أيضاً ليستْ فكرة جديدة بل لها أيضاً جذور تاريخيّة وقد صرّح بها أبو بكر عندما خرج على الناس ليقول لهم: «أيها الناس من كان يعبدُ محمداً فإن محمداً قد ماتَ ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت».

فما هو الدّاعي لهذه الكلمة وهو يعلم علم اليقين أنّه ليس هناك أحدٌ من المسلمين يعبد محمّداً أم أنّ أبا بكر كان يعتقد أن بعض المسلمين يعبد محمّداً حقّاً وحقيقة فكيف يسكت محمّد على ذلك ولا يردعهم ولا يزجرهم بل كيف لا يقتلهم؟

ولكنني شخصياً اقتنعتُ أنّهم كانوا يحملون نفس الفكر الذي ظهر الآن عند الوهابيّة، بمعنى أنّهم كانوا لا يطيقون تقديس النّاس لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وكان يغيظهم أن يشاهدوا النّاس يتسارعون ويقتتلون على فضل وضوئه ويتمسحون به يتبرّكون به ويتقربون إلى الله بحبّه ومودة أهل بيته، كلّ ذلك أولد ردة فعل عكسية عند قريش فأصبحوا يبغضون محمّدا بدون ذنب إقترفه.

وقد أفصح عن مكنون صدورهم زعيم قريش معاوية بن أبي سفيان عندما قال له المغيرة: «يا أمير المؤمنين لو وصلت رحمك من بني عمومتك بني هاشم فوالله ما بقي عندهم شيء تخافه ولعل ذلك يحدث لك ذكراً.

فقال معاوية: ملك أخو تيم فما إن هلك حتّى هلك اسمه إلاّ أن يقول قائل أبو بكر، وملك أخو عدي فشمّر عشر سنين فما إن هلك حتى هلك إسمه إلا أن يقول قائل عمر، وملك عثمان ففعل ما فعل وفعل به فما إن هلك حتّى هلك اسمه، ولم يبقَ إلاّ ابن أبي كبشة ينادي باسمه خمس مرّات في كل يوم: أشهد أن محمّداً رسول الله!

فأي ذكر يبقى بعد هذا لا أمّ لك، والله إلاّ دفناً دفنا»[1].

إنّها الوهابيّة في أحلى مظاهرها وأفصح تعبيرها خطّطت بالأمس وهي تحاول تنفيذ ذلك المخطّط اليوم وفي المستقبل، يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون.

---

(١) نقل هذه المحاورة ابن أبي الحديد المعتزلي وكتاب النصائح الكافية لمن يتولّى معاوية نقلا عن الطبري وابن الأثير.

الوهابيّة تحرّم زيارة القبور

من البدع التي شاعت في زماننا الحاضر هو القول بتحريم زيارة القبور على النساء.

والمرأة المسلمة عندما تحجّ إلى بيت الله الحرام فلا يسمحوا لها بزيارة البقيع ولا بزيارة مقبرة أحد ولا غيرها من المقابر.

والوهابيّة هي التي حرّمت ذلك ولا زالت تحرّمه وليس لها دليل إلاّ التعصب.

فهذا مسلم يخرج في صحيحه في باب الجنائز بأنّ عائشة سألت رسول الله ماذا تقول إذا جاءت إلى المقابر فقال لها: «قولي السّلام عليكم دار قوم آمنين أنتم من السّابقين ونحن إن شاء الله بكم من اللاحقين ويغفر الله للمتقدّمين والمتأخرين».

كما أخرج البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مرّ النبيّ صلى الله عليه وسلم بامرأةٍ تبكي عند قبر فقال: اتقي الله واصبري.

قالت: إليك عنّي فإنك لم تُصب بمصيبتي، ولم تعرفه، فقيل لها إنّه النبيّ صلى الله عليه وسلم، فأتت باب النبي صلّى الله عليه وسلم فلم تجد عنده بوّابين فقالت لم أعرفك.

فقال: «إنما الصّبر عند الصدمة الأولى»[1].

والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدًّا ملأت كتب الصحاح عند أهل السنّة وعند الشيعة.

ولكن الوهابيّة تنكرها ولا تقيم لها وزناً وقد قال لي بعضهم عندما حاججتهم بهذه الأحاديث فقال أنَّها نسختْ.

فقلتُ: بالعكس التحريم هو المنسوخ، لأن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم قال: «كنتُ نهيتكم عن زيارة القبور، الآن فزوروها فإنها تذكّركم بالموت».

قال: هذا الحديث يعني به الرّجال دون النّساء.

قلت: قد ثبت في التاريخ وعند المحققين من أهل السنّة بأنّ فاطمة الزهراء سلام الله عليها كانت في كل يوم تزور قبر أبيها فتبكي وتقول: أبي صُبَّت عليّ مصائبٌ لو أنها صُبّت على الأيام صرن لياليا، والمعروف بأن عليّاً بنى لها بيتاً يُسمى بيت الأحزان فكانت تقضي جلّ أوقاتها في البقيع.

قال: وعلى فرض صحة الرّواية فهي تخص فاطمة وحدها.

إنّه التعصّب الأعمى مع الأسف وإلاّ كيف يتصوّر مسلمٌ أن يمنع

---

(١) صحيح البخاري ج٢ ص ٧٩ باب زيارة القبور باب الجنائز.

الله ورسولَه المرأة المسلمة من زيارة قبر أبيها أو قبر أخيها أو قبر ولدها أو قبر أمّها أو قبر زوجها، فتترحّم عليهم وتستغفر لهم وتسيل عليهم دموع الرّحمة وتتذكر هي الأخرى الموت والآخرة، كما يتذكر الرّجل. إنّه ظلم للمرأة المسلمة المسكينة ولا يرضاه الله ولا يرضاه رسول الله ولا يرضاه أهل العقول السليمة.

أهل البيت والمسلم المعاصر

إنّ الوظيفة العمومية في هذا العصر ملكتْ على الإنسان جلّ أوقاته ولم تترك له من الحريّة إلاّ الشيء اليسير وفي أوقات محمودة.

وكما قدّمنا فإنّ في عصر الرسالة وصدر الإسلام لم يكن الإنسان يتعاطى من العمل والمِهن إلاّ ثلاثة فهو فلاح أو تاجر أو صانع.

وهذه الأشغال الثلاثة تعطيه الحريّة المطلقة ليمارس عباداته كما يريد وفي أوقاتها المعلومة.

فإذا وجبت أوقات الصّلاة وهو في محل الشغل توقّف عن شغله لأدائها ونفسه آمنة مطمئنّة.

أمّا اليوم وقد وظّفتْ الحكومة عموم النّاس وجعلتْ لهم رواتب مضمونة وأجور معلومة مقابل ساعات معدودة فلا تسمح لهم بالتوقف أثناء أداء عملهم من أجل أداء الصّلاة.

فالطّالب والأستاذ والمدير والطبيب والممرّض والعامل

والجندي والشرطي والموظفون داخل الشركات الصناعية أو المنجميّة وحرّاس الحدود والعاملون في الرصد ومراقبو البريد والهاتف والمحاسبون وغيرهم ممن لا يسعنا المجال بذكرهم.

كل هؤلاء لا يجدون الحريّة في ممارسة فريضة الصلاة في أوقاتها الخمس المعلومة.

وبما أنّني مررتُ بتلك التجربة إذ كنت أستاذا أمارس مهنة التعليم، فكنت معذب النّفس مشوّش الضمير لأنّ الوقت لا يسمح لي بأداء الفريضة في وقتها فكانت تفوتني صلاة الظهر والعصر والمغرب خصوصاً في فصل الشتاء، فتراني أجمع الأوقات الأربعة في الليل وفي بعض الأحيان أعود متعبا منهوكا فلا أقدر عليها، أو أني أصلّيها على مضض.

واكتشفتُ أنَّ الكثير من المسلمين تركوا الصلاة لهذا السبب، فهم يعيشون الإضطراب النفسي ويأملون أن تتاح لهم الفرصة لأداء الفريضة.

ونشأ من ذلك أيضاً نفور لدى البعض الذين اعتبروا الصلاة كابوساً يقلق راحتهم، فأخذوا ينتقدون الإسلام بأنه دين التعب والمشقّة والحرج، ويقولون بأنّ الدين المسيحي خفّف عن أتباعه وما جعل عليهم من قيود مضنية، فهم يصلّون مرةً واحدة في الأسبوع يوم الأحد وهو يوم الرّاحة.

وكم لعب المبشّرون على هذا الوتر الحسّاس عند شباب المسلمين مدّعين أن دينهم يتماشى مع الحضارة ومع كل العصور فالصلاة في يوم الراحة من الأسبوع وكذلك الصوم فهو ثلاثة أيام في

السنة عن بعض اللحوم فقط، وهو دين المحبّة والسلام.

وكم استهوت هذه الدّعايات شباب المسلمين الذين تعرّضوا في صغرهم إلى ضغط الأباء والتشديد على أداء الصلاة والوضوء إلى درجة مرعبة في بعض الأوساط ومنفّرة عند بعض العائلات.

فإنّك ترى بعض الأباء وخصوصاً أولئك الأميّين يريدون أن يكون أولادهم كلّهم رابعة العدوية إن كانوا إناثاً أو أحمد البدوي إن كانوا ذكوراً فتراهم يوقظونهم قبل الفجر ويُتعبونهم بالصلاة ويراقبونهم ليل نهار ولا يتركون لهم شاردة أو واردة ويحاسبونهم حساباً عسيراً.

ويضربونهم أحياناً لمجرّد السّهو والنّسيان ويدخلونهم المدرسة الحكومية ويثقلونهم حتى يكلّوا ويملّوا وينفروا من الدّين ولم يبلغوا الحلم ولا أقول إلاّ بما شاهدت ورأيت فكم رأيتُ أطفالاً من أقربائي يصلّون تحت الضغط تركوا الصلاة لمّا تبدّد نفوذ الوالدين وتحرروا من العائلة وهيمنتها.

وقد حاولتُ عديد المرات أن أقنع بعض الأباء من أقاربي بأن لا يضرب أولاده ولا يكرههم على الصّلاة بل يجبُ عليه أن يأخذهم باللّين واللّطف ويحبّب إليهم تلك الفريضة ولا يجعلها عليهم كابوساً.

ولكني أصطدم في كلّ مرة بقولهم بأن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال اضربوهم على الصلاة في سبع سنوات أو في عشر على اختلاف الرّواية.

وبهذا التصرّف أضاع شباب المسلمين صلاتهم وتركوا دينهم ولو لم يتبعوا المبشرين.

أضف إلى ذلك التلفزيون والألعاب، والرّوضة وكلّ ما يلهي عن ذكر الله.

الحلُّ في مدرسة أهل البيت(ع)

من تتبّع مدرسة أهل البيت عليهم السلام في التربية الإسلامية يجد الحلول الكفيلة التي شرّعها الله سبحانه لعباده ليسهّل عليهم ويجعل لهم الدّين ميسوراً وفي متناول كل الناس كباراً وصغاراً.

قال الله تعالى: ﴿**وما جعل عليكم في الدّين من حرج**﴾ «الحج/ ٧٨». وقال: ﴿**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**﴾ «البقرة/ ١٨٥» وقال: ﴿**لا يكلّف الله نفساً إلاّ وسعها**﴾ «البقرة/ ٢٨٦».

رفع الحرج:

هذه هي القاعدة العامة في الدّين الإسلامي فكل حرج مرفوع وكل شدّة ممقوتة وكل عسر ممنوع فإذا كان الآمر كذلك فلماذا كل هذا التشديد الذي نراه في كتب الفقه عند المسلمين عامّة.

فإذا قرأ المسلم بعض الأبواب في الوضوء أو الغسل فإنّه يشعر

بأنّ اجتهاد الفقهاء أدخل على اليسر عسراً وكلّف الإنسان أكثر من وسعه.

من ذلك مثلاً: أنه لو مسّت يده ذكره بعد الغسل فقد بطل غسله وعليه الإعادة من جديد.

والمعروف في مدرسة أهل البيت عليهم السلام رواية عن جدّهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: الوضوء غسلتان ومسحتان، غسل الوجه واليدين ومسح الرأس والرّجلين.

هذا هو الوضوء

فكما قدّمنا وللتيسير على المسلمين فقد كلّفهم الله سبحانه بالوضوء قبل الصلاة فقال عزّ وجلّ: **﴿يا أيها الّذين آمنوا إذا قمتم إلى الصّلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين. .﴾** «المائدة/ ٦».

الوضوء إذن: هو غسل الوجه واليدين ومسح الرأس والرجلين:

وهو كما نرى سهل ميسور ليس فيه حرجاً ولا مشقة. وإذا كان المسلم مقيماً أو مسافراً في بيت أم مطار أم في محطة فإنّ هذا الوضوء لا يحرجه أبداً، إذا فتح الحنفية وغسل وجهه ويديه يغلقها ثم يمسح رأسه ورجليه بنداوة يديه، وبإمكانه أن لا ينزع حذاءه إلا في مكان الصلاة إذا كان قريباً فيمسح عندها ببلل يديه رأسه ورجليه.

أمّا إذا كان الوضوء على الوصف الذي يقول به الفقهاء غسل

ثلاث مرات يديك إلى الكوعين.

غسل ثلاث مرّات فمك المضمضة.

غسل ثلاث مرات أنفك الإستنشاق والاستنثار.

غسل ثلاث مرات وجهك.

غسل ثلاث مرات يديك اليمنى ثم اليسرى.

مسح رأسك كلّه.

مسح أذنيك.

غسل ثلاث مرات رجلك اليمنى ثم اليسرى ففي هذا الوضوء مشقة كبرى وفيه حرج خصوصاً على الشباب إذا كانوا في سفر ،المشقة تكمن بالخصوص في غسل الرجلين في فصل الشّتاء، ولكي يلبس جواربه لا بدّ من تنشيف الماء.

والمهم في كل هذا أنّ مدرسة أهل البيت التي لا تقول بالرأي والاجتهاد في النصوص تعمل وفق الكتاب الكريم والسنّة النبويّة المطهرة.

فهذا الوضوء الذي يعملون به هو ما فرضه القرآن على المسلمين وهو أيضاً ما فعله النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمة الطاهرين من أهل بيته سلام الله عليهم.

ورحم الله عبدالله بن عبّاس رضي الله عنه الذي كان يردّد: «لا أجدُ في كتاب الله غير غسلتين ومسحتين، وتأبون إلاّ اتباع سنّة الحجاج».

فعلى المسلمين اليوم بالخصوص الشّباب المثقّف منهم أن

يعودوا إلى روح الإسلام بيُسره ومرونته لكي يحبّبوا الناس ويرغّبوهم في الدّين.

فكم نادى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المسلمين لكي يعملوا بهذه القاعدة قائلاً:

«يسّروا ولا تعسّروا، ولا تنفروا».

«لا تشدّدوا على أنفسكم فيشدّد الله عليكم كما فعل ببني إسرائيل».

وهذه التجربة نجحت في أغلب الأحيان فكم من واحد كان يتهرّب من الصلاة من أجل الوضوء أو كان يصلّي ولكن دائماً بتيمّم خوفاً من الماء الذي سبب له حكة وأكلة في أطرافه وأصابع رجليه[1]، وبوضوء أهل البيت أصبح معافى ومرتاح الضمير.

---

(١) كما يمكن عند أهل البيت أن يعمل المكلف بالتيمم حتى مع وجود الماء، إذا خاف على نفسه من المرض أو ما يؤدي إلى المرض أو زيادة المرض، كما عن الإمام الصادق عليه السلام (التراب أحد الطهورين).

هذه هي الصلاة

تجمع الصّلاة عند أهل البيت فتصلّى سبعاً وثمانياً في ثلاثة أوقات فقط بدلاً من خمسة:

وقت لصلاة الصبح.

وقت لصلاة الظهر والعصر.

وقت لصلاة المغرب والعشاء.

لقد عقدنا فصلاً خاصّاً في كتابنا «مع الصادقين» للإستدلال على مشروعية هذه الأوقات من القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة، ولا نريد الإطالة وتكرار ما نقلناه هناك فعلى الباحثين الرجوع إليه.

ولكن أردنا أن نوضّح هنا حكمة الله سبحانه وتعالى في الجمع بين الأوقات بهذه الكيفية، وكما قدمناه في فصل أهل البيت والمسلم المعاصر بأنّ أغلب الموظفين ويمثّلون ثلاثة أرباع المجتمع تاركون للصّلاة والبعض يأتونها كسالى وعلى مضض، أو يأتونها بمشقة وحرج لأنهم عرفوا بأنّه لا يجوز لهم شرعاً الخروج من العمل في وقت

العمل الذي يتقاضون عليه أجرة لأداء فريضة الصلاة ولا كلام لنا مع أولئك «المتوكلين» الذين يصيحون في المساجد داعين الناس أن يخرجوا من العمل أوقات الصلاة ولو كلّفهم ذلك الطرد لأنّ الله هو الذي يرزق عباده وليس هو صاحب المعمل أو مدير الشغل.

والغريب أنّ هؤلاء الأئمة الذين يرتأون هذا الفكر هم أنفسهم يتناقضون في نفس الموضوع، فلقد استمعت إليه مرّة أخرى وهو يمدحُ عمر بن الخطاب ويقول: دخل سيدنا عمر المسجد فوجد رجلاً يصلّي قبل دخول الناس وجاء مرّة أخرى فوجده يصلّي، في المرة الثالثة سأله سيدنا عمر:

من الذي يعولك؟ يعني من الذي يطعمك ويقوم بشؤونك؟ فقال: أخي هو الذي يطعمني ويكسيني.

فقال له سيدنا عمر أخرج من المسجد فإن أخاك أفضل منك إنّ السماء لا تمطر ذهباً ولا فضّة.

إنفردتُ به وقلتُ له: ألستَ قلت منذ شهر واحد بأن الله هو الذي يرزق عباده فعليكم بالخروج من العمل لأداء الصلاة؟ نظر إلي بابتسامة عريضة وقال: «لكلّ مقام مقال كلامي الأول من القرآن، وكلامي الثاني هو كلام سيدنا عمر الفاروق، وكلامي الأول والثاني كله حق..».

قلتُ: جازاك الله عن الإسلام خيرا لقد استفدت منك.

نعود إلى موضوع حكمة الله سبحانه وتعالى في الجمع بين أوقات الصلاة، فنقول: إنّ الله سبحانه الحكيم العليم خالق الأكوان والذي يعلم الماضي والحاضر والمستقبل ولا يعزب عن علمه شيء،

علم أنَّ في وقتٍ ما سيكون الناس محكومون بالوظيفة العمومية التي تحدّ من حرياتهم وأوقاتهم، وبما أنّ محمداً هو خاتم الأنبياء والمرسلين وشريعته ستكون صالحة إلى يوم القيامة وفي متناول الإنسانية جمعاء، وبما أن حكمة الله سبحانه اقتضت التخفيف ورفع الحرج والمشقة عن النّاس الذين يلتزمون بالدّين فأوصى إلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يصلّي الظهر والعصر جميعاً إمّا تقديماً أو تأخيراً، ويصلّي المغرب والعشاء جميعاً إمّا تقديماً أو تأخيراً[1]، وأنْ يعلّم أمّته هذه الطريقة لرفع الحرج عنهم.

وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما أمر به وصلّى بالناس في المدينة المنوّرة عدة مرات بهذه الطريقة ولمّا سُئل عن ذلك قال: «لكي لا أشق على أمتي، أو لكي لا أحرج أمّتي»[2].

وعن ابن عباس كما جاء في صحيح البخاري أنه قال: «صلّى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة سبعاً وثمانياً، الظهر والعصر والمغرب والعشاء»[3].

فهذه حكمة الله سبحانه وهذه صلاة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم التي صلّى بأمر ربّه لكي لا يشقّ على الأمّة فلماذا نستنكف من هذه الطريقة وهي سهلة ميسورة لكل الناس ولكل الموظفين والعمال والطلبة والجنود وليس هناك عملاً في الوجود يعطّل عن هذه

---

(١) إن هذا التقديم والتأخير يكون من اول وقت الظهر إلى آخر وقت العصر ونفس الشيء بالنسبة للمغرب والعشاء ولكن من كان عنده متسعاً من الوقت فيُستحب له ان يدرك وقت فضيلة كل صلاة.

(٢) صحيح مسلم كتاب الصلاة باب الجمع بين الصلاتين.

(٣) صحيح البخاري ج١ ص ١٣٣ كتاب مواقيت الصلاة.

المواقيت ولا يبقى بعدها عذر لأي مسلم[1].

فالمعروف من قانون العمل في العالم أنه يضبط ساعات العمل بثمانية ساعات، على فترتين من الثامنة إلى منتصف النهار ثم ساعتين للإستراحة، ثم بعدها الفترة الثانية وتبدأ من الثانية بعد الزوال وإلى الساعة السادسة مساء.

ففي هذه الحالة يمكن للمسلم أنْ يصلّي الظهر والعصر في فترة الإستراحة قبل رجوعه للعمل، وهكذا فإنّه يكون قد صلّى الظهر والعصر في أوقاتها الصّحيحة فيرجع للعمل وهو مرتاح البال والضّمير.

أما إذا كان العمل متواصلاً كامل اليوم كما يقع في شركات المناجم وغيرها، فإنّ قانون العمل في هذه الحالة يضبط ساعات العمل بسبع ساعات متواصلة من ضمنها نصف ساعة للإستراحة، وقد تنظم الشركة وتُقسّم العمّال إلى ثلاثة مجموعات يتداولون على الأوقات:

١ ـ مجموعة تعمل من السّاعة السّابعة صباحا إلى الثانية زوالا.

٢ ـ مجموعة تعمل من الساعة الثانية عصراً إلى الساعة التاسعة ليلاً.

٣ ـ مجموعة تعمل من الساعة التاسعة ليلاً إلى الساعة الرابعة صباحاً.

(١) ويوجد قول لعلمائنا أن (الشيء كلما كثرت قيوده قل وجوده) فخففوا تلحقوا!!!

وبهذه الحكمة الإلهية لأوقات الصلاة فإنّ كلّ المجموعات تأتي بالصّلاة في وقتها وبدون أي حرج ولا يمكن لأي إنسان بعد ذلك أن يقول لا أجد وقتاً للصلاة أو أنّ مواقيت الصّلاة تفوتني فلا أدركها[1].

وبهذا نكون قد اتبعنا القرآن والسنّة في إقامة الصلاة لأن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً، وفي نفس الوقت نكون قد رفعنا الحرج والمشقة عن أنفسنا وعن غيرنا ولعلّ أكثر الشبّان الذين تركوا الصلاة يعودون إلى أحضانها إذا عرفوا بأنّ الله هو الذي شرّعها وعمل بها رسول الله وأهل بيته سلام الله عليهم[2].

---

(١) طبعاً لا نتكلم عن الحالات الخاصة التي قد تُفرض على بعض العمّال ليعملوا طوال عشر ساعات أو أكثر ويسمّى في القانون الساعات الزائدة فهؤلاء يمكنهم الصلاة إذا أرادوا، فالوضوء وصلاة الظهرين يحتاج إلى ست دقائق تقريباً، ونحن نسأل هل العامل لا يدخل الى المرحاض؟ وهل ذلك لا يحتاج وقتاً؟.

(٢) هذا فضلا عن أن هناك صلاة على كرسي الطائرة ويتوجه قدر الإمكان كما إذا أدركه شروق أو غروب الشمس، أو صلاة المريض المستلقي بل وصلاة الحريق والغريق، وقد ورد أنه (من أدرك ركعة فكأنما أدرك الصلاة)!.

هذه هي الزكاة

تختلف مدرسة أهل البيت عن غيرها من المذاهب الإسلامية الذين يقولون بوجوب الزكاة دون الخمس إذ أنّهم لا وجوب للخمس عندهم إلاّ من غنائم الحرب.

أما أهل البيت فيقولون بوجوب الزكاة ووجوب الخمس أيضاً في كلّ ما يغنمه الإنسان من أرباح ومكاسب فالمعروف من خلال السنّة النبوية الشريفة بأن الزكاة تجب:

١ ـ في النقدين: الذهب والفضة.

٢ ـ الأنعام الأربعة: الإبل والبقر، والغنم والمعز.

٣ ـ في الغلات الأربعة: الحنطة والشعير، والتمر والزبيب.

ونحن لو أمعنّا في هذه الموارد المذكورة في مصارف الزكاة فسوف ندرك بأنها لا تفي بالحاجة لبناء مجتمع إسلامي متكامل يطمح للتطور ومواكبة العصور ودفع الفقر والخصاصة عن أتباعه وتوفير الأمن والمعاش لهم وبناء المستشفيات والجامعات وتعبيد الطرقات

وضمان السكن والعيش الكريم والأجور إلى العاطلين وأصحاب الحاجة الذين أقعدهم المرض أو الكبر والعجز عن العمل.

والمعروف عادة عند الشعوب عامّة أنّ الطّبقة الغنيّة لا تتعدّى العشرين بالمائة، والطّبقة المتوسّطة التي تفي فقط بحاجاتها قد تكون بمعدّل خمسين بالمائة.

ويبقى في الشّعب نسبة كبيرة تمثل ثلاثين بالمائة من الفقراء الذين يستحقّون الإعانة والمساعدة.

فلو أخذنا بوجوب الزّكاة في الموارد التي ذكرها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم وبالقيمة المحدّدة لها وهي إثنان ونصف في المائة فسوف لا تفي بالحاجة وبمتطلبات العصر.

فالذي عنده آلاف الأشجار من الزيتون سيقول: أنا لا تَجب عليَّ الزكاة لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يذكر الزيتون، كذلك الذي له مزروعات من الأرز والحبوب الأخرى والذي يخرج في البحر ويصطاد أطنان الأسماك بالوسائل العصرية: لا تشمله الزكاة.

والذي عنده مدجنة فيها عشرة آلاف طائر من الدّجاج والبيض بدون حساب، هو أيضاً لا تشمله الزكاة والذي له من العقارات والمباني عمارات ومحلاتٌ سوف لا تشمله الزكاة أيضاً.

وحتى على فرض أن كلّ هؤلاء اقتنعوا بدفع الزّكاة فسوف لن يدفعوا إلاّ إثنين ونصف بالمائة، وهي نسبة ضعيفة لا تسمن ولا تغني من جوع.

أمّا الخمس الذي افترضه الله سبحانه وتعالى على المسلمين

بقوله تعالى: ﴿**واعلموا أنّما غنمتم مّن شيء فأنّ لله خمسه وللرّسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل . .**﴾ «الأنفال/ ٤١».

وقد فصّلنا القول في هذه الآية الكريمة في كتاب «مع الصادقين» ومن أراد البحث فعليه الرجوع إلى الكتاب المذكور ولا نريد إقناع النّاس بتأويل الأمويين لهذه الآية وتعطيلها وقصر حكمها فقط على غنائم الحرب بقدر ما نريد إقناعهم بعمل أهل البيت في هذا الموضوع، وأهل البيت أدرى بما فيه يعملون وفق الكتاب والسنّة ويقولون أنّ على المسلمين دفع خمس ما غنموه خلال سنتهم.

ونحن إذا تأملنا خلال عملية حسابيّة بسيطة فإنه يتجلى لنا الفرق الشاسع بين الواقع الذي عليه المسلمين اليوم وبين النظرية التي لم يقدّر لها أن تطبّق إلاّ عند فئة محدودة من الناس وبغير تنظيم.

خذ لك مثلاً، مُسلماً بسط الله رزقه ووسّع عليه فهو يملك عشرة آلاف دينار.

إذا عمل هذا المسلم عمل أهل السنّة فإنه يزكّي ماله هكذا: إثنان ونصف من عشرة آلاف يساوي مئتان وخمسون ديناراً أمّا إذا عمل هذا المسلم بعمل أهل البيت عليهم السلام فإن العملية تكون كالآتي:

خمس العشرة آلاف يعني عشرون بالمائة يُساوي ألفان ديناراً فإذا طرح هذا المسلم زكاته على مذهب السنّة والجماعة فإنّه سيبقى معه تسعة آلاف وسبعمائة وخمسون ديناراً وإذا طرحها على مذهب أهل البيت فسيبقى معه ثمانية آلاف ديناراً.

وعلى هذا الأساس فالمسلم الفقير عند أهل السنّة يحصل على مائتين وخمسين ديناراً كمعاش سنوي.

أما المسلم الفقير عند أهل البيت فسيكون معاشه السنوي قدره ألفي دينار، فالفرق بين الفقيرين كبير.

وإذا كانت زكاة السنّي تكفي لمعاش فقير واحدٍ فإنّ زكاة أهل البيت تكفي لمعاش ثمانية من الفقراء.

وإذا قارنّا بين غنيّ وفقير عند أهل السنّة فسيكون الحساب هكذا ٩٧٥٠ مقابل ٢٥٠ وهي نسبة ضعيفة جداً تمثّل واحد من أربعين يعني إذا كان للفقير رغيفاً من خبز فإنّ للغني أربعون رغيفاً.

أمّا المقارنة بين غني وفقير عند أهل البيت فسيكون الحساب هكذا ٨٠٠٠ مقابل ٢٠٠٠ وهي نسبة معقولة ومقبولة تْمثّل واحدا من أربعة يعني إذا كان للفقير رغيفاً من خبز فإن للغني أربعة أرغفة.

وبعبارة أخرى فإنّ فقير أهل السنّة ليس له إلا سهمٌ واحدٌ بينما غنيّهم يملك تسعة وثلاثون سهماً وهو كما ترى فرقٌ كبير وفاحشٌ وهو ما حذّر الله منه بقوله: ﴿**كي لا يكون دولةٌ بين الأغنياء منكم**﴾ «الحشر/ ٧» وبالفعل فإنّ الأغنياء في هذه الحالة والذين يمثّلون عشرون بالمائة من الأمّة يملكون ٩٥٪ من الثروة، بينما يملك بقية الشعب ٥٪ من تلك الثروة، أمّا فقير أهل البيت فله سهم من كل أربعة أسهم وهو فرق وإن كان كبير إلاّ أنه ليس بفاحش وإنْ كان للأغنياء ٧٥٪ من الثروة.

فإنّ بقيّة الشعب له ٢٥٪ من تلك الثروة[1] ومع ذلك فإنّ

---

(١) ومما يؤيد هذا الأمر، أنّ كثيراً من علماء الاقتصاد (السنّة) يؤكدون أن معدل (٢,٥٪) الخاص بالزكاة لم يعد كافياً لمواجهة الانفاق.. حيث ازدادت

الإسلام رغّب في صدقات التطوّع وندب إليها بل افترض على المسلمين بعض الصدقات الأخرى كزكاة الفطر والأضاحي والكفارات والنذور كما أعطى للحاكم الشرعي حقِ التصرّف ليأخذ من الأغنياء فيردّه إلى الفقراء إذا اقتضتْ الظروف ذلك أو ليرده إلى بيت مال المسلمين.

ولمّا كان الأمر الواقع غير الذي ذكره الله في القرآن وعمل به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وأهل بيته فإنك ترى دولة الأغنياء في الأمة الإسلامية فأغنياؤها قليلون جداً ولكنهم يملكون كلَّ شيء وفقراؤهم كثيرون ولا يملكون شيئاً.

وتفطّنتَ المعسكرات الشيوعيّة لهذه الظّاهرة في العالم الإسلامي فغزته بكل سهولة واستهوت شبابه المثقّف في الكليات والجامعات بنظريّة توزيع الثّروة على كلّ أفراد الشّعب.

حاجات الإنسان كثيراً بالمقارنة مع حاجاته في العصور السابقة، وفي هذا الصدد يلاحظون أنهم لا يجب أن نأخذ بحرفية النصوص القرآنية الخاصة بالشؤون السياسية والاقتصادية!!! راجع مدخل الى الاقتصاد الإسلامي د. عبد العزيز فهمي ص ١٦٣ بيروت.

فبدل أن نتهم النصوص وعجزها ـ وهذه من الأمور الجريئة التي تؤخذ على ألسنة من ادعائهم أن (الكتاب والسنة) لا يحتويان كل الأحكام، فتحتاج إلى وسائل وقياسات خارجة عنهما!!!

(ولو أنهم ردوه إلى الله ورسوله، لعلمه الذين يستنبطونه) وهم أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، فالحل يكون هو بضم (الخمس) وتوسعة حكمه بدل من تضييقه في غنائم الحرب فقط بل كل ربح للتوسعة، حتى يوسع الله تعالى على المسلمين ولخير البناء الإسلامي!

واعتنق أغلب شباب المسلمين الشيوعية وتبنّوا نظريّتها وتنكروا لدينهم ومعتقداتهم وأصبحوا ينقمونَ على آبائهم وأجدادهم، ولم يلق الإسلام بلاءً هو أشد وأخطر من الشيوعيّة، لأنّها خرّبته من الداخل وبأيدي أبنائه المثقفين الذين حاربوا الإسلام عندما وصلوا إلى الحكم وأثّروا في شعوبهم تأثيراً كبيراً.

ونحن إذا أمنا الشيّوعيّة فلا بدّ أن نُلقي باللّوم على المسلمين الأولين الذين حرّفوا أحكام الله فوصلتْ الأمور إلى ما وصلت إليه من فقر فاحش وتخلّف مُضنٍ وجهل مظلم وتعصّب أعمى..

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

المتعـة وأهميتها

إنّ أخطر المشاكل الاجتماعية التي تخرّب المجتمعات البشرية هي مشكلة الجنس.

والجنس كما هو معروف هو العنصر الأساسي لمواصلة الحياة البشرية، كما أرادها الله سبحانه وتعالى، الذي جعل الزوجية الذكر والأنثى في كل شيء في الإنسان والحيوان والنبات وغيرها.

قال تعالى: **﴿ومن كلِّ شيء خلقنا زوجين لعلّكم تذكّرون﴾** «الذاريات/ ٤٩» **﴿والله جعل لكم مّن أنفسكم أزواجاً وجعل لكم مّن أزواجكم بنين وحفدة . .﴾** «النحل/ ٧٢».

ومن أجل استمرار الحياة كان لا بدّ للذكر والأنثى من التناكح والتناسل وهي سنة الله في خلقه.

ومن أجل التناكح والتناسُل خلق الله في الإنسان تلك الغريزة الجامحة لدى الذكر والأنثى على حد سواء فكلّ جنس يشتهي ويرغب في الإتصال بالجنس الآخر عن طريق عملية جنسية يُشبع من خلالها

كل واحد منهما الذكر والأنثى غريزته من الطرف الثاني، فينشأ من ذلك تلاقح البويْضة بالنطفة المنوية ويتكوّن الجنين ليُواصل بدوره إذا بلغ الرشد نفس العملية وهكذا تتواصل الحياة، **﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربّك قديراً﴾** «الفرقان/ ٥٤».

ولكن الشّريعة الإسلامية وضعتْ لهذه الغريزة الجنسية قيوداً وحدوداً في تربية خاصّة قد لا يتحمّلها كل الناس.

من ذلك أنّه حُرّم الاتصال الجنسي إلاّ عن طريق الزّواج الشرعي وذلك لحفظ الفروج وحفظ الأنساب وحفظ النّسل وحفظ شرف الإنسان.

فقد تستيقظ الغريزة الجنسية عند الفتى والفتاة في سن مبكّر قد لا يتجاوز العاشرة من العمر فيمارسان الجنس بكل بساطة عند الشعوب الغربية التي لا ترى في ذلك بأس بل قد تراه أمراً طبيعياً فتشجّع عليه وتمهد له سواء بالإختلاط المبكّر، أو بممارسة العملية الجنسية للوالدين أمام أولادهم، وتعويدهم على مشاهدتهم عُراة إلى غير ذلك من الأعمال والمظاهر التي تفتح لهم باب الزنا على مصراعيه، فلا تصل الفتاة إلى سنّ الرابعة عشر إلاّ وقد أتلفت بكارتها عبر الإتصالات الجنسية التي مارستها ووصل الأمر بهم أن الرجل منهم إذا تزوج بامرأة ووجدها بكراً استغرب واعتبرها شاذة أو متوحشة.

أما عند المسلمين فالأمر يختلف كلياً، فلا مجال لكشف العورات أمام الأطفال، ولا مجال للإختلاط بين الذكر والأنثى إلاّ في

حدود معروفة، ومع فرض الحجاب على المرأة حتى لا يُرى منها غير الوجه والكفين.

أضف إلى ذلك التربية الخلقية والنفسية التي يتلقاها الأولاد من الوالدين وخصوصاً الفتاة من أمها فتنشأ على الحياء والخوف من الجنس، وأنّ بكارتها هي المقياس لعفّتها وشرفها وكمال جسدها.

وفي أغلب الأحيان تصل الفتاة إلى بيت الزوجية وهي لا تعرف من العملية الجنسية لا قليلاً ولا كثيراً وكذلك الأمر بالنسبة إلى زوجها.

هذا إن كان المجتمع مسلماً ويطبّق أحكام الشريعة، أو قل هذا المجتمع المثالي للمسلمين، والذي هو خيال لأنه يبدو عسيراً في التطبيق وشبه مستحيل إذ لا يمكن أن تطمس تلك الغريزة وتكبتُ عند الذكر والأنثى بأي شكل من الأشكال.

ومهما حاولنا تجاهلها فإنّ الذكر والأنثى عندما تتكون أعضاؤهما التناسلية وتثور لديهما غريزة الجماع فإنّهما سيُمارسان الجنس بأي شكل من الأشكال ومهما حاول الآباء والأمهات مراقبتهم، فإنّهم بلا شك سيجدون فرصة للإلتقاء، وفي أهون الظروف سيُمارس الذكور الجنس مع بعضهم والإناث مع بعضهنّ وهو أمرٌ خطير له أبعاده وأمراضه النفسية التي قد تكون سبباً رئيسياً في خراب الأسرة وبالتّالي فساد المجتمع.

وإذا كان المجتمع الغربي قد أفرط في ممارسة الجنس حتّى صارت العملية حيوانية لا تتعدى الشهوة الجامحة التي أصبحت من

حقّ الذكر والأنثى حتى ولو كانا متزوّجين فكلّ واحد يحترمْ ويقدّر مشاعر الطرف الثاني في ميوله وشهواته فللمرأة أن تمارس الجنس مع من أحبّت ولزوجها أيضاً هذا الحق المتبادل.

غير أننا في المجتمع العربي الإسلامي فرّطنا في مسألة الجنس فأهلكنا مجتمعنا بالعقد النفسية والكبت الجنسي والممارسات السرية، والتلهف على المرأة بشهوة حيوانية قاتلة.

وقد تفطّن العلماء والفقهاء المسلمون لهذه الحقيقة فأفتوا من الأيام الأولى في صدر الإسلام بوجوب فتح محلّات مخصوصة للممارسات الجنسية وإفراغ الشهوة الحيوانية، وقد وجد الفقهاء لهذه الظّاهرة فتوى أكسبوها شرعية إسلامية وسمّيت عندهم «سدّ باب الذرائع» بمعنى أنّه أحسن وأفضل من أن يتهجم الرجال على المحصنات من النّساء والفتيات العفيفات، فلا يجد الرجل بعد هذه المحلّات ذريعة يتذرّع بها أمام القاضي في حالة تلبّسه بجريمة الزنا.

فكلّ فتاة أو امرأة ضبطت متلبّسة وثبت أنّها تتمعّش من الخنا، فإنّ القاضي يضعها في تلك المحلات العمومية فتصبح مومسة محترفة تحمل بطاقة مهنيّة ويحميها القانون وتدفع على ذلك ضريبة إلى الحكومة.

وهذه المحلّات قد وُجدت من صدر الإسلام ولا زالتْ موجودة في كل البلدان العربيّة والإسلاميّة بشكل نادر بل قد تجدها متعدّدة بعدد المدن في البلد الواحد وقد تتداول المومسة على مدن متعدّدة بالتّناوب ليقع التجديد والتنوّع، مثل ما يقع لأي موظّف حكومي

تقتضي المصلحة العامة نقله من مدينة إلى أخرى أو من قرية إلى أخرى[1].

---

(١) جاء في كتاب ملتقى الأبحر، والدرر وغيرها في باب الحدود: ومن استأجرها ليزني بها فإنه لا يحد عند الإمام لأنه روي أن امرأة سألت رجلاً مالاً فأبىٰ أن يعطيها حتى تملّكه من نفسها، فدرأ عمر عنها الحد، وقال هذا مهرها خلافاً لها!

انظر إلى مالك والشافعي، وابن حنبل الأئمة الثلاثة، يشكلون على أبي حنيفة وعمر، ويقولون ليس بينهما ملك ولا شبهه فكان زنا محضاً!

وكما يقول السيد محمد حسين فضل الله: «إن الزواج المؤقت، يرفع عقدة النظر إلى الجنس على أساس الدونية، لا بل هو حق طبيعي للمرأة والرجل ولكن بشرط الضوابط الاجتماعية والشرعية!

بدل أن يعيشوا العقد والخوف، أو السقوط في العادة السرية والنظر إلى الدين أنه يعقد حياة الناس ويقيدهم، وتحل مشاكل الشباب المهاجرين والمسافرين في بلاد الغرب»

أقول: ولا نكون كتلك القائلة (لا هذه حرمها سيدنا عمر)!

المرأة عندنا مظلومة

بقيت المرأة في المجتمعات العربيّة والإسلامية مظلومة بشكل عام، وذلك من يوم المؤودة وإلى الآن.

ولم يفهم المسلمون حتى الآن بأنّ المرأة هي جسد وروح تماماً كالرّجل، لها فكر ولها قلب ولها شعور ولها غريزة، وليس للرجل أن يدّعي بأنّ له شرفٌ وعزّة وكرامة إلاّ وللمرأة أن تدعي كلّ ذلك أيضاً ورغم التربية التي جاء بها القرآن الكريم في المساواة بين الرجل والمرأة بقوله تعالى: **﴿يا أيّها النّاس إنّا خلقناكم مّن ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم﴾** «الحجرت/ ١٣» وقوله سبحانه وتعالى: **﴿فاستجاب لهم ربّهم أنّي لا أضيع عمل عاملٍ مّنكم مّن ذكر أو أنثى بعضكم من بعض..﴾** «آل عمران/ ١٩٥».

نعم لا ننكر بأن الله سبحانه وتعالى أعطى للرجل على المرأة درجة من أجل القيادة والاستقرار، ولا علاقة لهذه الدرجة بالتفضيل أبداً. قال تعالى: **﴿ولهنّ مثل الّذي عليهنّ بالمعروف وللرّجال عليهنّ**

درجة والله عزيز حكيم﴾ «البقرة/ ٢٢٨».

فحكمة الله اقتضت أن يكون الذكر والأنثى في الحقوق وفي الواجبات سواسية، كما اقتضت حكمته درجة القيادة للرجل لأن هذا الأخير أعطاه الله القوة لحمايتها ففي أشدّ حالات الخوف والفزع تحتمي المرأة بزوجها وتدس رأسها في أحضانه وهذه الدرجة تظهر وتتجلّى في حكم الله سبحانه وتعالى لمّا فرض القتال على الرّجل وأعفى المرأة من ذلك بل جعل جهاده واستشهاده في سبيل المرأة. قال تعالى: **﴿وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرّجال والنّساء والولدان. .﴾** «النساء/ ٧٥».

هذا ما فهمتُه من القرآن الكريم وليس ذلك معناه أنّ الله سبحانه وتعالى فضّل الرجال على النساء، لم يكن ذلك أبداً، فربّما رجل خير من مائة ألف امرأة، وربمّا امرأة هي عند الله يوم القيامة خير من مائة ألف رجل.

ولنا بعد ذلك في رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم أسوةٌ حسنة فقد عامل المرأة معاملة لم يعرف تاريخ الإنسانية أفضل منها، ولم يضرب في حياته امرأة من أزواجه رغم ما فعلنه فيه. وكان دائما يوصي المسلمين بالنّساء خيرا.

ورغم كل ذلك فإنّ المسلمين بقيت فيهم تلك النّعرة الجاهلية فإلى اليوم تسمع بأن فلانا طلّق زوجته لأنها لم تلد ذكرا، وإلى اليوم يرفع من كل القرآن شعار: واضربوهنّ، وأنّ المرأة هي بذرة الشيطان وأنها هي الفتنة وأنها هي العار وهي الفضيحة.

وبقيت المرأة عندنا متخلّفة ليس من حقها التعلّم والتعليم

والبعض لا يرضى بخروجها من بيت أبيها إلاّ إلى بيت زوجها أو إلى القبر[1].

والبعض الآخر يتشدّق بأحاديث مكذوبة فيقول أمام المثقفين من الرجال والنساء بأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم قال: «أفضل شيء للمرأة أنْ لا ترى رجلاً ولا يراها رجلٌ».

فأي عقلية هذه التي تعارض ما جاء في الذكر الحكيم من تحرير للمرأة وإعطائها نفس الحقوق التي أعطاها للرجل وإلاّ فما هو معنى قوله تعالى: **﴿قل لّلمؤمنين يغضّوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إنّ الله خبيرٌ بما يصنعون * وقل لّلمؤمنات يغضضن من أبصارهنّ ويحفظن فروجهنَّ ولا يبدين زينتهنَّ إلاّ ما ظهر منها. . .﴾** «النور/ ٣٠ ـ ٣١»».

فهذا أكبر دليل على حرية المرأة في الخروج من بيتها كما يخرج

(١) مما لا شك فيه أن الفقيه والواعظ هو ابن بيئته ومجتمعه، فهما إذ يمارسان عملهما فإنما ضمن الأمر الواقع، وبذلك لا يكلفان أنفسهما اظهار حكم الله ومواجهة المتغيرات وملازمة العدالة وهل المجتمع هو في جانب الإفراط أو التفريط؟ ومنها مثلاً: هل المرأة مظلومة أو أنها أعطيت كامل حقوقها الإسلامية؟! ولا نبقى معتمدين على بعض الأحاديث الضعيفة المحدودة الضيقة التي تتناسب مع بيئتنا وخلفياتنا الاجتماعية (دع الأمور في مجاريها) فضلاً عن العار الذي يحدث لهذا الشهم ولو كان عالماً في التحدث في هذه الأمور، بالإضافة إلى استهجان مريديه وأهل تلك المنطقة!

فمثلا لا يتحدث عن ماهية الحجاب أو تعليم المرأة، والاختلاط، والتلفزيون. . الخ. ولا ينتبه هؤلاء إلا إذا اصطدموا بالتغيرات والأحداث المفاجئة، والغزو الغربي لنا، عندها يتصرف كالمفاجأ فإما أن يبقى على موروثاته وتعصبه أو أن يجتهد في الوقت الضائع والسريع، يتجاذبه التصحر والتحضر، والبيئة المنغلقة والمنفتحة!!

الرجل، وهي مأمورة بغضّ البصر وحفظ الفرج تماماً كالرجل فهو مأمور بغضّ البصر وحفظ الفرج.

نعم العقلية الجاهلية بقيت سائدة إلى حدٍّ ما في المجتمعات العربية والإسلامية، واستغلّ المسلمون الرّجال هذه الدرجة التي أقرّها القرآن ليعطوا أنفسهم كلّ الحقوق ويسلبوا من المرأة كل حقوقها فلا يتركوا لها شيئاً.

ولستُ مبالغاً إذا قلتُ بأنّ سبب تخلّفنا الرئيسي هو ظلمنا للمرأة وسدّ الأبواب عليها وسدّ الأبواب في وجهها، فلا تعلّم ولا ثقافة ولا اتصال ولا خروج ولا حريّة ولا اختيار لها حتى في شريك حياتها فإلى وقت قريب تُزوج المرأة عندنا بدون اختيارها وكيف تختار وهي لا تعرف أحداً[1].

وهكذا تجد المرأة نفسها ليلة الزّفاف أمام رجل في سنّ أبيها فتستسلم إلى الأمر الواقع وهي مكرهة تندبُ حظّها التعيس فيقال لها، هذا ما كتبه الله لك فهو مكتوبك وما عليك إلاّ الصّبر، وتصبح كالبقرة الحلوب الولود شغلها الولادة والرضاعة وتربية الأولاد، لأنّ زوجها يحب كثرة الأولاد.

---

(١) تذكر كتب التاريخ والسير ان النساء كانت تغشي مجلس رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فتقول (زوّجني يا رسول الله)، وروي أنه جاء نسوة إلى الرسول، فقلن يا رسول الله (ما نقدرِ عليك في مجلسك من الرجال.. قال موعدكم بيت فلان، وآتاهن في ذلك اليوم ولذلك الموعد! وقد سمح الرسول للمرأة أن تقوم ببعض الأعمال، من ذلك قوله لامرأة عبدالله بن مسعود التي اضطرت للعمل للإنفاق عليه وعلى أولادها) لك في ذلك أجر ما أنفقت عليهم، فأنفقي عليهم! هذه وغيرها حتى قضايا الأحكام النسائية كالحيض والنفاس وغيره!

وينشأ نفور بين الزوجين لأن زوجها كبير ولا يواكب مسيرتها وغالباً ما ينتهي ويتركها، تعاني من آلام الغريزة والشهوة، ولأنّ الزوج يغار على زوجته الشابة من عيون الناظرين فهو يحاول جاهداً أن لا ترى أحداً ولا يراها أحدٌ.

ولكن الغريزة الجنسية تتغلب على الجميع فتنهار المرأة لأول فرصة كردّة فعل على الكبت والحرمان، وتنشأ من ذلك العلاقات المحرّمة الممنوعة، ولكن كل ممنوع مرغوب فكم من مرأة متزوجة لها عشيق، وكم من رجل متزوج له عشيقات، وكم من أطفال يولدون على حساب الغير وتكثر الشكوك والمشاكل والخصام والضرب والطلاق ويفسد المجتمع وتسقط القيم الفاضلة ليحل محلّها الفوضى والخيانة والزنا والفاحشة والرّذيلة.

وهو ما يقع الآن في مجتمعاتنا مع الأسف، فلا بدّ أن نواجه هذه الحقائق الأليمة ولا نغض عنها أبصارنا أو ندس رؤوسنا في الرّمال كما تفعل النّعامة عند الخوف.

وإنّي من يوم فهمتُ الإسلام وأنّه أفضل شريعة وأنا أنادي بتحرير المرأة وتثقيفها في النّدوات وفي المؤتمرات وفي النشرات، لأن المرأة هي أكثر من نصف المجتمع فإذا كان نصف المجتمع مشلولاً فإنّ جسد الأمة سيبقى عاجزاً عن أداء وظائفه وسينتهي إلى غير رجعة كما يفنى الجسم الذي شُلّتْ يديه أو رجليه.

ومن ظلم مجتمعنا للمرأة أنّنا فكّرنا في غريزة الرّجل وأوجدنا لها الحلول النّاجعة لسدّ باب الذرائع كما قدّمنا آنفاً، وفتحنا المحلاّت العمومية التي يرتادها عليها الرّجال متى شاؤوا لإفراغ شهوتهم ولا من

منكرٍ ولا من معارض فالأمر طبيعيّ جداً حتّى أنّه في بعض الأحيان يلتقي الأخ بأخيه والرّجل بابن أخته أو بأحد أقاربه فيشعر بنخوة واعتزاز لأنّ ذلك المكان هو دليل الرجولة، فلا يدخله إلاّ من بلغ مبالغ الرّجال.

وإنّ الواحد كان يفتخر على أقرانه بأنّه دخل ذلك المكان وتعرّف على النّساء، ولكنه لو رجع إلى البيت وفاجأ أخته تتفرّج على المارّة من الشبّاك فإن القيامة تقوم عند ذلك وتأكل المسكينة من الضّرب ما شاء لها القدر[1].

فلماذا فكّر الفقهاء في إشباع غريزة الرّجل وإطفاء نار شهوته ولم يفكروا في غريزة المرأة وإطفاء نار شهوتها إن كانوا مُنصفين؟.

وأنا لا أدعو أن تتحرّر المرأة عندنا كما هي الحال عند الغرب الفاسد الملحد الذي لا يؤمن بالقيم ولا بالأخلاق ولا يؤمن إلاّ بالحريات.

وإنّما أن تتحرّر المرأة عندنا في حدود ما رسمه الله ورسولُه من حجاب وعفّة وغضّ للبصر وحفظ للفرج وما عدا ذلك فهي حرّة في كل شيء ولها ما لأخيها الذكر في بيت أبيها كما لها ما لزوجها في بيت الزوجيّة، ولو فعلنا ذلك لأنقذنا أنفسنا ومجتمعنا من الفساد والرذيلة والتخلف.

لا شكّ أن الفقهاء فكّروا في ذلك ولكنّهم استبعدوا أن يكون

---

(1) حتى أن بعض الفقهاء من (السنة والجماعة) أفتى بالحد (مائة جلدة) على من نظر إلى امرأة أجنبية، استناداً إلى قوله صلى الله عليه وآله وسلم (العينان تزنيان) رواه أحمد بن حنبل في سننه والطبراني في الكبير عن عبدالله بن مسعود وصححه!!

هناك محلاّت عموميّة يتردد عليها النّساء لإفراغ شهوتهن فهذا أمرٌ لا يجوز أبداً.

ولعلّهم استنبطوا ذلك من إباحة الإسلام للرجل أن ينكح ما طاب له من النساء مثنى وثلاث ورباع وحرّم ذلك على المرأة وذلك لحفظ الأنساب والأولاد فالمرأة تحمل وتلد والرّجل لا يحمل ولا يلد.

ولكن تبقى الغريزة دائماً قائمة عند المرأة ولا بدّ من إيجاد الحلول الكفيلة لها لتحفظ كرامتها وشرفها وكيانها تماماً كالرّجل.

فهل أهمل الإسلام هذه الحقيقة يا ترى؟ هل أباح للرّجل في ذلك ما لم يبحه للمرأة؟

نعم تكلّم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في موضوع الجنس الشيء الكثير وأعطى الحلول الكفيلة لحفظ المجتمع الإسلامي من الفساد ومن الفاحشة.

فقد قال: «يا معشر الشّباب من استطاع الباءة فليتزوّج فإنّه أغضّ للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصّوم فإنّه له وجاء.»[1].

إنّه حلّ للشّباب الذين يستطيعون الباءة وكذلك يستطيعون الزّواج فمن تزوّج فسيشبعُ غريزته الجنسية كلما دعتْ الحاجة لذلك وكلمة الشباب تجمع الإناث والذكور فالزواج هو الحل للطّرفين.

ولكن يبقى المشكل قائماً عند الشّباب الذين لاَ يستطيعون الزواج وإذا كان في زمن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يوجد من لا

---

(١) صَحيح البخاري ج٦ ص ١١٧ باب من لم يستطع الباءة فاليصم من كتاب النكاح.

ستطيع الزواج مع سهولته ومع بساطته وقلة تكاليفه، فكيف بنا اليوم، والزواج أصبح عسيراً جداً لعدة أسباب.

منها أن الشباب إناثاً وذكوراً يتابعون الدّراسة والتعليم إلى سنّ الخامسة والعشرين في أحسن الظروف، ثم بعد ذلك لا بدّ لهم من العمل الذي يكفل معاشهم، ولا بدّ لهم من تحضير البيت وتجهيزه بمتطلبات العصر التي أصبحت ضرورية، فلا أقل من خمس سنوات من العمل والتوفير والزواج في سن الثلاثين هو المعدّل تقريباً في وقتنا الحاضر.

والشاب والشابة وهما يستطيعان الباءة من سنّ العاشرة أو الثانية عشر ولكنهما لم يستطيعا أن يتزوجا إلاّ في الثلاثين، فماذا فعلا طيلة هذه السنين الطويلة؟ إن قلنا بأنّهما تبتلا وترهبّا ولم يفكرا في الغريزة فقد كذبنا على أنفسنا لأنّهما بشر وليسا ملائكة خصوصا في عصرنا الذي أصبح الإختلاط فيه ضرورة من ضروريات الحياة فالطالب الجامعي يختلط بالطالبة في كل مكان ومن الإبتدائي إلى الثانوي إلى التعليم العالي الذي يكون في أغلب الأحيان بعيداً عن الوالدين وعن أنظار المراقبين، وقد تعيش الفتاة مع زميلها في الدّراسة تسعة شهور ولا تعيش مع أهلها إلاّ ثلاثة شهور. فماذا يحدث؟.

والجواب يعرفه الطّلبة أنفسهم كما يعرفه الأساتذة والعمال الذين يعملون في داخل البيت وخارجه.

الزواج المؤقت هو الحلّ

كما قدّمنا في فصل الجمع بين الصلاتين من حكمة الله سبحانه وتعالى في خلقه فهو الذي خلقهم وهو الذي يربّيهم ويدبّرهم ويرشدهم إلى ما يصلحهم وما ينفعهم لأنّه رحمٰن رحيم، ولأنه لطيف بعباده يريد بهم اليسر **﴿ألا يعلمُ من خلق وهو اللّطيف الخبير﴾** «الملك/ ١٤».

فكيف يتصوّر العقل بأنّ الله سبحانه خلق الإنسان ضعيفاً وخلق فيه تلك الغريزة الجنسيّة التي تثور فيه ثورة الوحش الكاسر ثم يحكم عليه بالجلد أو بالرّجم إذا ما أشبع تلك الغريزة الطاغية.

وهل بإمكاننا أن نُقنع غيرنا بالإسلام مع بيان هذه الأحكام ثم نقول له بأنّ الله لطيف بعباده، أو أنّ الله يريد بعباده اليسر، أو أنه لا يكلفُ نفساً إلاّ وسعها، أو أنّه ما جعل علينا في الدّين من حرج.

وقبل أن نُقنِع غيرنا فهل لنا أن نُقنع أنفسنا بهذه الحقيقة؟ كلاّ وألف كلا.

لأنّ العملية الجنسية قد تكون بدون اغْتصاب وبدون عنف وبدون فرض، بل تكون بحبّ وعشق متبادل بين الذكر والأنثى وبتراضي ووفاق تامّ وليس فيه ضرراً لأحدٍ من النّاس وقد يُحتاط لها حتّى لا ينتج عنها حمل وولادة، فكيف يقتلُ هذا الرّجل وقد أشبع غريزة امرأة لم تتوفّق للزواج وأقعدها الحياء والتعفّف عن تعاطي البغاء. خصوصاً وقد عرفنا ظلم مجتمعنا للمرأة عامّة.

كلّ ذلك لا يترك في نفسي شكّ بأن الله سبحانه الذي رخّص للمريض وللمسافر أن يفطر في شهر رمضان وأن يصلّي نصف الصلاة وفي بعض الحالات يصلّي من جلوس أو مضطجعاً، كما رخّص للمسلمين عند فقد الماء أن يتيمّموا صعيداً طيّباً، والأرض كلها مسجداً وطهوراً.

الله الذي رخّص للمسلم أن يظهر الكفر في بعض الحالات كي يحفظ نفسه وماله وعرضه.

الله الذي رخّص للمسلم بأن يجامع زوجته في ليلة الصيام، لأنّ الله يعلم أنه من العسير على الناس ذكوراً وإناثاً أن يصبروا على الجماع طيلة شهر الصّيام، فقال عزّ وجلّ: ﴿**أُحل لكم ليلة الصّيام الرّفثُ إلى نسائكم هنّ لباس لكم وأنتم لباس لهنّ علم الله أنّكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهنّ. . .**﴾ «البقرة/ ١٨٧».

وإذا كان الأمر كذلك فكيف يسكت الله سبحانه عن الغريزة الجنسية التي خلقها وهو أعلم بثورتها وبنتائجها الوخيمة التي تخرّب المجتمعات. وإذا كان هو الذي خلق المرأة من أجل الرجل وخلق

الرجل من أجل المرأة للإستقرار النفسي والسكينة فقال: ﴿**ومن آياته أن خلقكم مّن ترابٍ ثمّ إذا أنتم بشرٌ تنتشرون * ومن آياته أن خلق لكم مّن أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مّودّة ورحمة إنَّ في ذلك لآيات لّقوم يتفكّرون**﴾ «الروم/ ١٩ ـ ٢٠».

فهذه الآيات تخاطب الإناث والذكور معاً فالله خلقهم من تراب، وخلق لهم من أنفسهم أزواجاً ليسكن الذكر للأنثى ولتسكن الأنثى للذكر.

فلا بد إذن أن يضع الله سبحانه لعباده حلاً لهذه الغريزة حتّى يعيش الطرفان عيشة راضية مِلؤُها السّكينة وتحوطها المودّة والرحمة.

والمسلمون متّفقون كلّهم بأنّ الله سبحانه قد رحم عباده نساءً ورجالاً عندما رخّص لهم في زواج المتعة، وأنّ هذه الرّحمة قد نزلت والمسلمون في أحوج ما يكونون إليها، حتى أن الصّحابة وما هم عليه من الورع والتقوى، ثارت فيهم الغريزة الجنسية فلم يصبروا عليها ولم يقدروا على تحمّلها فاشتكوا للنّبي صلّى الله عليه وآله وسلم حتّى أن البعض منهم طلبوا من النبيّ أن يرخّص لهم في الاستخصاء[1].

أخرج البخاري في صحيحه عن قيس عن عبدالله رضي الله عنه قال: كنّا نغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم وليس معنا نساء فقلنا يا رسول الله: ألا نختصي؟

فنهانا عن ذلك فرخّص لنا بعد ذلك أن نتزوّج المرأة بالثّوب ثم

---

(١) الاستخصاء هو قتل الجهاز التناسلي عند الرجال إمّا بقطع الذكور وإما بقطع الخصيتين. أو بقطعهم معاً.

قرأ: ﴿**يا أيّها الّذين آمنوا لا تحرّموا طيّبات ما أحلّ الله لكم**﴾[1] «المائدة/ ٨٧».

الله أكبر ولله الحمد، سبحانه ما ألطفه بعباده وما أرحمه بهم، ينهاهم عن الإستخصاء ويرخّص لهم في التمتع بالنّساء ثم ينهاهم عن تحريم المتعة لأنها من الطيّبات التي أحلّها الله لهم.

فهذا دليل على رحمة الله بعباده حتّى لا يضرّوا أنفسهم بعملية الخصي التي حرّمها الله.

إذن فالعملية الجنسية هي فطرة طبيعيّة في الإنسان يجب عليه أن ينمّيها ويُزكّيها ولا يكبتها ولا يخنقها لأن ذلك يولّد أمراض نفسيّة وجسدية كلّ ذلك في حدود شرعية رسمها الله لعباده وبيّنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وهذه الرّحمة العظمى التي أعطى الله لعباده واعترف المسلمون بحلّيتها في القرآن الكريم حُرّمتْ بعد ذلك وادّعى أكثر النّاس أن تحريمها جاء على لسان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

ونحن نقول لهؤلاء بأنّ هذا الادّعاء لا يقبله العقل السليم لأن هذه الرخصة من الله سبحانه إنّما أُبيحت لحلّ مشكلة الغريزة الجنسية عند المسلم والمسلمة، فهل زالتْ المشكلة حتى تزول الرخصة أم هل يحق للنبيّ أن يحرّم ما أحلّه الله؟!.

أم هل أن هناك في الشريعة الإسلامية رخصة واحدة أباحها الله

---

(١) صحيح البخاري ج٥ ص ١٨٩ باب قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم﴾ من كتاب تفسير القرآن.

لعباده ثم حرّمها؟!

كلاّ والله! لا يوجد شيء من ذلك، ورحم الله أمير المؤمنين علي عليه السلام إذ قال: «إنّ المتعة رحمةٌ رحم الله بها عباده ولولا نهي عمر ما زنا إلاّ شقي»(1).

ونحن لا نريد في هذا البحث أن نثبت حلّيتها فقد أثبتناه في كتابنا «مع الصادقين» بقدر ما نريد أن نقول بعد كلّ هذا بأنّ أهل البيت عليهم السلام يقولون بحليّتها إلى يوم القيامة روايةً عن جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وبأنّ أهل البيت قد أسدوا للمسلمين خدمات جليلة حفظت لهم دينهم بمفاهيمه القيّمة التي تواكب كل

---

(1) كتاب المتعة لعبد الله الفكيكي.
كتاب مع الصادقين للمؤلف حيث يذكر مصادر الحديث.
ومن الكتب التي ألفت في المتعة، الفصول المهمة لشرف الدين ومسائل فقهية، البيان للخوئي، الغدير للأميني، المتعة في الإسلام للسيد حسين مكي، الزواج المؤقت للسيد محمد تقي الحكيم، الزواج المؤقت في الإسلام السيد جعفر مرتضى، مقدمة مرآة العقول!
وقد نسب القول بجواز المتعة:

١ ـ إلى الإمام مالك، راجع الهداية في شرح البداية ص ٣٨٥ بولاق مع الفتح القدير!

٢ ـ إلى أحمد بن حنبل عند الضرورة!
راجع تفسير ابن كثير ج١ ص ٤٧٤، وبعض الصحابة!
وهناك قراءة: عن ابن عباس، وأبي بن كعب ومجاهد، وسعيد بن جبير، وابن مسعود والسدي وغيرهم كانوا يقرؤون فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى!
وهناك حوالي أكثر من (٢٠) محدث ومفسر في (السنة والجماعة) قال بمشروعيتها فراجع!

العصور وكل التحدّيات[1].

وسوف لا يجد المسلمون في نهاية المطاف نهجاً يهدي للتي هي أقوم غير نهجهم، ولا مدرسة تواكب العصور الحضارية وترتفع فوق كل التحديات غير مدرستهم التي أُسّست على القرآن والسنّة **﴿أفمن يهدي إلى الحقّ أحقّ أن يتّبع أمّن لا يهدي إلا أن يُهدى فما لكم كيف تحكمون﴾** «يونس/ ٣٥».

(١) حيث ان المسألة الجنسية تثقل المجتمعات، فقد دار أحد علماء السنة حول المتعة لانها أمر واقعي، فكان يعقد عقد زواج دائم بين الرجل والمرأة ومن ثم يتم الطلاق بحسب الوقت المتفق عليه، أو بحسب الظروف، وهذا الزواج لا يُعلن عنه. تعددت الطرق والنتيجة واحدة.

المتعة شُرّعتْ لفائدة المرأة

إنّ المتعة رحمةٌ رحم الله بها عباده، تفيد الإناث والذكور، غير أنه كما قدمنا بأنّ الذكور عندهم الحريّة مطلقة ولهم أن يتمتّعوا في المحلات العمومية المخصّصة لهذا الغرض والمحمية من القانون.

ثم أنّ الرجال لهم أن ينكحوا ما طاب لهم من النّساء مثنى وثلاث ورباع، فالمتعة بالنّسبة إليهم متوفّرة إذاً في كل مكان وفي كل زمان.

ولذلك استنتج من أنّ المتعة التي رخّص فيها الله من أجل أن تتعادل حقوق النّساء بحقوق الرّجال في هذا الزواج المؤقت.

لأنّ هذا الزواج لا يمنع المرأة أن تنكح زوجا أو زوجين أو ثلاثة أو حتّى بدون عدد إذا احترمت العدّة والشروط المتّفق عليها والفرق الوحيد بينها وبين الرّجل هو أنّه بإمكانه الجمع بأربعة، وليس بإمكانها الجمع حتى بإثنين وذلك للسبب الذي ذكرناه آنفا وهو إمكانية اختلاط مياه رجلين في رحم المرأة فلا تدري من هو الأب، بينما يستحيل هذا الإشكال ولو كان للرجل الواحد عشرون زوجة[1].

---

(١) طبعاً بالزواج المنقطع.

وهذه سنّة الله في خلقه نشاهدها حتى عند الحيوانات الآليفة التي تعيش معنا.

فلو وضعنا نعجةً واحدة بين كبشين اثنين فستكون معركة دامية تنهي أحدهما، وعلى افتراض أنّ الكبشين تداولا على النّعجة فسوف لا نهتدي من هو الذي أولدها.

ولو وضعنا كبشاً واحداً بين قطيع من النّعاج فسوف لا يكون هناك معركة وسوف يكون كل الخرفان الذين يولدُون أبناء لذلك الكبش الواحد. وما نقوله في النعاج والأكباش يقال في الدّجاج والديكة وفي الأرانب وفي الإبل والبقر والمعز وغيرها من الحيوانات قال تعالى: ﴿**وما من دابّـة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلاّ أمم أمثالكم**﴾ «الأنعام/ ٣٨».

قال لي أحدُهم مرّة إذا كان الأمر كذلك فيمكن للمرأة العقيم التي يئست من الولادة أن تتزوج رجلين في نفس الوقت فالعلّة قد انتفتْ[١].

قلتُ: لا يمكن ذلك لأن الأحكام الإسلامية ليستْ موقوفة على العلّة فإذا انتفت العلّة سقط الحكم، فإذا قلنا أنّ علة تحريم الخمر هو فقدان العقل فقد قال تعالى: ﴿**لا تقربوا الصّلاة وأنتم سكارى حتّى تعلموا ما تقولون**﴾ «النساء/ ٤٣» فالذي يشرب كأساً أو كأسين ولا يفقد عقله يسقط عنه الحكم كلاّ يا صديقي فما أسكر كثيره فقليله حرام.

أو إذا قلنا أنّ علة تحريم الخنزير هي النجاسة والقذارة فلا

---

(١) المسألة ليست مادية فقط، فالعلم اليوم يعطينا نتيجة سريعة، هل هناك حمل ام لا، ولكنها مرتبطة بأمور معنوية وروحية، فطهارة الرحم المادية ليست هي الأساس، كالمرأة التي يطلقها زوجها بعد أن يكون قد امتنع عن مقاربتها فترة طويلة وقد تكون لسنوات وذلك لاسباب عديدة، فالعدة التي تعتد بها المرأة تبدأ من وقت الطلاق.

يكون أكله حلالاً إذا عُقِمَ وأبيدت جراثيمه ثم أنّ أحكام الله سبحانه لا تتوقف على علة واحدة، فقد تكون هناك علل متعدّدة لا يدرك مغزاها إلاّ الله سبحانه.

وعلى هذا لا بدّ لنا أن نقتنع بأحكام الله تعالى ونقبلها طائعين لأنّه لا يحكم على عباده إلاّ بما فيه صلاحهم وفلاحهم.

﴿أفحكم الجاهليّة يبغون ومن أحسن من الله حُكماً لّقوم يوقنون﴾ «المائدة/ ٥٠».

﴿ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم﴾ «الممتحنة/ ١٠».

من أجل ذلك كان على المؤمنين السّمع والطاعة قال تعالى: **﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعصِ الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مّبيناً﴾** «الأحزاب/ ٣٦».

فعلى المؤمنين والمؤمنات أن يقبلوا حكم الله في زواج المتعة ويشكروا ربّهم على تلك الرّحمة، خصوصاً المرأة التي أعطاها الله في هذا الزواج كل الحقوق ولم يعطِ للرجل غير القبول أو الرّفض.

ففي الزواج الدائم أعطى للرّجل حقّ الفراش فليس من حقها إذا دعاها زوجها أن ترفض، وله أن يضاجعها متى شاء، حتى أنه لا يحق لها شرعاً أن تصوم نافلة إلاّ بإذنه.

قال تعالى: **﴿نساؤكم حرث لّكم فأتوا حرثكم أنّى شئتم﴾** «البقرة/ ٢٢٣» كما أعطاه حقّ الطلاق، فالطلاق لمن أخذ بالسّاق **﴿يا أيّها النّبيّ إذا طلّقتم النّساء فطلّقوهن لعدّتهنّ﴾** «الطلاق/ ١» كما أعطاه حق إرجاعها قبل انتهاء العدّة قال تعالى: **﴿وبعولتهن أحق بردّهن في**

ذلك إن أرادوا إصلاحاً﴾ «البقرة/ ٢٢٨» كما آعطاه حق الطلاق ثلاثة مرّات قال تعالىٰ: **﴿الطلاق مرّتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان. . .* فإن طلّقها فلا تحلّ له من بعد. . ﴾** «البقرة/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠». كما أعطاه حق الزواج المتعدد. قال تعالىٰ: **﴿فانكحوا ما طاب لكم مّن النّساء مثنى وثلاث ورباع﴾** «النساء/ ٣».

ولكن في زواج المتعة كل شيء بيد المرأة. فهي صاحبة القرار، حتى عقدة النكاح فهي بيدها تقول: زوّجتك نفسي بمهر قدره كذا ولمدة كذا وعلى شرط كذا وكذا.

وللزوج أن يقول قبلتُ، أو رفضتُ فهي التي عيّنت تاريخ الزواج وهي التي عيّنتْ طلاقها بدون قيد ولا شرط.

ثم لها أن تشترط كل ما تريد عليه كأن تقول: على شرط أن لا تغادرني طيلة المدّة ولا تتزوج غيري أو تقول مثلاً: على شرط أن لا تجامعني، أو على شرط الجماع مع العزل حتى لا أحمل أو أن تقول مثلاً: على شرط أن نقضي شهر العسل في مكة المكرمة.

المهمّ أنّ المرأة في زواج المتعة بإمكانها أن تشترط ما تريد، قال تعالى: **﴿فما استمتعتم به منهنَّ فئاتوهنّ أجورهنّ فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة إنّ الله كان عليماً حكيماً﴾** «النساء/ ٢٤».

ويكفي المرأة شرفاً أنّها تزوّج نفسها في نكاح المتعة ولا يزوّجها ولي أمرها، وبعبارة أخرى أن المرأة هي التي تتزوج الرجل.

الزواج المؤقت وإيجابيّاته

مع الأسف أنّ المسلمين لا ينظرون إلى هذا الزواج إلاّ بعين النقد ولا يبحثون إلاّ عن سلبياته مع قلّتها ولا ينظرون إلى إيجابياته على كثرتها.

والحقيقة أن كل شيء أو كلّ عمل له سلبٌ وإيجاب ولكن الإنسان عدوّ ما جهل.

ولأنّ هذا الزواج لم يقدّر له أن يمارس ويطبّق من زمن عمر بن الخطاب فالناس يعتبرونه كالزّنا، وينظرون إليه باشمئزاز وغرابة.

وهذا ليس معناه أنّه قبيح في حدّ ذاته كلا، ولكنّ الناس لم يعرفوه ولم يُمارسوه.

وخذ لك مثلاً على ذلك: الجمع بين الصلاتين أو زكاة الخمس، أو مسح الرجلين في الوضوء.

فبالرّغم من وجودهم في القرآن وبالرّغم من أن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلم فعل كل ذلك وأمرَ به، إلا أن أكثرية الناس يجهلونه

ويستغربون منه لا لشيء سوى أنهم ما ألفوه في حياتهم اليوميّة وما عرفوه من قبل.

فتراهم لا يستغربون من الزنا كاستغرابهم من زواج المتعة حتى أن بعض الفتيات كانت تراود أحد الشبّان على الزنا، ولمّا امتنع وطلب أن يتزوّجها زواج متعة امتنعتْ هي الأخرى وقالت نحن لا نعرف هذا الزواج.

وإذا ما ناقشت علماءهم في حلِّية هذا الزواج ومشروعيته بالأدلة القاطعة من البخاري ومسلم، وعندما تُعييه الحيلة تراه يقول: إن هذا الزواج هو امتهان للمرأة وعندما تثبت له عكس ذلك عند ذلك يلجأ إلى التهريج فيقول لك: هل تزوجني أختك أو ابنتك زواج متعة؟.

إنهم يتكلمون بعقلية الهيمنة على المرأة وأنها لا تزوّج نفسها وزواجها بيد ولي أمرها، أو يتصورون بأنّها كالبقرة تباع وتشترى وليس لها من رأي اختيار في زوجها، فهذا هو الإمتهان لها.

فزواج المتعة هو رحمة من الله لها وليس إمتهاناً، وبما أنه رخصة وإباحة فلها أن ترفضه، فليستْ هي مغصوبة وليستْ مكرهة عليه.

وإذا كان هذا الزواج امتهاناً لها فإنّ إدخال الضرّة عليها رغم أنفها لتشاركها في بيتها وفي زوجها طيلة حياتها ثم تُشاركها الميراث بعده، أشدّ عليها من أن يتزوج بعلها متعة عابرة قد لا تراها ولا تسمع بها.

وكما قدّمنا آنفاً أن المتعة بشروطها وحدودها هي في فائدة المرأة وليست لمضرّتها وبما أنها ليستْ مفروضة على أحد، لا من

النساء ولا من الرّجال فلماذا كل هذا التهريج والتّشويه.

أكرّر أسفي على هذه الأمّة المنكوبة التي تدّعي مودّة أهل البيت ولكنّها تخالفهم في كل الأحكام التي رووها عن جدّهم وعملوا بها، اي الأئمة الإثنا عشر، ورغم أنّ المذهب الجعفري والذي هو فقه الإمام جعفر الصادق، يدرّس في الأزهر الشريف بالقاهرة، إلاّ أن هناك بعض النعرات التي لا زالت تشكك في صحّته أو صحة انتسابه إليه.

من المؤكّد أنّ الأئمة الاثنا عشر من أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وعلى رأسهم أمير المؤمنين الإمام علي كان ينادي في الناس بحلّية هذا الزواج ويقول بأنه رحمة وإذا أضفنا إلى هؤلاء عبدالله بن عباس حبر الأمّة الذي كان يُنادي في النّاس بحلّيته، تأكّدنا من أن المسلمين انقسموا إلى معسكرين أو إلى فئتين اثنتين فئة قليلة تؤيّد وتعمل بعمل أهل البيت عليهم السلام وفئة كثيرة تؤيّد وتعمل بعمل الخلفاء والصحابة.

وبقيت الأمور إلى حد الآن كما هي عليه فأتباع أهل البيت يُحلّلون وأتباع الخلفاء يحرّمون.

ولكلّ ذلك فنحن إذ نقدم هذه الأطروحة لا نُجبر أحداً بقبولها والعمل بما فيها، فالنّاس أحرار في اختيار ما يقتنعون بصحّته، ولكن علينا أن نكشف الأمور المحجوبة عنهم ليتبيّن الحقّ لمن أراده وبحث عنه.

وفي نظرنا أنّ الزواج المؤقت له من الإيجابيات الشيء الكثير، منها:

١ ـ أنّ الطالب والطّالبة اللذان يعيشان مع بعضهما طيلة السنة الدراسية وهما في سنّ ثورة الغريزة الجنسيّة لو تزوّجا زواجا مؤقتا للمعاشرة والمصاحبة والإستمتاع حتّى بدون جماع ما دام الشرط قائماً ومقبولا من الطرفين وذلك لمدة الدراسة ثم بعد ذلك يقرّران إن كانا يرغبان في الزواج الدّائم، فالزواج الأول قد أعطاهما فرصة التعرّف على بعضهما أحسن المعرفة، ومكّنهما من تذليل كلّ العقبات التي قد تعترض مسيرتهما.

وهذا الزواج سيُوفر عليهما الرّاحة والإستقرار والسّكينة ويمكنهما من متابعة الدّروس بكلّ راحة وستكون علاقتهما علاقة شريفه ومشروعة توفّر عليهما راحة الضّمير ورضا الله سبحانه وتعالى وسيأمنان من المشاكل وملاحقة الطّلبة الآخرين الذين ما إن يعرفوا بهذا الزواج يتوقفوا عن مراودتهما.

أمّا أن تبقى الطالبة تتنقّل من واحدٍ لآخر وفي محفظتها عشرات الرّسائل التي تغازلها وتمنّيها وفي جيوبها حبوب منع الحمل لأنها تخشى الفضيحة وتحمّل المسؤولية.

وأن يلعب الشباب بمصير الفتيات ويفضّلوا التنقّل من واحدة إلى أخرى ليتذوقوا عُسيلة كل واحدة كما تتذوق النحلة من الأزهار، ويعبثوا بمستقبلهن وبمشاعرهن ولا يراعوا مشاعر أسرهنّ وأهليهنّ وكلّ ما في رؤوسهم أنها زميلة الدراسة تنتهي مع الكليّة ثم تعود الفتاة إلى بلدها ووراءها عشرات الأصابع التي تشير باتهامها، ووراءها عُقد نفسية من مخلّفات الخائنين الذين وعدوا ولكنّهم بعد الحصول على مُبتغاهم أخلفوا، فهي تحقد على مجتمعها وتحاول الأخذ بثأرها والإنتقام لنفسها فهذا أمر غير معقول.

٢ ـ إنّ المسافر الذي يستغرق سفره مدّة طويلة في غير وطنه وهو بعيد عن زوجته، قد يمكنه الصبر وإلاّ فعليه بالزواج المؤقت الذي يضمن راحته واستقراره ولا أشكّ في أنّ زوجته ستوافقه على ذلك راضية. فهي تعرف زوجها أكثر من غيرها، وخير لها أن يكون زوجها في بيت امرأة شريفة تزوّجته هي الأخرى لتحافظ على شرفها وتستفيد من رحمة الله بها، من أن يكون زوجها يبحث في كل يوم عن عاهرة مومسة من بائعات الهوى على قارعة الطريق فتأخذ ماله وتعطيه من الأمراض الفتاكة ما يهلك الحرث والنسل لأنها تخالط السّليم والسقيم ومرّات عديدة في اليوم الواحد بينما زواج المتعة يحرّم ذلك فإنّ من شروطه أنْ لا تتزوج المرأة ثانية إلا بعد عدّتها وعدّتها حيضتين أو شهرين إن كانت في سنّ اليأس.

٣ ـ الزواج المؤقت يحلّ مشكلة المرأة العانس التي لم تتزوج لسبب من الأسباب، فالإسلام يُبيح لها أن تتمتّع لإشباع رغبتها الحنسية عن طريق الحلال.

٤ ـ الزواج المؤقت يحل أيضاً مشكلة الأرملة التي توفى عنها زوجها فلا تقدر على الزواج الدائم من أجل أولادها أو من أجل أسباب أخرى.

٥ ـ كثيراً ما يقع في أوساطنا ومجتمعاتنا العربية أنّ امرأة حسنة تعشق شاباً مراهقاً في سنّ ولدها فيتعلّم هذا الأخير عمليّة الجنس عن طريقها ويعيشون معا في معاشرة محرّمة شرعاً خوفاً من الفضيحة، فزواج المتعة يحلّل لهما هذه المعاشرة ويحفظ كرامتهما.

٦ ـ المرأة التي تخاف السفر لوحدها أو تمنعها بعض الدّول من

السفر إلاّ مع محرم بإمكانها أن تتزوج متعة فقط من أجل الطريق ومن أجل السفر فيكون الزواج لهذه المصلحة وبدون جماع.

٧ ـ الرّجل الذي يشغّل عنده في البيت فتاة لقضاء شؤون البيت وإعانة زوجته فالإسلام لا يُبيح له لمسها ولا يُبيحُ لها أن تقابله بدون حجاب وقد يحرجُها الحجاب عن العمل داخل البيت وبين يدي سيّدها، فبإمكان هذا الرّجل أن يزوج ابنه الصّغير[١] لهذه الفتاة بعقد المتعة ولمدة الشغل وبذلك تصبح كنّته ومن مجارمه فيزول الإشكال.

٨ ـ الفتاة التي تضطرّ للإختلاء في بيت شابٍّ من أجل التعليم في بعض الساعات الإضافية أو تعليم لغة أجنبية أو لسبب من الأسباب الأخرى فالإسلام يكره لها الخلوة «ما اختلى رجل وامرأة إلاّ كان الشيطان ثالثهما» فزواج المتعة يحلّ لها هذه الخلوة ويحل لها أن تصافحه وتنزع حجابها أمامه والمهمّ لها أن تشترط ما تريد.

وهناك حالات أخرى كثيرة تكون فيها المتعة رحمة للناس لئلاّ يدخلوا في ما حرّم الله ولبقاء المجتمع الإسلامي سالماً وسليماً من كل الشوائب ومن الأمراض الجسمية والنّفسية، وللحفاظ على الفروج والأنساب والأعراض[٢].

---

(١) قد لا يتجاوز عمر الصبي العاشرة، والزواج المصلحي لا يقصد منه بالضرورة المعاشرة الجنسية، وإنّما لإباحة ما كان محرّماً، وليس معناه إباحة ما حرّم الله فهذا كفر، وإنّما اتباع الشرع في ما يُبيحه ألا ترى بأنّ مصافحة المرأة محرّم ويباح بالعقد الشرعي.

(٢) كنت أحضر في أحدى الكليات السنية رسالة دراسات عليا، واذا بموظفة، تعاتب الدكتور بأنه لماذا لم يحضر البارحة؟!

=

﴿قل إنّ الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ «الأعراف/ ٢٨». ﴿إنّ الله يأمرُ بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلّكم تذكّرون﴾ «النحل/ ٩٠».

= اذ هي قد هيئت الگاتو (الگيك) بالمناسبة، وكان الاستاذ يعتذر إليها!!! فأقول اذا لم يكن هناك عقد او متعة فما المبرر الشرعي عندهم في الاجتماع والاختلاط ذكر وانثىٰ؟!!

هذا هو المهدي عليه السلام

إنّ المسلمين عامّة قديماً وحديثاً يعتقدون بالمنقذ الذي سيعيد إليهم عزّهم ومجدهم ويصلح ما أفسده الظالمون ويجدّد للأمة معالم دينها وهذا المنقذ المصلح هو الإمام المهدي المنتظر سلام الله عليه الذي بشّر به جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم بقوله: «لو لم يبقَ من الدنيا إلا يومٌ واحدٌ لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يظهر المهدي من ولدي إسمه كإسمي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما مُلأت ظلماً وجورا»[1].

وهذا المنقذ للبشرية الذي سيكملُ مسيرة الأنبياء والمرسلين في الأرض ليتمّ نور الله على يديه هو محطّ أنظار الديانات الثلاثة الكبرى اليهودية والنصرانية والإسلام، فكلّهم ينتظرونه وينسبونه إليهم للروايات العديدة الواردة عندهم في شأنه وبما أننا نعتقد جزماً بأن

---

(١) كتاب الجمع بين الصحاح الستة باب علامات الساعة وكتاب العقائد الإسلامية للسيد سابق.

الشريعة المحمدية هي الخاتمه وأنه لا نبي بعد محمّد صلى الله عليه وآله وسلم فلا نشكّ في أنّ المهدي هو من ذريّة المصطفى وهو خاتم الأئمة الإثني عشر والذي يصلّي خلفه عيسى بن مريم عليه السلام تعظيماً وتشريفاً لقدره.

ونحن في هذه العجالة لا نريد البحث حول المهدي من حيث التأريخ والأحاديث النبوية الشريفة فقد تكلّمنا عن ذلك في كتاب «مع الصادقين» وقد كتبت في المهدي كتب عديدة وموسوعات وأبحاث.

ولكن نريد فقط إبراز عقيدة أهل البيت عليهم السلام فيما انفردوا به عن سائر المسلمين من أحكام وعقائد تتماشى وتحدّيات العالم بل وتسبق تلك التحديات في بعض الموارد.

فالمسلمون والنصارى واليهود، طغت عليهم الأمور المادية إلى حدّ ما وابتعدوا عن الدّين نوعاً ما وابتلوا في حياتهم بالمذاهب الإلحادية والمادية والعلمانيّة فضعُفت عندهم العقيدة الروحيّة وأصبحوا يبحثون عن حلول فلا يجدونها إلا في البشارات السّماوية.

أضف إلى ذلك الحروب الدّامية التي أنهكتْ البشرية وخصوصاً المستضعفين في كل بقاع الدّنيا، والذين يموتون جوعاً بالملايين، والظّالمون لا يتورّعون وهم يتسابقون لكسب الأسلحة الفتاكة المدمّرة واحتلال الشعوب بشتى الأساليب الثقافية منها والإقتصادية والتكنولوجية.

فلولا الأمل الذي يعيشه الإنسان لمستقبل أفضل تسوده العدالة والأمن والحياة الكريمة، لما كان لهذه الحياة طعم ولا معنى.

ولولا إيمان المسلمين بأنّ الله سبحانه وتعالى وعد بنصر دينه

ليهيمن على الدّين كله. قال تعالى: ﴿هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدّين كلّه ولو كره المشركون﴾ «التوبة/ ٣٣».

لولا هذا الإيمان لدبّ اليأس في نفوسهم وأصبحوا من الخاسرين، وهذا الإيمان هو الذي يبعث في النّفوس النّشاط والحيوية وحبّ الحياة والتطلّع إلى غدٍ أفضل، وانتظار الفرج، فإن بعد العسر يسراً.

هذا هو المهدي، هذا هو أمل المسلمين بل أمل الإنسانية قاطبة، والإيمان به لا يدعوا إلى السخرية قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿قل يا عبادي الّذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رّحمة الله إنّ الله يغفر الذّنوب جميعاً إنّه هو الغفور الرحيم * وأنيبوا إلى ربّكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثمّ لا تنصرون * واتّبعوا أحسن ما أنزل إليكم مّن ربكم مّن قبل أن يأتيكم العذاب بغتةً وأنتم لا تشعرون * أنْ تقول نفسٌ يا حسرتي على ما فرّطتُ في جنب الله وإن كنتُ لمن السّاخرين﴾ «الزمر/ ٥٣ ـ ٥٦».

«ثم اهتديت» كتاب أهل البيت

إنّ لأهل البيت كرامات ملموسة حتى في أيامنا وكم نسمع من هنا وهناك بعض الشيعة يتكلمون عن الكرامات التي عاشوها أو شاهدوها بفضل أهل البيت عليهم السلام، كيف لا وهم أئمة الهدى وأعلام الورى ومصابيح الدّجى.

وإذا كان عمر بن الخطاب لم يعرف قدرهم في زمانه فلقد دلّنا على عظيم شأنهم عند الله سبحانه عندما توسّل إلى الله تعالى بالعبّاس عمّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلم، والعبّاس ليس هو من الذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً وليس هو من الذين أوجب الله الصلاة عليهم كما يصلّى على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، وليس هو من الذين افترض الله على المسلمين مودتهم وليس هو من الذين أورثهم الله علم الكتاب، وليس هو من الذين سلّم الله عليهم في محكم التنزيل فقال: سلام علَى آل يس، وليس هو من الأئمة الذين أوجب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم على الأمّة اتّباعهم

والركوب في سفينتهم، وليس هو من الذين ورثوا علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ولكن ومع ذلك فإنّ الله سبحانه استجاب لعمر بن الخطاب لأنّه توسّل بقرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولو أنّه توسل بعلي وفاطمة والحسن والحسين لرأى من ذلك العجب العجاب ولنزلت عليهم بركات السماء والأرض ولأكلوا من فوق رؤوسهم ومن تحت أرجلهم.

والمهمّ هو أن عمر بن الخطاب كشف لنا أمراً مهمّاً جدّاً وأظهر لنا ما كان مستوراً، ألا وهو أن لقرابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كرامات لا تخفى فهم القوم الذين لو أقسموا على الله لأبرّهم والدّليل أنّ عمر لما مسّه الضرّ وأحسّ بالقحط والمجاعة التي تهدد المسلمين بالهلاك، عند ذلك إلتجأ إلى الله بقرابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فنزل المطر بإذن ربّه كرامة لقرابة الرّسول.

فأين الوهابيّة الجاحدة لهذه الحقائق الدّامغة وأين المسلمون الذين حجبوا أنفسهم لمعرفة هذا الحق وهذا ما يذكرني بأحد علماء الزيتونة عندنا في تونس وهو الشيخ جلّول الجزيري رحمه الله وقد منَّ الله عليه بالإستبصار عن طريقي وقد كتب كتابه الأخير وذكر فيه حادثة الغدير وبيعة أمير المؤمنين، وفضائل أهل البيت وكرامتهم على الله وحدّثني رواية أن تونس العاصمة أصابها قحط ومجاعة حتى كاد يهلك النّاس ورغم أنّهم صلّوا صلاة الاستسقاء عدة مرّات ولكن منعت السّماء وجفّت الأرض فجاء النّاس يشتكون إلى أحد الصالحين وهو العلاّمة الشيخ ابراهيم الرّياحي وطلبوا منه أن يدعو الله لعلّه يستجاب

هـ. فقال لهم اجمعوا لي مائة رجل من الأشراف[١] لأصلّي بهم صلاة الإستسقاء فجاءه مائة رجل من الأشراف فصلّوا صلاة الإستسقاء فلم يكملوا صلاتهم وكان الحرّ شديداً فإذا بالمطر ينزل كأفواه القرب وتواصلت ثلاثة أيام وسالت الأودية بغزارة حتى خافوا من الغرق[٢] هذه كرامات أهل البيت في كل زمان وفي كل مكان.

وأنا بعدما اهتديتُ إليهم بحمد الله تعالى وكتبتُ كتابي الأول «ثم اهتديت» لم أكن أتصور أنه سيلقى هذا القبول وهذه الشهرة.

وبهذه المناسبة لا بأس بذكر طريفة ألفتني إليها الأخ العزيز والعالم الجليل الدكتور أسعد علي عندما زرته في بيته بالمزّة في دمشق وكنّا نتجاذب أطراف الحديث وسط مجموعة من محبّيه ومريديه وهو أديب كبير فذكّرني بأمرٍ انشرح له صدري قال لي: قرأتُ كتابك «ثم اهتديت» وعرفتُ سرّ الكتاب قلتُ متعجّباً وما سرّ الكتاب؟ فقال: إنّك لما دخلت لأول مرّة في ضيافة سيدنا موسى الكاظم وقلت: اللهمّ ارحمه إن كان من الصّالحين فعمل هو بقول الله تعالى، وإذا حُيِّيتم بتحيّة فحيّوا بأحسن منها أو ردّوها، فلما حييته بقولك اللهمّ ارحمه، حيّاك هو بأحسن منها فقال اللهمّ إهده، فاسنجاب الله له وهداك فكان بعد ذلك هذا الكتاب وهو سرّ نجاحه.

---

(١) الأشراف في تونس هم السّادة من نسل الشرف الذي ينحدر من نسل النبي عن طريق علي وفاطمة الزهراء عليهما السلام.

(٢) كما ذكر الشيخ جلول الجزيري في كتابه المسمّى «الفوائد الفاخرة لزاد الدنيا والآخرة» في صفحة ٧٨ نقلاً عن تاريخ ابن ضياف أنه لما نزل الوباء بتونس اجتمع شيوخ العلم بجامع الزيتونة وقرروا أن يجمعوا أربعين شريفاً ويكون اسمهم محمد ويدعون لرفع الوباء فجمعوهم فأنقذهم الله بسببهم ورُفع الوباء.

وهذه حقيقة آمنتُ بها ودخلتْ في قلبي وآمنتُ أنّ أهل البيت سلام الله عليهم هم السرّ وراء نجاح الكتاب بلا شك فما لقيت إنسانا إلا وأبدى إعجابه للكتاب فقد طبع أكثر من عشرين طبعة وقد تُرجم إلى سبعة عشر لغة في العالم، وقد اهتدى به إلى الحق آلاف من المسلمين في كل بقاع الدنيا بالخصوص في أفريقيا السوداء حيث لا يوجد هناك شيعة والمسلمون يعيشون على الفطرة بدون خلفيات مذهبيّة[1].

(١) ففي العراق وإيران تجد عندهم من قصص الكرامات ما تحقق وثبت للعيان آثاره وهكذا لدى الزوار الآخرين من الهند والباكستان، وأفغانستان وكثير ممن زاروا أو جاوروا أئمة أهل البيت عليهم السلام، وتبركوا بمقاماتهم الشريفة من علماء وغيرهم!!!

«ثم اهتديت» يدخل المحكمة

إيماناً منّي بأنّ الناس على دين ملوكهم، وتأسّيا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي بعث برسائل متعددة إلى ملوك عصره يدعوهم إلى الإسلام. وكانت تلك الرّسائل تحمل نفس النّص وقد جاء فيها عبارة: «أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرّتين فإن تولّيت فإنّ عليك إثم المجوس».

فهذا دليل على أن النّاس على دين ملوكهم، إن أسلم أسلموا وإن تولّى تولّوا، إن كفر كفروا وإن أشرك أشركوا.

وخامرتني الفكرة لإرسال كتاب «ثم اهتديت» إلى الرؤساء والملوك العرب مرفقاً برسالة ودّية تليق بمقامهم، عسى أن يذّكّروا فإنّ الذكرى تنْفع المؤمنين، وبما أنّهم رأس السلطة الحاكمة في هذه الدول من الأمة، فهم أهل الحل والعقد كما يقولون، ومسؤوليتهم على مصير الشّعوب ومصير الأمة الإسلامية مسؤولية عُظمى فكلّكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيّته.

وإيماناً منّي بأنّ الرابحين في الدنيا والآخرة هم المؤمنون الذين يعملون الصالحات ويتواصون بالحق ويتواصون بالصّبر «وأنه لا يؤمن أحدكم حتّى يحبّ لأخيه ما يحبّه لنفسه» «ولئن يهدي الله بك رجلا واحداً خيرٌ لك من الدنيا وما فيها».

لكلّ ذلك بعثتُ بكتاب «ثم اهتديت» إلى كلّ من الملك الحسن الثاني، والرّئيس الشاذلي بن جديد، والرئيس زين العابدين بن علي، والرئيس معمّر القذافي، وإلى الملك الحسين بن طلال وأخيه ولي عهده الحسن، وإلى الملك فهد بن عبد العزيز.

وكل كتاب أرسلته بإهداء ومعه رسالة عن طريق البريد المسجّل المضمون الوصول، ووصلت الكتب إلى كلّ واحدٍ منهم فقد تلقّيتُ وصولات البريد تحمل إمضاءات الإستلام من رؤساء ديوانهم وانتظرتُ الرّدود طويلاً فلم أتلقّ إلاّ ردّاً واحداً من الرئيس زين العابدين بن علي رئيس الجمهورية التونسية التي عبّر لي عن خالص شكره، وقد سئلتُ في ندوة صحافية بالهند عندما ذكرتُ هذه القصّة: «هل تعتقد بأنّ الرئيس زين العابدين قرأ كتابك» فقلتُ: إنّ الرئيس له من المشاغل والمشاكل ما يشغله عن قراءة كل كتاب فإنْ قرأه فهو مشكور وإن لم يقرأه فهو معذور، والمهمّ أنه الوحيد من بين الرؤساء والملوك الذين أرسلت إليهم الذي أجاب على رسالتي.

وفي انتظار الرّدود وقبل وصول رسالة الرئيس إليّ سافرتُ إلى تونس وفي سيارتي مائتي نسخة من كتاب «ثم اهتديت»، وفي الميناء كان أعوان الجمارك يتردّدون في حجزها فاستدعوا رئيسهم، ولما أشرف على الكتب قال: هذا الكتاب الأخضر؟

قلتُ: إنّ لونه أخضر ولكنّه غير الكتاب الأخضر للقذافي.

قال: ألا تعلم أنّ إدخال الكتب وبهذه الكميّة ممنوع ويتطلب رخصة توريد؟

قلتُ: يا أخي هذا كتابي وأنا مؤلّفه وقد أهديتُ نسخة منه إلى سيادة الرّئيس.

أخذ نسخة من الكتاب وقارن اسم المؤلف بجواز السّفر فاطمأنّ إليّ وقال:

وأنا أيضاً أريد منك أن تهديني نسخة!

فقلت: أهلاً وسهلاً بكلّ سرور فما هو إسمكم الكريم وفي حين كنتُ أكتب له الإهداء، كان هو بدوره يُمضي التصريح لي بالخروج.

دخلتُ العاصمة وفيها أهديتُ بعض النّسخ إلى أصدقاء لي، ثم سافرتُ بعدها إلى مسقط رأسي مدينة قفصة حيث التقيتُ بأهلي وتلامذتي القُدامى ولم يمضِ يومين أو ثلاثة حتّى نفذ نصفهم.

فكّرتُ في أعدائي التقليديّين أيضاً فأهديتُ كلَّ واحدٍ منهم نسخةً باسمه مع بعض التقريض إيماناً منّي بقول الله تعالى: **﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيّئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنّه وليٌّ حميم﴾**، «فصلت/ ٣٤» وقلتُ في نفسي عسى أن يهتدوا إلى الحقّ ويتركوا التعصّب، أو على الأقل يكفّوا عني إذاهم.

ثم تجوّلتُ في بعض المُدن والقرى المجاورة لنا فأكملتُ البقية ولم يبق معي في السّيارة إلاّ ثلاثة أو أربع نسخ أبقيتها على ما يأتي.

والذي حدث أنّ الرّئيس زين العابدين أعاد لجامعة الزيتونة عزّها

وفتحها بعدما ظلّت مُغلقة طيلة ثلاثين عاماً، وأرسل بعثاتٍ حكوميّة إلى كلّ ولايةٍ لتنْصيبِ المسؤول الذي اختارته لإدارة الفرع الزيتوني، وكان من سوء حظّي أن الذي أختير في قفصة وجاؤوا يحتفلون بتنصيبه هو أكبر حاقدٍ عليّ وعلى الشّيعة.

إغتنم هذا المسكين تلك الفرصة وقدّم للوالي تلك النّسخة التي بعثتها إليه متّهماً إيّايَ بتهمٍ خطيرة أعطى السيد الوالي الإذن إلى المحافظ بإيقافي حالاً وجمع كل الكتب التي أهديتها واستدعاء الأشخاص الذين يُوجد عندهم الكتاب للتّحقيق وتحرير محاضر في شأنهم.

وبدأ أعوان الشّرطة والأمن ينفذون الأوامر ويبحثون عنّي في كلّ مكان.

كنتُ يومها في ضيافة أحد الأصدقاء وهو مدير لإدارة كبيرة فجاءني صهري على عجل بسيّارته وأعلمني الخبر ونصحني بالخروج فوراً إلى الحدود لمغادرة الوطن شكرته على عواطفه وقلتُ: إذا فعلتُ ذلك فقد أعطيهم الحجّة على نفسي، ولكنّي سأنتظرهم بكلّ شجاعة فما عندي شيءٌ أخافه ولا فعلتُ شيئاً أندم عليه.

جاء أعوان الأمن وأخذوني معهم إلى المركز وهناك بدأ التحقيق والبحث مع رئيس الفرقة الجهوية بشيء من الأدب والإحترام إلى أن وصل السيد المحافظ وما إن عرفني حتّى صاح في وجهي قائلاً:

أتريد أن تحدث لنا ثورة في هذا البلد الآمن، أتحسب أنّنا في ان هنا؟ والتفتَ إلى رئيس الفرقة قائلاً له: السيّد جايب ثلاثة آلاف سخة من كتاب كلّه كفر وجايب مائة مليون فلوس يوزّعها على النّاس

لحثّهم على الثورة والتمرّد.

وأجبتُه بالتحدي قائلاً:

أولاً: كتابي ليس كتاب كفر ولا يدعو إلى الثّورة ولو كان كذلك لما أهديتُ نسخة منه إلى السيد الرّئيس زين العابدين، ولما دخلتُ أنا إلى تونس أبداً.

ثانياً: لو جئتُ بثلاثة آلاف نسخة من هذا الكتاب للزم أن أدخل إلى تونس بشاحنة كبيرة لحملها، ولكنّ السيارة التي دخلتُ بها هي محجوزة عندكم الآن وبإمكانكم أن تملؤوها بأنفسكم لتعلموا مقدار حمولتها.

أمّا **ثالثاً**: وأنّني وزعتُ مائة مليون من الفلوس على الناس فأنا أتحدّاكم أنْ تأتوني بشخص واحدٍ أعطيتهُ من المال ولو فلساً واحداً.

ثم بعد كلّ هذا أنا لم أدخل أرض الوطن خلسةً ولا عنوة بل دخلتُ بطريقة قانونيّة وفُتّشتُ كبقيّة النّاس ولو كان عندي مائة مليون لما تركوني أعبر بدون تصريح وأنتم أعلم بهذه الأمور منّي.

وجد كلامي إلى عقله سبيلاً فقال يسألني: كم نسخة من الكتاب أتيتَ؟

قلتُ: مائتين.

قال: أعطنا مائتي إسم للأشخاص الذين أعطيتهم كتابك قلتُ: لا يمكن ذلك، لا لأني أرفض ولكنّي أجهل الأسماء فهناك من تلامذتي الذين لم أرهم منذ عشر سنوات وأكثر فأنا أعرفهم بالوجوه ولا أعرف أسماءهم.

وباختصار استقر رأيهم بعد المشاورة أن يخلوا سبيلي تلك الليلة على أن أعود في الصباح التالي، وجئتُ باكراً على حسب الموعد وأركبوني سيارة بصحبة رجلين من أعوانهم وذهبنا إلى القرى المجاورة لجمع الكتاب من البيوت التي أعرفها.

وفي الطّريق إكتشفتُ بأنّ مرافقيّ مستبصرين قال أحدهم: يا أستاذ أنسيتني ولم تتذكرني؟ فأنا من تلاميذك منذ السّبعينات عندما كنتُ في مدرسة ترشيح المعلّمين، وإنّي البارحة ما كحل عيني نوم لأني أخذتُ كتابك من المركز وقرأته كلّه وأقسم لك بالله أنّي مثلك.

قال الثاني: وأنا أيضاً قرأتُ كتابك منذ يومين عندما جاءني به أحد الأصدقاء ولقد فتح قلبي لعدّة أمور كنت واضعاً عليها علامات استفهام ولم أجد لها الجواب المقنع إلاّ في كتابك فأنا شيعي.

ضحكنا طويلاً لهذه الصدفة ولم نشعر بالطريق وجمعنا ما أمكننا من الكتب من عدة مناطق خلال أيام ثلاثة وحسب الأوامر فإنّهما يسلّمان استدعاء لكل من وُجد عنده الكتاب.

وقابلتُ السّيد الوالي وبعد حديث قصير، قال: إنهم خوّفوني منك وقالوا بأنّك شيعي متطرّف وأنّك مموّل من الخميني وأنّك تبيح نكاح الأخوات.

ضحكتُ قائلاً: الآن عرفتُ صاحبي، وأفهمته أنّ القضية هي قضية رضاعة وهي مذكورة في نفس الكتاب ابتسم بدوره وأخرج لي الكتاب من خزانته قائلاً: ما قلته صحيحاً ولكنّي ألومك لأنّك ما أهديتَ لي نسخة ولو فعلتَ من يوم قدومك إلى قفصة لما وقع شيء ولكنّ الآن خرجتْ المسؤولية من حوزتنا وهي في أيدي العدالة التي

ستقول كلمتها في الموضوع، ثم بعدها تعالى نعطيك جوازك لتسافر بسلامة.

عرفتُ من كلامه بأنّهم وبعد ما عرفوا براءَتي من الإشاعات وعرفوا أيضاً من خلال الأوراق المحجوزة بأنّ رئيس الجمهورية إستلم كتابي من باريس، فحوّلوا القضيّة إلى العدالة لتنظر فقط في محتوى الكتاب وهل هو خطر على النّظام أو الدّين.

وذهبتُ للمحكمة بعدما عرفتُ من الأعوان المستبصرين بأنّ كل الأشخاص الذين حقّقوا معهم لم يقولوا فيَّ إلا خيراً، فكانتْ الأسئلة الموجّهة إليهم:

١ ـ ما هي علاقتك بالتيجاني؟ والجواب هو أستاذي أو صديقي.

٢ ـ هل أعطاك فلوس؟ والجواب كلاّ ما رأيتُ منه فلساً.

٣ ـ هل طلب منك فلوس؟ والجواب أبداً ما طلب مني شيئاً.

وفي المحكمة طلبتُ مقابلة وكيل الجمهورية ودخلتُ بعد إذنه فكان الكتاب فوق طاولته وفي داخله ورقة.

قلتُ: سيدي أنا صاحب الكتاب وقد جئتُ إلى تونس لأسبوع واحد وها أنا الآن موقوف منذ شهر وبدون ذنب وأنا أعيش على أعصابي لأن زوجتي وبناتي وحدهم في باريس، قاطعني قائلاً:

لا بدّ من قراءة الكتاب والتّصريح بالحكم، وها أنا الآن قرأت منه ما يقارب الثلث، وإن شاء الله أكمله اللّيلة وغداً يقع الحكم فيه.

قلتُ: سيدي لا أطلب منكم إلاّ الإسراع.

قال: إرجع غداً بعد العصر.

ورجعتُ في الموعد المذكور وإذ بالسيد وكيل الجمهورية يستقبلني بالأحضان على الباب ويقول: أنا أؤمن بكل ما في هذا الكتاب يا حضرة الدكتور واغرورقت عيناي بالدموع ولم أصدق أذناي فقال تفضّل سنكتب لك الحكم، ولو أنّك صرفت الملايين لشهرة كتابك ما شهرته كما اشتهر الآن، فلقد كلّمني بعض أصدقائي من تونس العاصمة يطلبون منّي كتابك الذي سمّي سلمان رشدي القفصي جلستُ وأنا أحمد الله سبحانه حمداً كثيراً على نعمه وأشكره على مزيده وإحسانه أن نصرني في نفس المحكمة في قضية الرّضاعة وكذلك في قضيّة الكتاب الذي أرادوا به شرّاً فانقلب خيراً.

كتب السّيد وكيل الجمهورية الحكم وأعطاه إلى الكاتب ليكتب بالطّابعة، ثم أمر كاتبه بفتح المحجوزات وقال لي: أطلب من حضرتك عشرة نسخ لأهديها إلى أصدقائي، وإذا أحببتَ أن نرجع بقيّة الكتب إلى أصحابها الذين حُجزوا منهم.

قلتُ: سأفعل ذلك بنفسي بعد إستلام الحكم، وجاء بعض الكتبة يطلبون منّي الكتاب، أعطيت للسيد وكيل الجمهورية ما طلب ووزّعْتُ في المحكمة أكثر من عشرة كتب.

سلّمني السيد وكيل الجمهورية الحكم بعدما وقّعه بنفسه وأمر كاتبه أن يحمل بقية المحجوزات إلى سيارتي ثم أعطاني جواز السفر وودّعني.

خرجتُ وأنا لا تسعني الأرض من الفرح وأرجعتُ الكتب إلى أصحابها وفي كل كتاب وضعتُ نسخة من الحكم فأصبح الكتاب

يُتداول حتّى في المقاهي بدون خوف ولا حرج.

وبما أن كل ممنوع مرغوب فقد عمل هذا المنع المؤقت على اشتهار الكتاب وأحدث ثورة فكرية عند البعض كما استبصر بسببه العديد من النّاس **﴿وردّ الله الّذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويّاً عزيزاً﴾** «الأحزاب/ ٢٥».

رجعتُ إلى باريس ووجدت ضمن الرسائل رسالة السيّد زين العابدين بن علي رئيس الجمهورية، ولا أخفي تعلّقي واعتزازي بالكرامات التي شاهدتها ولا زلتُ أشاهدها بفضل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا ومولانا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

محمد التيجاني السماوي التونسي

مصادر الكتاب والتحقيق

ــ أ ــ

الكتاب	المؤلف
اتقوا الله	د. التيجاني
الإسلام والحضارة العربية	محمد احمد علي
اعرف الحق	د. التيجاني
الامام الصادق كما عرفه الغرب	ترجمة الدكتور نور الدين آل علي
الامام الصادق ملهم الكيمياء	د. محمد يحيى الهاشمي
الإنسان العربي والحضارة	أنور الرفاعي

ــ ب ــ

الكتاب	المؤلف
البداية والنهاية	ابن الأثير

— غ —

الغدير — الأميني

— ف —

فجر الإسلام — احمد أمين
الفصول المهمة — السيد عبد الحسين شرف الدين
الفوائد الفاخرة لزاد الدنيا والآخرة — الشيخ جلول الجزيري

— ك —

كتاب المتعة — الشيخ عبد الله فكيكي
كنز العُمال — المتقي

— ل —

لسان العرب — ابن منظور
لسان الميزان — ابن حجر

— م —

ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين — النووي
المتعة في الإسلام — السيد حسين مكي

مجلة البلاد
مدخل إلى الإقتصاد الإسلامي — د. عبد العزيز فهمي
مستدرك الأحكام
مع الصادقين — د. التيجاني
مقدمة ابن خلدون
ملتقى الأبحر
المناقب — الخوارزمي
المواهب اللدنية
ميزان الإعتدال — الذهبي

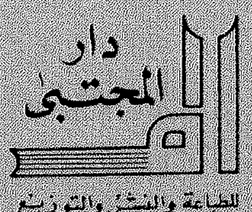
ـ ن ـ

النصائح الكافية لمن يتولى معاوية
نيل الأوطار — الشوكاني

ـ هـ ـ

الهدى إلى دين المصطفى — الشيخ محمد جواد البلاغي
الهداية في شرح البداية — الإمام مالك

محتويات الكتاب



للطباعة والنشر والتوزيع
حارة حريك ـ بيروت ـ لبنان ـ فاكس ٢٥٨٤٨١/٤٦/٢٥٧٠.

تلفون : ٨٣٧٤٩١ـ٨٣٧٩٢٧